رواية

الكونت دي مونتو كريستو

وهي رواية ادبية تاريخية مؤثرة اخذت حوادثها
اثناء تخلي نابوليون الاول عن عرش
فرنسا وتسنم الملك لويس
الثامن عشر عليه

بيروت

مكتبة صادر

طبعت بمطبعة «مكتبة صادر» في بيروت – سنة ١٩٢٥

رواية

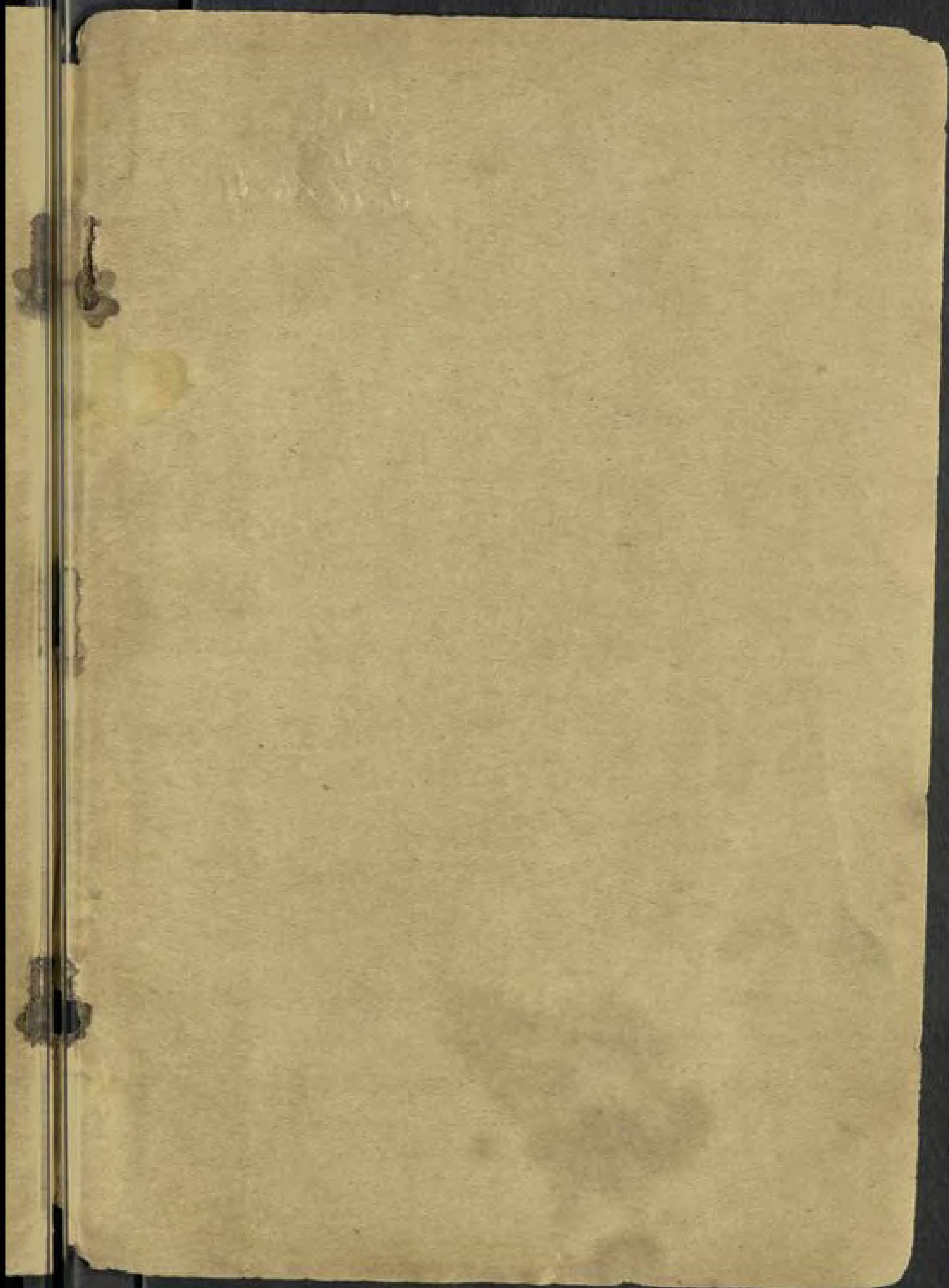
الكونت دي مونتو كريستو

وهي رواية ادبية تاريخية مؤثرة اخذت حوادثها
اثناء تخلي نابوليون الاول عن عرش
فرنسا وتسنم الملك لويس الثامن
عشر عليه

بيروت

مكتبة صادر

طبعت بمطبعة «مكتبة صادر» في بيروت سنة ١٩٢٥



الفصل الاول

انه في اليوم الرابع والعشرين من شهر شباط من سنة ١٨١٥ كان نابليون الاول اسيرًا في جزيرة البا وكان كثير من اهل فرنسا يطلبون عودته وذلك لما له عليهم من الافضال وما له عندهم من المحبة الراسخة في قلوب الفرنسويين ما عدا العائلة البوربونية وهي عائلة ملوك فرنسا القدماء. وبدسائسهم وضع في تلك الجزيرة ومعه نحو ٦٠٠ رجل من اشد رجاله واصدقهم حبًا اليه واقيم عليهم الحرس كما هو مشهور في تاريخه الا ان مراكب كثير من الاهالي كانت تمر بتلك الجزيرة رغمًا عن انتباه وتنبيه الحكومة الحالية وكان من جملة هذه المراكب مركب كبيرة اسمها فرعون وهي لرجل من تجار مرسيليا المعتبرين اسمه موريل وهو ذو لطف وكرم اخلاق واسم رئيسها الاول دنكرك والثاني ادمون دانتاس صاحب هذه السيرة وهو من الشبان الاذكياء اصحاب الهمم العالية وكان عمره ١٩ سنة فذات يوم كانت هذه المراكب آتية من ازمير وتريستة ونابولي مارة بتلك الجزيرة ولما قربت منها اعترت رئيسها الاول رعدة وشعر باضطراب في جسمه وتبعتها حمى قوية اكدت له حلول اجله فدعى اليه ادمون دانتاس الرئيس الثاني وقال له اعلم اني قد قاربت الموت الذي ليس منه مفرٌّ ولا مهربٌ ولا بد من ان تكون انت مكاني في الرئاسة الاولى فهاك حساباتي فقدمها عني الى الخواجا موريل صاحب المركب وايضًا عندي سر عظيم احب ان اطلعك عليه بشرط ان تتعهد لي ان لا تبيحه لاحد مطلقًا ولولا تيقني باستقامتك وصداقتك لما كلمتك بذلك فاقسم له ادمون انه يحافظ على ما يودعه اياه من السر ولا يبوح به لاحد ولو اضطره الامر الى الموت فحينئذ قال دنكرك اعلم اني من حزب نابوليون المأسور في هذه الجزيرة ومثل ذلك صاحب هذا المركب الخواجه موريل ومعي الان مكاتيب لجلالة الامبراطور نابليون وتأكدت الان اني عاجز عن ان اقدمها اليه لان الحياة لم تعد تساعدني

على ذلك فتم انت بهذه الخدمة المهمة فقال ادمون كيف لي ان اتوصل الى جلالته وانا رجل نوتي مهمل الذكر فقال دنكرك خذ هذا الخاتم فمتى نزلت البر اره المرشال مراد فهو يوصلك اليه وعندما تقف بين يديه قبل عني قدميه واخبره بما حل بي وكيف وافاني الاجل قبل تشريفي بكامل خدمتي ولم يتم دنكرك هذا الكلام حتى انقطعت انفاسه وجمدت عيناه وفي نحو نصف ساعة فارق الدنيا فبكى عليه كل من كان في المركب لاسيما ادمون الذي كان يحبه حباً اكيداً . هذا ولما رست المركب نزل ادمون الى الشاطئ ليتمم وصية رئيسه المتوفى فاتى الماريشال وبعد ان حياه اظهر له الخاتم ففهم مقصوده واخذ منه التحارير وكتب له اجوبتها ثم قال له ادمون ان مرادي التشرف بالوقوف بين جلالة الامبراطور فاوصله اليه فبلغه رسالة الرئيس واعلمه بوفاته فتأسف عليه الامبراطور لانه كان يعلم صدق خدمته ومحبته وبعد ذلك رجع ادمون الى المركب فنشر شراعه ورفع راية الحزن وسار قاصداً مرسيليا ولما دخلها ونظر الاهالي الراية وعلموا بموت القبطان اظهروا الكدر والاسف لانه كان معروفاً ومحبوباً من الجميع واما موسيو موريل صاحب المركب فقد بكا بكاء الثواكل وحزن عليه حزن النساء ثم سأل ادمون عن سبب موته فاخبره بكل ما طرأ عليه فعند ذلك قال له موريل حيث قد قضى رئيس هذا المركب الذي كنت اعزه جداً وهو كان دائماً يمدحك لي ويصف لي لياقتك واقدامك وقد تأكدت كل ذلك فيك فقد عهدت اليك برئاسة المركب الاولى عوضاً عنه فما صدق ان سمع ادمون هذا الكلام حتى خرّ على وجهه شاكراً الله تعالى على منته وكرمه ثم بعد ذلك شكر الخواجه موريل تقليده اياه ذاك المقام السامي الذي كان يحسبه عظيماً جداً

وكان في المركب كاتب محتال خبيث ردي الطباع اسمه دنكلار فلما نظر ارتقاء ادمون لعب به الحسد وكاد فؤاده يتفطر واضمر في نفسه العداوة ووقوع الاذى بادمون مع ان ادمون مدحه جداً امام الخواجا موريل وسأله

ان يكافأه ويحسن اليه وبعد ذلك عاد الخواجا موريل الى البر وبصحبته ادمون فطلب اليه ان يصحبه الى بيته ويصرف ذلك النهار ضيفاً عنده فاعتذر اليه وقال مرادي ان اتوجه لانظار والدي الذي لاشك انه ينتظرني بفروغ صبر ومثله خطيبتي مرسيداس الجميلة . فطلب اليه موريل انه بعد ان يفرغ من مشاهدة ابيه وخطيبته وينتهي من كل عمله يرجع اليه فوعده بذلك ثم ودعه ادمون وسار الى ان دخل على ابيه فوجده في اسوأ حال يتقلب على نار الهموم والغموم فارتمى عليه وقبل يديه وكذلك الوالد رمى بنفسه اليه وجعل يقبله وهو لا يصدق ان يراه وقد بلَّ دمعه ثيابه وبعد ان جلس ادمون سأل اباه عن حاله وما هو سبب تغيير احواله فقال له اعلم يا ولدي ان الدراهم التي اعطيتني اياها لمصروفي تكفيني لاكثر من ستة اشهر غير انه بعد غيابك بقليل حضر اليَّ جارنا الخواجا كادروس وبيده سند عليك بمائتي فرنك وطلب مني المبلغ حفظاً لشرفك وخوفاً على اسمك من الفضيحة والعار دفعت له المبلغ واخذت السند منه ففرغت لهذا السبب مني الدراهم مع اني وفرت في مصروفي جداً ولي الان اكثر من يومين لم اذق طعاماً فتألم ادمون من حالته واغرورقت عيناه بالدموع ثم وضع امام ابيه الدراهم التي حصلها في سفره ففرح بها ابوه واندهش من كثرتها وقال له من اين لك كل هذه قال من جدي واجتهادي وفضلاً عن ذلك فاني ابشرك يا ابي اني ببركة دعاك تيسر لي ان اكون رئيساً اولاً في المركب فرعون حيث ان رئيسه موسيو دنكرك قد توفي بقرب جزيرة البا ففرح والده بهذه البشارة ودعا له بالنجاح والتوفيق وحسن المستقبل

ثم استأذن ادمون والده في المسير الى خطيبته مرسيداس التي كانت على جانب عظيم من الرقة والوداعة والجمال فاذن له فسار بعد ان قبل يديه وفيما هو سائر صادف في الطريق كادروس جاره ودنكلار كاتب المركب فسمعهما يتحدثان بحديثه وقد قال دنكلار لرفيقه هل نظرت الرئيس الجديد ادمون

دانتاس فقال نظرته عند ابيه وقد تعجبت من هذا التوفيق الذي صحبه مع ان اباه من ادنى الناس وافقرهم فقال دنكلار لابد من قهره وتحويل فرحه الى كدر وراحته الى عذاب طويل لاخلاص له منه

الفصل الثاني

في المؤامرة على ادمون والغدر به

فلما سمع ادمون كلامهما تأثر في باطنه وعرف طويتهما الا انه اعرض عنهما لانه كان صافي السريرة لين العريكة لاسيا وهو يعلم ان الشر يعود فيقع باهله واما دنكلار وكاردوس غيرا حديثهما عندما نظراه بالقرب منهما وحياه بهز رأسيهما وبعد ان بعد عنهما قال دنكلار لرفيقه اظن ان ادمون ذاهب الى بيت خطيبته الى قرية الكاتلان (قرية خارج مرسيليا في مقاطعة كاتالونيا كان يقطنها جماعة من الاسبانيول) قال نعم فان شئت هيابنا نكمن قرب بيت مرسيداس لنسمع ما يكون بين ادمون وخطيبته وبينه ايضاً وبين ابن عمها فرنان الذي تعلق بحبها مؤخرا وهو يعد نفسه بزواجها ويتردد اليها في كل آن ويشرح لها عن حبه وعشقه لها ثم سار واقاما بحانوت ملاصق لبيت مرسيداس يترصدان ما يصل اليهما من خبر ادمون واما ادمون فانه وصل الى بيت خطيبته وقبل ان يطرق بابه سمع كلاماً جعله ان يصغي اليه بتأن وفهم ان القائل يقول يا بنت عمي اللطيفة والمحبوبة ان عيد الفصح قد قرب وقربت الايام التي تطيب بها الافراح والاعراس وحيث انك تعلمين عظم محبتي لك وانعطافي فارجوك ان تعطيني يدك وتعديني بخلوص نية انك تكونين لي اهلاً واكون لك بعلاً بحيث يمكننا ان نعيش من بعضنا كزوجين محبين واما من جهة تعلقك بخطيبك ادمون فهذا عين الغلط لانه غريب عنك فاجابته مرسيداس اني لا انكر حبك لي وولوعك بي وذلك من جهة القرابة والنسابة الواقعة بيني وبينك ولا انسى انك ابن عمي من اخ ابي واما من

جهة اعطائك يدي فهذا بعيد عنك لاني اعطيتها لشاب قبلك ولا يمكن ان تعطى يدي لاثنين وهو الشاب الوحيد الذي ارتبط قلبي بحبه ومال اليه وجعلت اتكالي بعد الله عليه وهو الذي سيكون شريك حياتي وعضدي وبغيره لا ارضى مطلقاً فاجابها فرنان اني لأعجب منك مع انك من التعقل والانتباه على جانب عظيم كيف اعطيت يدك لرجل نوتي فقير يصرف كل ايامه في الاسفار تحت المخاطر والاهوال وربما غرق او انكسرت به المركب وقد ندر من يموت على فراشه من اولئك النوتيين الذين يطلبون بضعف قوتهم ان يقاوموا صدمات تلك الامواج القوية ويردوا ضربات تلك العواصف الشديدة فقالت اني اعلم ذلك ولكن لا اجهل ان مرجع الامور هو للخالق وهو وحده المتكفل بتدبير الكون ولهذا فليكن معلومك اني لا ابتغي عن ادمون بدلاً فهو حبيبي وحده وخطيبي ومالكي فتكدر فرنان من كلام مرسيداس وظهر في وجهه الغضب. وقال لها بحدة اكدي يا مرسيداس اني لا اترك اقترانك بخطيبك ينتهي ولا بد لي من هلاكه ومحو اثره ان رجع سالماً من سفره ولا اتركه يصل اليك وانا حي فقاطعته بالحديث وقالت له اني لا اجهل قباحتك وسوء فعلك وانت قبلاً كنت تجهد نفسك لتوهمني انك من الاتقياء فها قد ظهر عكس ذلك وتأكد من قولك رداءة طويتك واذا تم ما اشرت اليه فأكد يا فرنان اني اسلم نفسي الى الموت قبل ان اسلم يدي الى غير ادمون فصمت فرنان عند سماعه كلامها برهة واذ ذاك طرق الباب ادمون ففتحته مرسيداس ولما رأته القت نفسها عليه تقبله واندفعت من اعينها غزارة دموع الفرح والسرور واصابه ايضاً ما اصابها وبقيا على ذلك مدة من الزمان وهما تارةً يتعانقان وتارةً يتباكيان وتارة يتحادثان ويتشاكيان ثم التفت ادمون الى فرنان واعتذر اليه وقال له لا تؤاخذني عن قصوري في السلام عليك فاني لم انتبه اليك ولا علمت انك جالس هنا فقالت مرسيداس هذا ابن عمي فرنان واني اعزه كأخي فيجب ان تسلم عليه وتعتبره اعتبار اعز

الاقرباء. فتقدم ادمون اليه بفتور وقصد ان يسلم عليه فنفر وخرج من البيت غضباناً وهو يشتم مرسيداس وادمون ويتوعدهما بالاذى والشر فلما نظره كادروس ودنكلار خارجاً وعيناه تقدحان شرار النار وعلامات الغضب والكدر مرسومة فوق جبهته السوداء علما ان سبب ذلك ادمون فصاحا به وطلبا اليه ان ينتظم في سلكهما فاجابهما وجلس معهما وللوقت احضر له الخمر فشرب واخذ كل من كادروس ودنكلار يظهر له المحبة ويطنب في مدحه ويغالي في حسن صفاته ويعاطيانه الخمر حتى سكر وكاد يغيب فعند ذلك قال دنكلار اني متكدر جداً من حالة صاحبي فرنان الذي افدي مالي وروحي امامه وقد يظهر من علامات وجهه ان بنت عمه مرسيداس قد طردته وادخلت اليها ذاك النذل ادمون فاجابه كادروس ان مرسيداس لها الحق بذلك لان ادمون شاب لطيف وذو اموال وافرة لا سيما وقد صار قبطاناً على المركب فرعون وما زالا يتكلمان بمثل هذا الكلام حتى هيجا فرنان ثم قال له دنكلار يا اخي ألا سمعت متى يكون عرس ادمون على مرسيداس الجميلة صاحبة القد الاهيف والخصر المهفهف والخد الاثيل والطرف الكحيل التي لا يوجد لها بين البنات مثيل فقال فرنان لا يمكن ان يكون هذا وانا حي ولا بد لي من هلاك ادمون اذا ساعدتني التقادير ولو هلكت معه ولا اترك زفافه على مرسيداس ينتهي وبينما هم على مثل ذلك واذا بادمون ومرسيداس خرجا من البيت وقصدا التنزه في حدائق تلك القرية فصاح دنكلار على ادمون فحضر اليه فاعطاه كأساً من النبيذ وطلب منه ان يجلس معهم دقيقة فجلس مع انـه يعلم عداوتهم ثم قال له دنكلار متى يكون زفافك على السيدة مرسيداش خطيبتك فقال قريباً وانشاء الله في غدٍ نأخذ في تهيئة اللوازم ثم اتوجه الى باريس لقضاء حاجة لي هناك وعند عودتي يتم الزفاف فقال دنكلار وهل نحن من المدعوين قال نعم ومعكم ابن عم خطيبتي فرنان ثم ودعهم ورجع الى مرسيداس التي كانت واقفة

تنتظره فوضع يده بيدها وسار وتركهما ينظران اليه بافئدة ملآنة من الشر والفساد ولا سيما دنكلار فانه طرق ذهنه انــه سيذهب الى باريس لتقديم التحارير التي اخذها من جزيرة البا من نابوليون الاول ولذلك تبين له وجه الشر فاضمره له وعول على الانتقام منه والحاق الاذى به ثم التفت الى فرنان فوجده مطرقاً الى الارض متغير اللون فقال له ما هذه الحالة التي انت فيها وقد يظهر انك كثير القول قليل الفعل عديم الصبر قال اني افكر في حيلة اتوصل بها الى ما اريد فلم ارَ وجهاً الّا اني اقتل ادمون واعدمه الحياة غير اني اعلم ان مرسيداس تموت لموته فاكون قد اضعتها وما الطريقة يا صديقي غير قتله فقال دنكلار لا لزوم لقتله فان طرق المهالك عندنا كثيرة وقاصد الشر لا يتعذر عليه وجوده فقال فرنان امدد يدك يا اخي لـمساعدتي واعني على هذا المغتصب المزمع ان يختطف من امامي جوهرة من اثمن الجواهر ويغتصب مني ابنة عمي مع اني احق بها منه واشفع واذا كان قد لاح لك وجه الانتقام فابده لي ولك عليّ اكبر فضل واعظم معروف لا انكره ما دمت حياً فقال دنكلار انه لاح لي وسائط عديدة لهلاكه واهمها واسطة عظمى لا اقدر ان ابوح بها لاحد فقال فرنان اعمل معي معروفاً واتخذني لك عضداً واخاً مدى الايام والليال وان شئت فاني اقبل يديك ورجليك ولا ابخل بشيء عليك فعند ذلك قال دنكلار وقد اظهر الابتسام اعلم يا فرنان اني اقدر ان اضع لك ادمون في السجن مؤبداً قبل ان تنتهي ايام خطبته وقبل ان يفرح بعرسه وعروسه هذا وكان كادروس كل ذلك الوقت مشتغلاً بشرب الخمر حتى كاد يقع الى الارض ولما سمع بسجن ادمون اعترض وقال لا احد يقدر ان يسجن جاري ادمون فضحكا من كلامه وحالته وناولاه خمراً فشرب ثم عادا الى حديثهما فقال دنكلار وعندي طرق كثيرة لاخماد انفاسه وهلاكه ولكن هذه الطريقة التي ذكرتها هي اقرب الطرق واسهلها فقال فرنان اني اراك عدواً الدّا لادمون فهل لك عليه ثار او بينك وبينه ما يحوج الى ذلك فلما سمع

دنكلار هذا الكلام اظهر على نفسه الكدر وتغير بوجهه وقال له اني كنت اعهد انك عاقل فقد ضاع تعبي باطلًا فماذا يا ترى بيني وبين ادمون وانا وهو في مركب واحد ومهنة واحدة وما تكلمت هذا الكلام وقصدت كيد ادمون الّا حبًا بك واملًا باتمام غاياتك ومقاصدك واما الان فلا حاجة الى ذلك ولا يجب ان اعمل معروفاً مع غير اهله فعند ذلك وقع فرنان عليه واقسم بالله العظيم انه لم يتكلم ذلك الّا ليمتحنه ويعرف منزلته عنده وايهما ارجح لانه لا يكاد يصدق بان يسمع ان ادمون تنتهي به الحاجة الى هذه الحال واذا تم حبسه او هلاكه فيكون اكبر سعادة احاطت به ثم اقسم فرنان على دنكلار ان يشرح له ما هو فكره من جهة ادمون فعند ذلك رضي دنكلار واظهر البشاشة وقال له اعلم اني لا اخفي عنك شيئاً وساظهر لك ما قد عزمت عليه ولكن بشرط ان تحفظ في ذهنك ما اقوله لك وتنقاد الى كل ما اطلبه منك فقال فرنان اني مطيع لكل ما تأمرني به وشاكر لمعروفك وجميلك فابدِ ما تريد فقال فرنان اعلم انــه في المدة الاخيرة بينما كنا في سفرنا عند شطوط جزيرة البا توفي رئيس مركبنا الاول واستلم ادمون رئاسة المركب عوضاً عنه وحين وقفت المركب على جزيرة البا اجتمع ادمون بنابوليون الاول ولا بد من ان يكون اخذ منه مكاتيب برسم احزابه المقيمين بباريس على ان هذا الامر هو ممنوع بالكلية من قبل الحكومة الحالية وتعتبر ذلك من اكبر الجرائم فاذا اخبرنا بذلك المدعي العمومي (وكيل الملك) فانــه يهلك ادمون لا محالة وقد جرى ذلك على كثيرين مثله فصفق فرنان من الفرح وقال نعم الطريقة فانني متيقن ان ادمون صار من الهالكين لا محاله فهكذا تكون التدابير والّا فلا . غير انه يلزمك الى ذلك تقديم برهان يؤيد قولك ويبين للحكومة ان ادمون من المتآمرين فهل تسند قولك هذا الى دليل واضح ثابت لا سيما اذا شئت ان تكتب فلا بد من امضائه فباسم من تمضيه فقال ما لك وللفضول ان ما قلته لك اكتبه في العرضحال دون ان تضع اسم احد لاني

لا اريد ان يظهر اني خصم ادمون ولي بذلك مقاصد خفية فاتفقا على ما تقدم وقررا طريقة هلاك ادمون واذ ذاك التفت كادروس وقد سمع كلامهما وهو في حالة سكر عميق وقال كيف تعملان هذا العمل مع ادمون وهو جاري فاني لا اقبل منكما هذا الامر ولا بد لي من اطلاعه على هذه الدسيسة فقال دنكلار اشرب الان فانا نمزح وهل تظن ان ادمون عدونا وان كنت قد توهمت من هذه الورقة التي بيد فرنان فها اناذا انزعها منه وامزقها ثم تناول العرضحال من يده ورماه الى الارض وناول كادروس خمراً فشرب ثانياً وثالثاً حتى غاب ثم تناول فرنان العرضحال ووضعه في جيبه وبعد قليل تركوا الحانوت وسار كل منهم في طريق وبعد ساعات قليلة اجتمع فرنان بدنكلار فاكملا كتابة العرضحال واخذه فرنان الى البوسطة وارسله معنوناً باسم وكيل الملك (المدعي العمومي) موسيو دي فليفور

الفصل الثالث

في وليمة ادمون وخطبته والقبض عليه

ولما اصبح صباح اليوم الثاني عزم ادمون على الخطبة فجعل يهتم بامر الوليمة اللازمة لقيام الخطبة ودعا اليها كامل اصحابه واقربائه وملاحي المركب وصاحبه موريل ومن جملة المدعوين كان دنكلار وفرنان وكادروس وقد كان يوم احتفال عظيم اريقت به الكؤوس ولعب السرور بعقول الجميع حتى حسبوا ذلك اليوم من اعظم الايام التي مضت عليهم لان الجميع كانوا يحبون ادمون ويتمتعون سروره وفرحه ما عدا حساده فانهم كانوا في حالة رديئة وكادت اكبادهم ان تنفطر وهم ينتظرون انقلاب تلك الافراح الى اتراح وتحويل سرور ادمون الى كدر وفي اثناء الوليمة قام موسيو موريل واقفاً وقال امام الجميع هيا ايها القبطان ادمون صاحبي وعزيزي لنسير الى المحكمة ونعقد عقدك على خطيبتك مرسيداس ذات الصفات اللطيفة ومن

اراد من الحاضرين ان يسير معنا فلا مانع ومن اراد ان ينتظرنا فلينتظر وبعد عودتنا نكمل فرحنا هذا العظيم . وكان فرنان جالساً بقرب دنكلار فقال له يا اخي اني لا اقدر ان اطيق هذه الحالة وقد صممت ان اضرب بهذا الخنجر صدر ادمون فاميته ولو قتلت بعد ذلك فنعه دنكلار وقال له اصبر قليلا فان الفرج قريب وفي تلك الساعة طرق باب البيت وسمع غوغاء خارجه ففتح الباب ودخل جماعة من انفار الضابطة ثم تقدم رئيسهم وقال من منكم يدعى ادمون دانتاس فارتبك الجميع وعلا وجوههم الاصفرار وتكدروا من تلك الحالة الكربة ومن ذلك المصاب الذي وقع عليهم بغتة واما موسيو موريل تقدم الى رئيس الضابطة وقال له لاي سبب حضرت في هذا الوقت قال اني مأذون من قبل وكيل الملك بالقبض على ادمون دانتاس فانه لشجاعته وبسالته لم يرتبك ولا خاف بل تقدم الى المتكلم وقال انا المطلوب فيا بنا الى حيث تشاء واذ ذاك تقدم والد ادمون ورمى نفسه على رئيس الضابطة وطلب منه ان يترك ولده فاجابه ان امر القبض عليه لا بد منه واما مرسيداس خطيبة ادمون فانها اسندت رأسها الى الحائط وقد اصفر وجهها وكادت رجلاها لا تحملها لتقف وقلبها جعل يخفق ويرتعش وقد سال دمعها على خدها ولم تعد تعرف بما تتكلم وقد جرى عليها ما لم يجر على قلب انسان قبلها واما كادروس فانه التفت الى دنكلار وفرنان وقال لهما اهذه نتيجة مزاحكما يا خبيثين فقال له دنكلار اسكت واذا تكلمت اتهمناك انك من حزبه وفعلنا معك كما فعلنا معه فسكت كادروس وقد خاف جداً من ان ينسبوا اليه تلك التهمة ، ثم سار الشرطة بادمون وسار معهم موسيو موريل بعد ان قال للحاضرين ابقوا انتم هنا فانا اسير وانظر الى ماذا طلب ادمون وان شاء الله اعيده معي حالاً

. . .

الفصل الرابع

في خطبة موسيو دي فيلفور وكيل الملك ووقوف ادمون بين يديه وما يتعلق بذلك

ومن اعجب الصدف ان اليوم الذي فيه احتفال خطبة ادمون كان ايضاً فيه احتفال خطبة مدعي عمومي المملكة دي فيلفور وكانت قاعة الجلوس عنده تجمع اكابر رجال المملكة واعضاء المجالس وجميعهم من حزب الملكية وكانت مفاوضاتهم باعمال نابوليون الغايرة لصالح المملكة الداخلي وكان اكثرهم يندد به ويذمه وينسب اليه البغض والعداوة للشعب الفرنسوي وفي اثناء ذلك فتح الباب ودخل منه خادم حاملاً تحريراً وبعد ان وقف هنيهة ونظر يميناً وشمالاً دفع التحرير الى موسيو دي فيلفور فشخصت اليه كل عين واصبح الجميع ينتظرون اتمام قراءة التحرير غير ان دي فيلفور بعد ان وقف على ما في التحرير وقف حالاً وقال للحاضرين ارجوكم يا اسيادي ان تسمحوا لي بالذهاب فان سبباً عظيماً يدعوني الى ذلك وسأعود اليكم حالاً وعند عودتي سأنبئكم عن النتيجة فعارضته خطيبته وقالت له انني لا اقدر ان اتمالك ذاتي وقد رأيتك في هذه الحالة وكيف تذهب بغتة ومهما كان الشغل عظيماً اظن انه لا يحول بينك وبين يوم فرحك هذا المنتظر من زمان وماذا يا ترى تكون حالتي اذا لم تعد بوقت قريب واني احذرك يا عزيزي من الظلم والغدر فقال لها ان اشغال المملكة التي تتعلق بعنقي تدعوني الى ان افضلها على اعظم الاشياء غير اني سأعود قريباً ثم قبلها وقبلته وخرج من البيت فنظر رئيس البوليس وبعض الانفار بانتظاره فقال له هل قبضتم على الرجل الذي ارسلتكم للقبض عليه قال نعم وهل وقفتم على الدلائل التي فرضتها اليكم قال فتشناه فوجدنا معه اوراقاً وتحارير ختمنا عليها بالشمع الاحمر وها هي واما الرجل فاسمه ادمون دانتاس عمره ١٩ سنة لم يدخل العسكرية قط غير

انه بوظيفة قبطان في المركب فرعون الذي كان قد مرَّ في اثناء رجوعه من ازمير الى الاسكندرية فشحن قطناً ثم مرَّ ايضاً على جزيرة البا . وبعد ذلك سار المدعي العمومي وفي اثره البوليس فصادفه موسيو موريل وبعد ان حياه حدثه بخصوص ادمون وطلب منه ان يقبل شفاعته به فقال له لا اظن ان من كان مثلك يهتم بامر رجل متحزب لعدو المملكة نابوليون الظالم العاتي ولولا اني اثق بانك من محبي الوطن لتيقنت انك من احزابه فارتبك موسيو موريل وقال اعذرني يا سيدي فاني كنت لا اعرف قوة جرمه ثم عاد موسيو موريل واخبر اباه وخطيبته والحاضرين فتكدر الجميع وانصرف المدعوون يذمون الحاسدين ويتأسفون على ادمون واما والده فوقع على ارجل موسيو موريل وقال له ارحمني ياسيدي ولا تترك ولدي فان رجليّ تكادان لاتحملانني الى خارج بيتي فوعده ببذل جهده وخرج حزيناً على حالة ذلك الشيخ الضعيف الصالح واما مرسيداس فكانت لاتعرف ماذا تتكلم لانها ارتبكت وجعل قلبها يخفق ويبست رجلاها وجمدت عيناها وتقلصت شفتاها . فهذا ما كان من هؤلاء واما وكيل الملك فانه سار الى ان دخل دار الحكومة فامر باحضار ادمون فحضر فنظر اليه وقد لاح له في جبينه سمة الصدق والشجاعة فسأله ما اسمك وما هي مهنتك فاجاب دون ارتياب ولا خوف اسمي ادمون دانتاس ووظيفتي رئيس ثاني بالمركب فرعون : فقال المدعي . مـاذا كنت تصنع عندما قبض عليك البوليس قال كنت باحتفال يوم خطبتي على السيدة مرسيداس محبوبتي التي تعلقت بها من نحو ٤ سنين . فتعجب دي فيلفور من هذه الصدفة العجيبة ورثى لحاله لانه كان عاشقاً نظيره واضمر في نفسه انـه يخلصه وقد تذكر كلام خطيبته ثم قال له اني اريـد ان اسألك سؤالاً وان تصدقني به قال اني افضل شرف الصدق ولو كان فيه هلاكي . قال هل انت بالحقيقة من احزاب نابوليون بونابرت وهل كنت تتعلق بخدمته في زمن تسلطه قال لست من احزابه ولا خدمته مطلقاً . قال المدعي وما هي مقاصدك السياسية

هل تميل الى عائلة ملوكنا الاصلية او تميل الى ذاك المختلس نابوليون . فقال ليس لي فكر سياسي قط لاني رجل نوتي لا اعرف من السياسة اصلاً ولا فرعاً لا سيما وانا في اول ادراكي وبلوغي ولم اهتم قط في حياتي كلها الا بامر والدي وخطيبتي فتأثر دي فيلفور من كلامه ورق له وقد عزم على اطلاقه وقال له الا تعرف لك عدواً او حاسدا قال ياسيدي لا اعرف عدواً ولا فعلت مع احد اذية . فعند ذلك دفع اليه صورة العرضحال فاخذه وقرأه وتبين له باطن القضية وظاهرها وقال له هل تأكدت يا سيدي اعداءي وقد تبين لي عدوان احدهما يحسدني على وظيفتي وهودنكلار والآخر يزاحمني في خطيبتي وهو فرنان ولا ريب في ان هذا العمل عملها غير اني اشكر الله الذي وقعت بيديك لانك رجل حليم عادل . فقال المدعي . احك لي كيفية دخولك على جزيرة البا وما هو الداعي الى ذلك فاخبره بان الرئيس الاول قبل وفاته اوصاه بالدخول الى الجزيرة وان يسلم الخاتم الى الماريشال مراد ويعطيه التحارير ويأخذ منه الاجوبة وقد تم الرئيس دون ان يعرف ما ضمن التحارير وما هي فقال المدعي العمومي قد صدقت كلامك ولا بد لي من اطلاقك لتذهب الى ابيك وخطيبتك غير اني اطلب اليك ان تعطيني التحرير الذي اخذته من جزيرة البا واذهب انت وعندما ادعوك فاحضر . فقال ياسيدي ان التحرير هو بين اوراقي التي اخذتها مني انفار الضابطة وها هي امامك . ففتح دي فيلفور الاوراق واخذ التحرير وقرأ عنوانه (الى موسيو نوارتيه بشارع كوكهرون نمره ١٣) وما اكمل دي فيلفور قراءة العنوان حتى سال العرق بارداً من جبهته واضطرب في داخله وارتبك وظهرت عليه دلائل الكدر ثم قال لادمون هل تعرف موسيو نوارتيه بالذات . قال كلا فاني لم اذهب الى باريس قط ولا اعرفه ولا يعرفني وقد اخبرتك اني دخلت الى الجزيرة وخرجت منها وانا كالاعمى لا اعرف شيئاً ولا انظر شيئاً غير اني اراك يا سيدي ترتجف عند قراءة عنوان التحرير قال هل اطلعت احداً عليه . كلا . ثم فتح دي فيلفور

التحرير وشرع في قراءته وكان يقرأ ويرتجف ويده على جبينه والعرق يسيل من اسفل وجهه (ولا يخفى ان موسيو نوارتيه صاحب التحرير المذكور هو والد دي فيلفور مدعي عمومي المملكة ولهذا كان خائفاً من اظهار القضية وكشف هذا السر الذي يؤدي به الى الهلاك مع والده الذي كان رئيساً لحزب البونابرتيين) وعلى هذا فقد لعبت بيدي دي فيلفور عواصف الخوف والكدر فصبر يتفكر برهة الى ان هدأ روعه وسكن جاشه ثم قال لادمون قد ظهر من هذا التحرير انك قد ارتكبت امراً خطيراً وخامرت على الملك واتحدت مع اعدائه الا اني اجتهد في ان اجد سبيلاً الى خلاصك فانتظرني وسأعود اليك فشكره ادمون ثم ان المدعي العمومي رمى ذلك التحرير بالنار وصبر عليه الى ان تحقق اعدامه وقال لادمون ولتتحقق كلامي قد احرقت التحرير امامك كي لا يظهر خبره فيما بعد غير اني احذرك ان لا تذكره لاحد ابداً وان ذكرته هلكت لا محالة فقال اني لا اذكره لاحد مطلقاً وذلك انقاذاً لاوامرك وحفظاً لحياتي ثم ان دي فيلفور احضر رئيس البوليس وهمس في اذنه فاحضر بعض انفار واخذوا ادمون من امامه وقد عزم ان يطلع الملك على تلك الاحوال لينال منه الشرف والفخار ويؤكد له صدق خدمته وحبه له وامانته

الفصل الخامس

في سجن ادمون دانتاس

اما رئيس الضابطة فانه بعد ان خرج بادمون امر اثنين من اتباعه يحيطا به وان لا يكلماه ابداً ولا يخبراه بمكان مصيره ففعلا حتى وصلا به الى سجن مظلم فسلماه للحارس فادخله وكان فكر ادمون معلقاً بالنجاة استناداً لمواعيد المدعي العمومي الذي كان قد تعهد له بالخلاص ولم يعلم ان التحرير هو سبب نكبته وان المدعي العمومي قصد هلاكه لاخفاء حالة ابيه وخوفاً

على منصبه فكان ادمون ينتظر كل دقيقة اتيان من يطلبه لاطلاق سبيله وكان تارةً يفتكر بجالة اعدائه لا سيما وقد عرف ان خط العرضحال هو خط دنكلار كاتب المركب فكان يشتعل فؤاده لهباً منه وتارةً يفتكر بوالده وخطيبته فيهفو اليهما وكان يرى الدقيقة يوماً والساعة سنة حتى فرغ صبره ولما كانت الساعة العاشرة من الليل فتح باب السجن ودخل منه اربعة انفار متقلدين السلاح فدعوه فاسرع اليهم وقال لهم انتم آتون من قبل وكيل الملك فقال احدهم نعم فسكن خفقان قلب ادمون وارتاح فكره نوعاً وخرج معهم فوضعوه في مركبة مخصوصة بالمجرمين وساروا به الى شاطىء البحر فانزلوه في قارب معد هناك واحاطت به الانفار احاطة الهالة بالقمر. فلما رأى ادمون تلك المعاملة السيئة التي يعاملونه بهـا اسودت الدنيا في عينيه وعزم ان يرمي نفسه الى البحر فرأى نفسه غير قادر على ذلك ولا سيما عند ما تيقن بعده عن والده وعن خطيبته التي كان يعد نفسه بانها عن قريب تمسي في حوزته ويصبح زوجاً لها غير ان سعة صدره وطول باله حملاه على التصبر والتأني فالتفت الى الانفار وقال لهم الى اين ذاهبون بي فاجابه احدهم اننا ذاهبون بك الى مكان ستعرفه قريباً ولسنا مأذونين ان نكلمك فسكت ادمون برهة وهم سائرون به الى ان كاد ينقطع نفسه ثم تقدم الى احد الانفار وقال له اني اقسم عليك بشرف الانسانية واستحلفك بالله العظيم ان تخبرني الصريح الى اين انتم ذاهبون بي فقال له النفر المذكور كيف تدعي انك من سكان مرسيليا ولا تعلم الى اين نحن سائرون لا سيما وانت نوتي ومختبر حالة البحر فقال ادمونَ وحق الاله العظيم اني لا اعرف حالي الان في اي جهة من جهات الدنيا لا سيما وانا ضائع العقل مرتبك الاحوال كل فكري وقلبي عند والدي الشيخ وخطيبتي المحبوبة فقال النفر قف وانظر امامك فتعرف الى اين ينتهي مسيرك فوقف ادمون ونظر واذ يرى امامه قلعة شاتوديف التي كانت سجناً للذين يحكم عليهم بالحبس مؤبداً فلما رأى تلك القلعة صاح بملء رأسه وامصيبتاه

هل استحقيت ان اوضع بهذه القلعة فما هي الجريمة يا ترى التي اجترمتها فاني لم اقتل احداً ولا قمت بثورة ولا دخلت بفتن سياسية مخلة بداخلية المملكة ولا بخارجيتها فهل اوصلني حسد الحاسدين الى الوقوع بالهلاك ثم حول ان يرمي بنفسه الى البحر فمسكه الضابطون ومنعوه وقالوا له ان ابديت ادنى حركة فانا مأمورون باطلاق الرصاص عليك فسكت وسلم امره الى الله وفي برهة قليلة وصلوا به الى قلعة شاتوديف فسلموه للسجان فاخذه السجان الى حجرة مظلمة في ظاهر القلعة ثم تركه السجان وغاب قليلاً ثم عاد ومعه قليل من الاكل والماء فوضعهما له وغاب وتركه يقاسي عذاب الهون فكان تارةً يصيح ويستغيث وما من مجيب وطوراً يطرق في الارض متفكراً في حالته وما جرى له على غير ذنب وكانت تلك الليلة الاولى التي صرفها في سجن القلعة من اطول الليالي لان افكاره كانت تتلاعب بين الرجاء واليأس وكان كلما خطر في فكره والده الشيخ العاجز وما يحل به اذا عرف انه في سجن موَّبد يفقد عقله وتهيج نار الغضب في احشائه ولما اصبح اليوم الثاني اتاه السجان فسمعه يصيح وينادي كالمجنون فقال له ما هــذه الاعمال هل انت محتاج الى اكل او الى ماء فان كان هذا الاكل لا يكفيك فانك تقدر ان تحصل على اكثر بشرط ان تدفع الثمن فقال ادمون لا ارغب شيئاً من ذلك انما ارغب في مواجهة مدير القلعة فان لي كلاماً احب ان ابلغه اياه فقال السجان دع عنك ما لا يتم فهذا لا رجاء فيه واذا كنت على ما انت عليه فاني اتركك ولا آتيك ابداً فتموت جوعاً وما انت الَّا مجنونٌ فقال نعم انا مجنونٌ وهاك برهان جنوني وتناول كرسيا ورفعها ليضرب بها السجان فخاف السجان وهرب وقفل الباب خلفه وقال له ان كنت مجنون لا بد لي من ان انقلك الى سجن اعمق من هذا قرب راهب مجنون مثلك فقال اذهب واخبر المدير بان مرادي اواجهه وان عدت اليَّ بخلاف ذلك فاني اميتك لا محالة فقال اصبر وسوف اتيك بالمدير الى هنا ثم غاب برهة وعاد ففتح الباب ودخل

معه خمسة انفار من العسكر حاملون السلاح فاخذوا ادمون وانزلوه في سلم يبلغ ١٥ درجة وادخلوه الى مخدع ليس فيه الا نافذة صغيرة وقال له السجان بتهكم وسخرية الان ستواجه المدير فانتظره هنا والان صرت بجوار رجل مثلك . وكان مسجوناً بغرفة ثانية كاهن اسمه الخوري فاريا بتهمة سياسية فنسبوا اليه الجنون وكان كل من يكلمه لا يشك انه مجنون ثم قفل السجان الباب وسار بالانفار وبقي ادمون داخله في هم ونكد وقد سلم امره للعليم الخبير

الفصل السادس

في سياسة المدعي العمومي موسيو دي فيلفور

فلنترك الان صاحبنا ادمون يقاسي آلام السجن ويتوجع من فراق والده وخطيبته ومن حالته التعسة ونرجع الى موسيو دي فيلفور وكيل الملك او بالحري المدعي العمومي فانه بعد ان انتهى من ظلم ادمون والجور عليه رجع الى منزله حيث كانت خطيبته ووالدتها والجمهور المدعو ينتظرون عودته فلما دخل قاموا له وقوفاً احتفالاً به وسروراً بعودته وسألوه عن غيابه فاخبرهم انه قبض على رجل من احزاب نابليون كان يذهب اليه بالكتب والتحارير ويعود منه بالاجوبة وبعد ان جلس هنيهة اعتذر من الجمهور وقال لهم ان مرادي اذهب الى باريس لاخبر الملك قبل ان يصله الخبر من الغير فودعهم وذهب وعند نزوله من القصر صادف مرسيداس عند الباب خفيته فقال لها من انت وماذا تورمين قالت انا مرسيداس خطيبة ادمون الذي ارسلت واخذته من بيته ليلة زفافه وقد عرفت انك اودعته السجن فقصدت ان اقبل اقدامك مرتجية منك ان تشفق عليه وترحمه فانه بريء وان له والد شيخ عاجز ليس له من يعوله ولا من يلتفت اليه سوى ادمون المسكين فبالله عليك تحنن عليه فقال لها ان الشاب الذي تطلبين خلاصه قد اذنب ذنباً كبيراً لا خلاص له منه ثم ركب مركبته وتركها تبكي وتتحسر من كلامه ثم رجعت الى

بيتها فوجدت فرنان ابن عمها فقالت له لماذا انت هنا فقال اني سائر في اثرك ولا يهون عليّ ان اتركك هل تظنين ان ادمون يتخلص من سجنه فذاك محال لاني عرفت ممن اثق به انه لاذ بنابليون فحكم عليه بالحبس مؤبداً فلا عدتِ تنظرينه بعينيك فيما بعد فصفقت على يدها ولطمت على وجهها وهي تبكي وتندب خطيبها

واما موسيو دي فيلفور فانه ما زال حتى وصل الى باريس ودخل على وزير الملك لويس الثامن عشر واخبره بان قوماً من المملكة يكاتبون نابليون وقد مسك رئيس احد المراكب التي تمر بتلك الجزيرة فأتى الوزير واخبر الملك فقال له دعهم يفعلون ما يريدون فهل تظن ان الخواجه نابليون عاد يقدر ان يرجع الى المملكة وقد ترك فيها اثاراً ردينة ومن يعلق اماله بذلك فلا ريب انه مجنون فقال فهمت ذلك من وكيل عظمتكم في مرسيليا فقال ائتني به فدعاه واستعاد منه الخبر فاخبره به بالتفصيل وزاد من عنده اضعاف حتى شكره الملك على عمله وقال له لا ريب في انك مستقيم الخدمة صادق في محبة المملكة وليس كابيك الذي يتهمه اكثر الناس بانه من محبي نابليون فبينما هو على مثل ذلك اذ دخل عليه رئيس ضابطية المدينة وقال له سراً لا تخفى عظمتكم ان نابليون المختلس قد تخلص من محل منفاه وهو قادم علينا وقد صار بالقرب من المدينة فارتجف وصاح بوزيره وقال له ويلك يا خائن كيف تيسر لذلك المختلس هذا الامر على ان جيشنا عظيم وكله مستعد للحرب والنزول وكيف لم تعرف بماذا كان خروجه ومن هم مساعدوه وكيف يمكنه بجيشه القليل ان يزحف علينا فلم يمكن الوزير ان يجاوبه بشيء. انما اظهر الكدر والغضب والحيرة فقال له الملك اذهب الى ناظر الحربية وبلغه اوامري بان ينهض حالاً ويردع نابليون فقال له سأفعل ذلك واسير اليه بنفسي ثم عول على الخروج فقال له الملك هل وقفت على قاتل الجنرال كاستل الذي وجد امس مقتولاً في احدى الشوارع قال الذي ظهر لي بالتخمين لا باليقين انه أخذ

بجيلة الى المحلات التي يجتمع بها احزاب نابليون وهناك قتلوه ورموه بالشوارع وقد اجهدنا انفسنا بالتفتيش على الذي دعاه ليذهب معه فلم نجده لان خادم الجنرال دي كاستل اخبرنا بصفات ذلك الرجل انه كان لابساً ثوباً طويلاً وفي صدره نيشان وانه طويل القامة واعطانا شرحاً مستوفياً نقدر متى وجدناه ان نعرفه فقال الملك اجتهد الان في تدبير كل ما نحن واقعون به ولا تكن بليداً كعادتك والّا وقعنا في اسوإ الاحوال فانحنى له برأسه وخرج ثم إلتفت الملك الى وكيله دي فيلفور وقال له حيث اني متيقن فيك الصداقة والاستقامة فقد البستك هذا النيشان فشكره موسيو دي فيلفور وخرج فركب مركبته وسار الى اللوكندة ولم يرد ان يذهب الى بيت ابيه خوفاً من ان يشترك باعماله وما استقر حتى دخل عليه الخادم وقال له يا سيدى انه يوجد شخص يريد مقابلتك فقال من هو وما هي صفاته قال لا اعرفه وهو شخص اسمر اللون طويل القامة شعر رأسه وعارضيه سود يبلغ عمره نحو الخمسين سنة وعليه ثوب طويل وعلى صدره نيشان · فعرفه دي فيلفور انه والده فاصفر لونه وخجل وارتعش وبقي صامتاً حتى دخل عليه ابوه وهو يلومه ويعنفه بقوله كيف تمنعني من مشاهدتك فقال اني وصلت تعبان ولم يعلمني الخادم انك ابي فاجلس يا والدي ثم قبل يده وحياه فقبله والده ثم جلسا يتحادثان فقال الوالد لماذا لم تخبرني بخطبتك في مرسيليا ولما حضرت بغتةً وفي ٣ من هذا الشهر صرت في باريس فقال حضرت لاسباب لها اعظم تعلق فيك لانقذك من امور ربما كانت تقودك الى اعظم المهالك فقال نوارتيه ولم ذلك يا ولدي هل تظن ان خطراً يتهددني وانا رئيس حزب نابليون بطل فرنسا ومشرقها قال هو لاجل ذلك وقد عجبت يا ابي من هكذا جسارة فانك تفوه بكلام لا يتكلم به الّا كل فاقد العقل لا سيا في ظروف واوقات وقد ماتت بها سلطة ذلك الذي تعظمونه اكثر مما يستحق قال اني لا ارى مانعاً من ان افوه بحرية تامة بكل ما اريد وانادي به بالاسواق ولكن

اخبرني ماذا جرى وماذا وجدت عند الملك قال قد سمعت عند الملك ان الجنرال دي كاستل خرج من منزله بطلب احد الناس المشهورين ووجد مقتولاً وجثته مطروحة بالنهر وقد امر الملك بالتفتيش على القاتل فضحك الوالد حتى استلقى على قفاه وقال اكد يا ولدي ان نابليون خرج من جزيرة البا بصولة وعظمة فقاطعه دي فيلفور وقال له اسكت يا ابي حذراً من ان يسمعنا احد فيرصل خبرنا الى الملك فنقع في بلاء عظيم فقال لا تخف فما من مانع قال كيف لا اخاف وقد قيل انك من مقاومي الملك وقد وقفت على تحرير وارد باسمك من نابليون ولولا اسرعت واحرقته لربما وقع بيد الملك او احد رجاله فتقع تحت طائلة القصاص ثم اخبره بخبر ادمون دانتاس وما كان من امره وقال له اخيراً لا ريب انكم انتم الذين قتلتم الجنرال دي كاستل وخادمه قد اوصف الرجل الذي دعاه باوصاف تشابهك وقد خفت من القاء القبض عليك قال لا خوف عليَّ من احد ولا سيما ان نابليون قد خرج من جزيرة البا وغداً او بعد غداً سيدخل باريس وانني متيقن ان الوزير الاول هو من اشد المائلين الى مصالحة الامبراطور وعموم العساكر الذين بدون شك عند ما يقابلونه يطرحون سلاحهم بين قدميه واكد اني عارف بكل الاسباب التي تجري وبرهان ذلك اني عرفت بخروجك من مرسيليا يوم خطبتك ومقابلتك الملك ونزولك في هذه اللوكندة قبل ان تخبرني انت والدليل حضوري اليك حال وصولك واما قتل الجنرال دي كاستل فانّا دعيناه واطلعناه على سرنا وطلبنا منه ان ينضم الينا فأبى واصر على ميله للملك لويس فأخذنا عليه الميثاق بعدم الاباحة خلف وفي الغد سمعنا انه وجد ميتاً في النهر ولا نعرف من قتله فاضطرب دي فيلفور من كلامه وقال له ما هذا الكلام وهل صحيح خروج نابليون من جزيرته قال بدون ريب قال اذاً فماذا اعمل انا قال الاجدر بك ان تسير الى الملك وتأمره ان يفوز بنفسه وينجو والّا قُبض عليه ودُفع في يد عدوه او بالحري اذهب الى مرسيليا وتعاطى مصلحتك واكون انا محامياً عنك اذا

كان الفوز لنابليون والا فتكون انت المحامي عني وتشفع لي اذا وقعت في يد اخصامي وعلى كل فينتفع احدنا الآخر. وبعد ان اتفقا على هذا الامر رجع نوارتيه الى منزله وعاد ابنه الى مرسيليا وكان كلام نوارتيه عن نابليون في محله فانه اخبر الجنرال بارنير ان نابليون عاد من محل منفاه كما هو معروف في تاريخه ودخل مدينة كارنويل وليون واما العساكر الذين كانوا قد ارسلهم الملك لويس لمحاربته فانهم عند ما وصلوا اليه واظهر لهم نفسه وخاطبهم صاحوا بصوت واحد فليحيَ فليحيَ الامبراطور وطرحوا سلاحهم عند اقدامه مظهرين خضوعهم له وهكذا قد رجع الامبراطور ثانياً الى عرش فرنسا وسادت احزابه واما موسيو دي فيلفور فانه بقي في وظيفته وكيلا عنه احتراماً لوالده الذي كان يوءكد نابليون انه من اخص احزابه وفي تلك الاثناء تذكر موسيو موريل ان رجوع الامبراطور اكبر سبب لخلاص ادمون فقصد موسيو دي فيلفور مراراً موءملاً منه ان يطلق سبيله فكان يعده المواعيد الكاذبة فقال له اخيراً انكم حبستم هذا المسكين الفقير بتهمة انه من احزاب الامبراطور فهل يحق لكم الان ان تحبسوا احزابه وهو الحاكم عليكم فقال له ان هذا يتعلق بالوزير الاكبر فيجب ان تكتب عرضحالاً وتقدمه له ولا ريب في انه يخلي سبيله فقال اخاف ان لا يصل العرضحال الى الوزير فقال فيلفور اكتبه واعطني اياه وانا اوصله اليه مصحوباً بتحرير مني فكتب موريل عرضحالاً ودفعه الى دي فيلفور وبات ينتظر الجواب واما ذاك فانه اخفى العرضحال لانه علم اذا وصل الى الوزير تخلص ادمون وكان لا يحب تخلصه لا سيما وقد كان ينتظر رجوع لويس الثامن عشر الى كرسي فرنسا فكان يحفظ مثل هذه الاوراق ليقدمها له عند رجوعه وينال بذلك الشرف والفخار الا مكراً ودهاء. وقد تم ما كان ينتظره فان نابليون بعد ثلاثة اشهر انكسر في واقعة واترلو وانحطت سلطته فرجع لويس الى المملكة فقابله دي فيلفور واظهر له خدمته فانعم عليه وثبته في مأموريته ولذلك بقي ادمون

المسكين في سجنه مدفوناً تحت الارض ليس له من يسأل عنه ولا من يلتفت اليه مظلوماً مأيوساً بعيداً عن الاصدقاء والخلان ولاسيما موريل فانه كان في ايام الامبراطور يتردد على دي فيلفور ويسعى بخلاصه واما بعد تغير الحال فلم يعد يتجاسر ان يفوه بكلمة من ذلك خوفاً من ان يقع في شرك المهالك

ولما راق الحال لموسيو دي فيلفور المدعي العمومي تزوج بخطيبته وراق له الزمان وطابت اوقاته واما دنكلار الذي كان كاتباً في المركب فانه كان قد خاف في بادىء الامر من ان يتخلص ادمون من السجون فينتقم منه فطلب من موسيو موريل تحرير توصية لاحد عملائه في اسبانيا فاعطاه تحريراً لبساطة قلبه لم يكن يعرف شيئاً من خبثه وخداعه وهناك دخل كاتباً وسيأتي ذكر ما صار له فيما بعد واما فرنان ابن عم مرسيداس فانه التزم ان يسافر مع العساكر كونه تحت سن النظام العسكري وازداد لسفره غم مرسيداس لانها وان كانت لاتحبه كخطيب لكنها كانت تحبه كابن عم وكان يسليها نوعاً في بعض الاحيان ولذلك اوصته بالاحتراس والتيقظ وعدم المخاطرة فتيقن فرنان من كلامها اذا انه رجع من العسكر وكانت لم تتزوج بالمحبوس ادمون يأخذها هو وكانت مرسيداس في اكثر اوقاتها تأتي الى اب ادمون فتخدمه وهو هرم عاجز قد اضعفته الهموم واغمه فراق ولده الوحيد وعذابه لاسيما وكان قد قطع رجاءه اخيراً من لقاء ولده لما علم ان سجنه بالقلعة مؤبداً ولما شعر بقرب اجله رفع عينيه نحو السماء وصاح يا الهي اني اتألم الان على فراش شيخوختي آلاماً تصدع الصخور لا لظلم منك ولا لكونك نسيتني بل لاستحقاق جبلتك البشرية المجبولة بالاثام وحيث الان قد شعرت بانحلال جسمي فاسلم روحي اليك طالباً من عدالتك ان لاتترك ولدي بايدي الظالمين وها انا الان اموت بعيداً عنه محروماً من ان انظره النظرة الاخيرة ولكن آه يا ولدي اهديك البركة . . . ثم غشي عليه وبعد برهة مات وكانت مرسيداس عنده فلم تقدر ان تضبط نفسها عن البكاء والنوح مدة ليست بقليلة وفي تلك الساعة حضر

الخواجه موريل فبكى عليه ثم دفنوه وعادت مرسيداس الى بيتها ولم تعد تنظر ذلك البيت فيما بعد وبقي الخواجه موريل يصرف جهده في خلاص ادمون ولكن بلا فائدة واما كادروس فانه دخل في العسكرية على انه كان كبيراً في السن فلاقى مشقات عظيمة وهكذا قد انتهت حالة ذلك المكان وتفرق سكانه ولعبت بهم ايدي الحوادث .

الفصل السابع

في وصف سجن ادمون

ومضى على ادمون سنة وهو في السجن يقاسي اعظم الشدائد واشد المظالم وكان يرى الهموم والغموم محيطة بـه من كل جانب ومع ذلك كان لايزال رجاؤه معلقاً بالخلاص ومؤملاً ان العزة الإلهيـة لاتتركه في عمق ذلك السجن وهو بريء من كل ما هو متهم به ولما رجع الملك لويس الثامن عشر واستقر على عرش فرنسا ارسل مأموراً مخصوصاً يتفقد الحبوس ويرى حالة المحبوسين فبحث ذلك المأمور كل السجون حتى انتهى الى قلعة شاتوديف وتفقد من كان بها من المسجونين حتى وصل الى ادمون دانتاس فحياه ببشاشة وقال له لماذا أنت محبوس هنا ومن اي زمان بداءة وضعك في هذه القلعة . قال حبست من نحو سنة بامر من مـدعي عمومي المملكة موسيو دي فيلفور دون حكم ولا محاكمة فالتفت المأمور الى السجان وقال له ما هي اسباب حبسه فقال له حبسه لكونه من احزاب الامبراطور نابليون فانتهر ادمون السجان ولامه وشتمه فنهاه المأمور فوقع على رجليه يقبلهما وقال له ياسيدي اني مظلوم لا ذنب اذنبت ولا جريمة اجترمت انما بلغ بعض المفسدين وكيل الملك اقوالاً اختراعية فلم يفحصها ولا حقق ذلك غير انه ارسلني حالاً الى هنا ولا شك انه نسـي ولم يكن يذكره لي فقـال ان موسيو دي فيلفور في باريس فيجب ان نصبر ليحضر فنقف منه على الحقيقة ونعرف اسباب سجنك

فقال ادمون لا ريب ان غيابه هو الذي انساه اياي مع انه كان يعاملني باللين ووعدني بانه لايتركني فقال المأمور تقبل ان اعاملك باشارات موسيو دي فيلفور قال نعم اني ارضى بذلك قال الان اراجع دفتر المحابيس وانظر بما اشار الى سجنك فاذا كان لك وجه تتخلص به فاني اطلق سبيلك وكان قد شفق المأمور على حالته وتأكد ظلمه من اشارات وجهه ومعنى كلامه غير انه كان لا يحب ان يجري شيئاً يضاد به اعمال اوامر موسيو دي فيلفور فاقتبل تشكرات ادمون وبعد عنه قاصداً الخروج من القلعة فقال له السجان انه قرب غرفة ادمون غرفة راهب مسجون اسمه فاريا له كلام مضحك يهدس دائماً بالاموال ويستخرج كنوز الارض فيوزعها على من يشاء فدخل المأمور على الخوري فاريا الذي اشار اليه السجان فوجده واقفاً بازاء زاوية سجنه وهو يكتب على الحائط وكان ذا ثياب رثة بالية وشعره طويل قد كاد يستر وجهه الذي قد صبغ بالاصفرار مهزول الجسم لقلة الاكل وانشغال الفكر فلما رأى الخوري المأمور نظر اليه بطرف عينيه ثم عاد الى حساباته التي كان يجمعها على حائط ذلك السجن فصاح به المأمور فالتفت نحوه فقال له اتريد اكلا او هل لك حاجة فاحكها فاني مأمور من قبل الملك بالتفتيش عليك فقال الخوري لا اريد شيئاً لكن اتعرف من انا قال هذا لايهمني معرفته فقل لي من انت قال انا الخوري فاريا رفيع المقام صاحب الاموال والكنوز والجواهر المزخرة وقد قبض عليَّ ووضعت في السجن دون ذنب فاذااخرجتني اعطيتك ملايين من اموالي فقال المأمور ما معنى هذا الكلام فاننا الان لسنا بذكر مال بل بذكر حالتك وسبب وقوعك في هذا السجن فقال تظهرون العفة وانتم تحبون المال وتتفضلونه على مخافة فالي كثير وبه شفاء الغليل فقال المأمور هل مالك بعيد من هنا قال مسافة ثلاثة ايام او اربعة ايام فقال قد بان لي من كلامك ان قصدك الفرار والهرب فاننا الان ومال المال فاخبرني هل الاكل يكفيك او هل تحتاج الى اكثر فقال اصغى الى قولي فاني اريد

منك ان تسير الى المحل الذي اصفك لك تخذ منه هذه المبالغ وبذلك تصير غنياً وتستغني عن هذه المأمورية بشرط ان تخلصني فاني اسامحك بكل شيء. فقال المأمور بعد ان ضحك اننا نسألك عن الاكل فتشرد الى المال فانا لا ارغب في مالك فغضب الخوري فاريا من كلامه وقال اني اراك خبيثاً كغيرك من الذين لايحبون ان يفعلوا الا غاياتهم ولا يلتفتون الى كلامي وهكذا عمل المحتالين والمنافقين فاخرج من امامي ايها النذل فاني لا اريد منك شيئاً ثم التفت الى الحائط ورجع الى وضع ارقام حساباته وخرج المأمور وهو يضحك من قول الخوري فاريا وقد اعتبره من اعظم المجانين ثم طلب سجلات المسجونين فدفعها اليه السجان فوجد ان سبب سجن ادمون هو كونه من احزاب نابوليون بونابرت وكونه من اعداء الملك لويس الثامن عشر وقد منع من كل مواجهة وان يحبس مؤبداً في اضيق حبس فلما عرف المأمور ان هذا هو سبب سجن ادمون وضع تحته علامة المصادقة وسار الى سبيله ويقي ادمون على ما هو عليه يقاسي العذاب الاليم يعد نفسه بالخروج قريباً وقد علق امله بوعد المأمور الذي كان كبرق خلب لم يرَ له من نهاية فكان ينتظر اليوم بعد اليوم والاسبوع بعد الاسبوع والشهر بعد الشهر ولما مضت عليه الايام والشهور قطع رجاءه من الخلاص وتيقن انه هالك لا محالة فاخذ يصلي والقى كل اتكاله على الله الذي وحده قادر على كل شيء. وانقطع عن الاكل نحو ٣ ايام وهو راكع رافع يديه الى العزة الالهية يتوسل اليها ان تدفع عنه هذه الخطوب او تقبل نفسه في الامجاد وبينماهو على ذلك وقد خارت قواه وضعفت عزيمته اذ سمع صوتاً خفيفاً كصوت مطرقة تضرب في حائط سجنه فانتبه وطرق فكره ان احد المسجونين يثقب الحائط ليفر مؤملاً ان وراءه خلاء. فقام واكل شيئاً وعند ذلك دخل السجان بالطعام فحياه ادمون بصوت عالٍ وشاغله ريثما خرج من عنده خوفاً من ان يسمع صوت المطرقة التي كانت تضرب على الحائط والصوت يقرب شيئاً فشيئاً من خلف سريره الذي ينام

عليه وكان ادمون قد تيقن الفرج وفرح فرحاً لا يوصف ولعظم فرحه خطر في فكره ان يضرب الحائط من جهة الصوت ليعلم الفاعل ان هناك من يساعده فضرب برجله ويديه بكل قوته وبعد برهة لم يعد يسمع للصوت ادنى حركة فصبر وبات ينتظر عودة العمل في وقت آخر ودام في قلق واضطراب نحو ٣ ايام حتى كاد يقطع الرجاء من وجود انسان يفعل هذا وان سبباً آخر لاجله كان صوت هذا الحفر وفي اليوم الرابع بينما كان متفكرًا بهذا الامر اذ سمع الصوت المذكور فرفع سريره واذ تبع الصوت فرقعة حجر تحت السرير طار قلبه وكاد يصيح من الفرح غير انه تجلد وافتكر ان يساعد الفرح فلم يجد عنده من آلة تفعل ذلك فعمد الى الجرة فكسرها واخذ قطعة منها وجعل يوسع من جهة مكان المكسور الذي كان لرطوبته يفت بسهولة كلية ثم شعر بدخول السجان فارجع السرير بسرعة وجلس فوقه ولما دخل السجان ونظر الجرة مكسورةً شتمه وقال له لماذا كسرتها فاعتذر اليه بانها كسرت غصباً عنه فاحضر له غيرها فانسر لاتمام العمل دون ادنى صعوبة فرجع الى التوسيع واتم رفع الحجر التي من جهته فداوم على ذلك النهار بطوله والليل وقد صادف اواسط الحجر صلباً لا تقطع فيها آلته الخزفية ولما كان الصباح حضر السجان واحضر له الطعام والماء حسب عادته فافتكر ادمون ان يترك الصحن في طريق السجان فيكسره فيلتزم ان يبقي عنده الطواية الحديدية ذات المسكة القوية فتساعده على عمله فاسرع ووضع الصحن ورجع بينما كان السجان مشغل بوضع الماء في جرته واذ عزم على وضع الطعام في صحنه وقصد ان يتقدم الى نحوه عثر بالصحن فكسره وهو لا يراه فتكدر وقال لادمون لماذا الصحن هنا اجابه اني غسلته وابقيته هنا فكان يجب ان تنظر امامك وتنتبه غير انه يلزم ان تبقى الطواية فهي لاتنكسر ابداً فالتزم السجان ان يترك الطواية عنده ثم قفل عني ادمون الباب وذهب فقام ادمون واكل الطعام كله واخذ الطواية وجعل يزيل بمسكتها الحجر الذي كان يشتغل فيه

قبلاً حتى اتم عمله فيه وشكر الله على ذلك وقد كاد يطير من الفرح وقال في نفسه لماذا كنت متغافلاً كل هذه المدة عن السعي بخلاص نفسي ولي الان نحو ٦ سنين اقاسي عذاب السجن ثم رفع صوته وقال اشكرك يا الله على التفاتك اليّ فانت الذي اخرجت يوسف من السجن وصيرته ملكاً فلا تترك مظلوماً ولا تساعد ظالماً وبينما هو يشكر الله اذ سمع صوتاً يقول له من انت ايها الحاكي المبتهل فانذعر ادمون ورجف وخاف من الفضيحة غير انه تشجع لما رأى ان الصوت غريباً حيث كان من نحو ٦ سنين لم يكلم سوى سجانه فقال قل لي من انت قال صاحب الصوت لا بل قل لي من انت اولاً قال انا ادمون دانتاس قد سجنت من ٦ سنين في هذا المكان فقال لي وماسبب سجنك فقال اتهموني باني من حزب نابليون قال وهل نابليون لايزال جالساً على كرسي فرنسا قال لا اعرف قال كيف لا تعرف ولك من سنة ١٨٩٤ وانا لي من سنة ١٨١٥ وقد جرت معركة عظيمة في تلك السنة وقد رجع فيها نابليون الى فرنسا ولا اعرف ما صار بعد ذلك فقال ادمون انا مسجون من سنة ١٨١١ فما لنا ولذلك ولكن اخبرني من انت ليرتاح بك ضميري فقال قل لي اولاً من انت قال انا ادمون في اوضة ١٤ قال اوصيك يا ادمون ان تترك الحفر لاني انا الخوري فاريا وقد يزعمون اني مجنون وقد اشتغلت بالحفر من زمن طويل املاً باني اصل الى البحر حيث يمكنني من هناك الفرار فاقتادني الحفر الى حجرتك فلا امل لي ولا لك ولا نفع بذلك ولكن قل لي يا ادمون كم سنة عمرك فقال لا اعرف عمري ولكن اظن انني في ٢٧ فارجوك يا سيدي ان تتم الحفر لانه لم يتيسر لنا الفرار فاننا نتعاون عليه في المستقبل وانا اخدمك بكل جهدي واعدك بكل امانة فاسألك بالله ان لاتتركني وكن مرتاحاً من جهة الحفر فان بابه واقع تحت سريري ولا احد عالم به ولا يمكن ان يظهر فقال الخوري اذاً من كان في سنك فيجب ان يكون اميناً فاذا اطلعتك على سري هل تبوح لاحد قال ادمون لا ابوح بما تودعنيه ولو قطعت ارباً فوثق

الخوري بقوله وقال له انتظر فاني قريباً اكون عندك فصبر كل ذلك النهار ولما اقبل الليل سمع دقاً على الحائط فاجابه ادمون بمثل دقه وكان قصد الخوري ان يعلم اذا كان مستيقظاً ثم قال له انتبه يا ادمون فاني ساكسر ما بقي من هذا الحجر ويرتفع الحاجز بيننا فاخذ ادمون بكل قوته يساعده في عمله وفي برهة قليلة فتح دهليز بين حجرة الخوري وحجرة دانتاس فدخل الخوري عليه وحياه ثم ذهبا الى تحت نافذة ينبعث منها قليل من اشعة كواكب السماء ليرى كل منهما صاحبه ويعرف صفات وجهه ثم قال الخوري لادمون ارفعني الى هذه النافذة لانظر ما وراءها ولايمكننا اذا حفرنا هذا الحائط ان نجد سبيلاً للفرار فرفعه ادمون الى ان صار باعلى النافذة ثم اشار اليه ان ينزله فانزله فقال لاسبيل من هنا للفرار فقد نظرت الخفر واقفاً فقد كاد ينظرني لو لم اسرع في النزول فهل انت لا توجد عندك آلة للحفر كالآلة التي عندي قال كلا فمن اين لك هذه الآلة . قال الخوري قد استصنعتها من مسامير سريري ولي الان نحو سنتين ادوام الحفر املاً باني انتهي الى جهة البحر فارمي بنفسي هناك وحيث احسن السباحة فاتخلص الى احدى الشواطئ ومنها اسير الى استخراج كنزي الذي ساُطلعك على قصته قال ادمون وما هو سبب سجنك قال اني كنت آخذ بعمل سياسي يعود نفعه على الفقراء فاتهموني بالجنون ولكن دعهم يفعلون ما يريدون فقال ادمون وهل لم تزل مصمماً على الفرار فقال ان ذلك راجع للعناية الم اقل لك اني قد اشتغلت اكثر من سنتين بحفر هذا الدهليز وكان ما يقع من التراب اثناء حفري ارميه من النافذة العليا لئلا يظهر اثره ولما تم عملي وتيقنت الفرج وقعت في سجنك وقادني حظك اليك ثم وقع الخوري مغشياً عليه فاسرع ادمون وانهضه ورش الماء على وجهه حتى افاق . هذا وادمون يفتكر بذاته كيف ان هذا الشيخ يجد سبيلاً لنفسه ويسعى بالخلاص وهو هامل لايفتكر من نحو ست سنوات بايجاد طريقة للهرب مع ان الشيخ اذا رمى نفسه بالبحر ربما يضعف جسمه ويغرق ولا

يحسن السباحة كأدمون الذي صرف كل حياته في لجج البحار ثم قال للخوري انه طرق ذهني طريقة جديدة اظن بها يتسهل لنا الفرار فقال الخوري وما هي قال هي ان نثقب هذا الحائط وعند النهاية منه اضرب انا الحارس الذي يحرس الباب الخارجي فاقتله واذ ذاك فلا يعود يعوقنا احد فقال له الخوري وقد اظهر الكدر الا تعلم ان قتل النفس حرام فلا يمكننا ذلك فاذا وجدت طريقة خلاف هذه فابدها قال لم ارَ غير ما ذكرت ثم مضى عليهما مدة طويلة وهما على هذه الحالة يجتمعان ويفترقان دون الحصول على طريقة الفرار فعند ذلك قال الخوري لادمون هل عندك قوة كافية لنوال المقصود . قال هي فوق ما تظن ثم اخذ قطعة الحديد فاثناها ثم ردها كما كانت فقال الخوري كفانا ذلك غير انه ينبغي ان تعاهدني انك لا تقتل الحارس الَّا بعد اليأس والعجز عن كل الوسائل فاقسم له ادمون ان لا يضر احداً بسبب فرارهما فقال اذاً يمكننا الان ان نأخذ في العمل ولو كنا نحتاج الى سنة او اكثر ولا ينبغي ان نضيع الفرصة بالبطالة فقال ادمون كان يجب ان نقول ذلك من قبل هذه المدة التي اضعناها بالكسل قال وان كنا لم نعمل فيها عملاً انما كانت سبباً لتعلمك اموراً كنت تجهلها ويجب ان تكون صبوراً على حوادث الايام فخجل ادمون وقال اعذرني يا سيدي فقد غشي على بصري فرحي بالفرار لاني متلهف الى مشاهدة الاحباب ثم توجه كلٌ الى محله واقاما برهة في سجنيهما ثم اجتمعا واعتمدا على ان يحفرا بزاوية السجن تحت الارض حتى ينتهيا الى الخلاء ومن هناك يدبران ما ينبغي ففرح ادمون واستبشر بالخلاص بعد قطع الرجاء وباشرا العمل عند كل فرصة لاسيا في الليل وكانا يرميان التراب الذي يخرج من الحفر من تحت طاقة سجن ادمون العالية المطلة على البحر . وبكل اعتناء وحكمة تما العمل وانتهى الحفر بعد مرور سنة وكان الخوري في كل هذه المدة يدرس ادمون ويعظه ويهذب اخلاقه كاعظم اساتذة المدارس العليا حتى مهر وتمدن ولسوء حظ الخوري فاريا اعترته حمى

في ختام فراغهما من الحفر. وساعة عزما على النزول فيها استحصل ادمون على قطعة خشب ووضعها معارضة لتساعدهما في النزول ثم نظر الى استاذه فوجده يرتجف وهو في حالة مرض شديدة فقال له ما هذه الحالة ياسيدي فشدد عزمك وساعد نفسك على النهوض فالان وقت اظهار العزيمة. فقال الخوري قد مرضت الان فلا سبيل الى الفرار فاصبر ولا تعرض الى الموت نفسك واعمل معروفاً خذني الى سجني واسقني من زجاجة هناك فيها شراب احمر خوفاً من ان اكون عندك فيطلع السجان على دسيستنا فيفرق بيننا فذهب به الى سجنه ووضعه على فراشه الى ان زالت عنه الحمى قليلاً. ثم قال لادمون كلما نظرت الحمى قد اشتدت عليّ اسقني من هذه الزجاجة خمس او ست نقط واذا رأيتني قد اخذت في الصراخ فلا تخف بل ضع يدك على فمي وبينما كان يكلمه اشتد عليه دور الحمى فصار يصرخ فوضع ادمون يده حالاً على فمه وجعل يسقيه من ذلك الشراب الى ان استكن قليلاً واذ ذاك فتح الخوري عينيه قليلاً واشار بيده الى باب غرفته فالتفت ادمون فسمع صوت مشي وفي الحال رجع الى غرفته شاكراً فضل معلمه الذي لم يلهه المرض عن الانتباه والتيقظ وبعد ان خرج السجان من عند الخوري ذهب الى ادمون كعادته ثم رجع الى سبيله فرجع ادمون الى الخوري وقال له اني اشكرك كل الشكر يا سيدي فقد ايقظتني ونبهتني مع اني من عظم كدري من حالتك وغمي من مرضك لم اعد اقدر ان اعرف نفسي في اي محل انا. فقال الخوري بالحقيقة انك مستقيم وصادق فارجوك ان تسامحني على سوء ظني بك لاني تصورت انك تفر من الحفرة وتنجو بنفسك وتتركني وحدي ولا الومك على ذلك اذ لا يمكنني انا الفرار ولا ريب في موتي. فقال ادمون معاذ الله فان الحمى ستزول عنك قريباً وحينئذٍ نهرب سوية قال ان الدور الاول كانت حماه خفيفة جداً بالنسبة الى الثاني واظن اذا اتاني دور ثالث تضعف قوتي وتنتهي بالاعدام وكيف يمكنني الهرب وانا لا اقدر على المشي ولا تساعدني قوتي على السباحة لنصل الى البر

الثاني من هذه القلعة . فقال ادمون اني احملك وانجو بك والله يساعدني على ذلك فضحك الخوري وقال اذاً يمكنك الآن ان تفر وحدك وتتركني فلا رجاء لي بالفرار الان . فقال ادمون لا اتركك وامضي ولو بقيت حياتي بطولها في السجن فلما رأى الخوري منه الصدق والامانة على وداده قال له اني لا بد ان اكافئك على جميلك هذا متى نجونا واما الان حيث لا اقدر على الفرار فاذهب وسد باب الحفرة الخارجي لئلا يقف عليه الحارس وليس من الصواب ان يبقى مفتوحاً فاسرع ادمون وفعل كما امره استاذه الخوري ورجع اليه فوجده جالساً على سريره وبيده ورقة رثة وقبل ان يتكلم ادمون قال له خذ يا ادمون هذا الكنز العظيم فاخذها وقال كيف تكون هذه كنزاً كما تقول وهي ورقة سوّدتها حرارة النار وعليها اسطر غير ظاهرة كالواجب . فقال نعم يا ولدي هي كنزي الذي لك نصفه هبةً مني فتبسم ادمون وقال في نفسه رجع الى الجنون كما كانوا يقولون عنه وحزن لذلك حزناً شديداً وقال كيف تقول هذه الورقة هي كنزك العظيم قال نعم هي بدون ريب اعظم كنز مثبوت عندي ولا شك في انه داخلك الريب من كلامي وظننت ان كلامي هـذا هو من قبيل الجنون مع انه بالحقيقة ناتج عن عقل ثاقب وهكذا الكنز الذي سرت اليه برفقتي يكون لك نصفه وان لم اخرج من سجني فتوجه اليه واخرج ما فيه فهو لك وينفعك فقال ادمون دعنا الان من هذا الكلام وفي الغد نتحدث به قال يمكن في الغد تأتيني الحمى فلا اعود اقدر ان اكلمك الان فهز ادمون رأسه واعرض بوجهه . فقال الخوري انك لا تزال غير مصدق فان شئت قدمت لك برهاناً من سر هذا الكنز ووجوده قال ما هو البرهان . قال اقرأ الورقة التي بيدك تقف على الحقيقة قال كيف اقرأها وهي كانت ضحية النار وكثير من كلامها مفقود قال اني اعرف الكلام المفقود . فبينما هما على ذلك سمعا صوت مشي السجان فرجع ادمون الى غرفته ودخل السجان الى الخوري فاريا وسأله عن مرضه فقال له اني مرتاح جداً ولم اشعر الان الّا بتأثيرات خفيفة

وقال له ذلك خوفاً من ان ينقله الى سجن غير هذا فيصعب عليه انفاذ غاياته فتظاهر امامه بالشفاء والعافية . وبقي الخوري وحده الى المساء لان ادمون تركه وقد ظن ان كلامه ناتج عن جنون لا سيما وللحمى تأثيرات كثيرة مثل هذه . فبينما هو جالس يفتكر في حالته شعر بان الخوري زاحف اليه فلاقاه ادمون باكياً فقال له لما لم تأتيني قال تركتك لتنام لعلمي ان النوم يريحك ويقويك ولتتأكد انى لعظم كدري مما اصابك لم اذق الطعام فقال الخوري اصغ لي لاتمم لك الكلام عن الكنز قبل موتي لانه ربما لا تعود تنظرني فيما بعد ولا تظن اني اكلمك عن خرف او جنون لان لهذا الكنز قصة مثبوتة عندي فان شئت اطلعتك عليها قال احكها لي يا سيدي قال الخوري اعلم ان وظيفتي الكنائسية دعت بعض الامراء ان يدعني أقيم عنده لارشاده والصلاة له وكان هذا الامير ذا غنى ومال لا يحصى وبه ميل للخزن والطمع فلما تغلب نابليون على ايطاليا وكان من اللازم للحرب نفقات كثيرة ولم يكن في وسع الحكومة وقتئذٍ ان تدفع بارة واحدة لفراغ خزنتها وكانت الحكومة تتأكد ان المال المطلوب يوجد اضعافه عند هذا الامير فطلبت منه فانكر وفي الحال جمع كل ما في وسعه أن يجمعه من مال وجواهر واخفاه في مكان وكتب وصية الى ولده الذي كان وقتئذٍ غائباً لا يعلم ماذا عمل ابوه ولا يعرف المحل الذي وضع فيه المال والجواهر ولم يذكر له بورقة الوصية عن المال شيئاً بل كتبه في التحرير واخفاه في كتاب صغير وارسل يطلب ولده ان يحضر ليطلعه عليه وتحرير الوصية هو الذي كان بيدك في صباح هذا اليوم وكانت الحكومة كلما شددت عليه الطلب امتنع واظهر الانكار واذ كان له اخصام كثيرون من رجال الحكومة ادعوا ان المال الذي عنده هو اختلاس فوضع في السجن وبعد ذلك حضر ولده فطلبوا منه المال فلم يكن يعرفه لجهله ما فعل ابوه فلم تصدقه الحكومة وفي الحال اقرنوه الى ابيه غير ان بعض اعداء الامير اوشوا الى السجان فدس لهما السم في الطعام فمات الوالد والولد معاً وبقي المال مدفوناً

واذ لم يبقَ للامير وارث بقيت انا في قصره اصلي له على نفسه مدة ايام وسمحت لي الحكومة ان اقيم فيه وبقيت ثلاث سنين مقيماً في بيت الامير المتوفي وكان اكثر عملي مطالعة الكتب الموجودة في مكتبته الى ان وصلت الى مجلد صغير كنت ارى الامير دائماً يطالع فيه فاخذت اتصفح صفحاته وقتاً فآخر حتى عثرت بورقة عليها اثار كتابة غير ظاهرة فلم اعتنِ بها ولا افتكر فيها الى ان كان ذات يوم بقيت اطالع في ذلك الكتاب حتى ادركني الظلام فناديت الخادم ان يحضر لي المصباح فلم يجبني احدٌ وبقيت الى ان ضجرت نفسي فاخذت الورقة لاشعلها من قنديل الدار واشعل بها قنديل حجرتي فريثما ضربت عليها حرارة النار وضحت احرفها وبانت نوعاً فاطفئت ما كان قد التهب منها وبعد استعمال وسائط اخرى قدرت ان اقرأ كامل ما في تلك الورقة من الكتابة واذا هي وصية الامير الى ولده وقد كانت التهبت فكتبت ما هو ناقص منها فاقرأها يا ادمون فتعرف ما قلته لك فقرأ ادمون حينئذٍ ما بها واذا هو :

اني انا الامير سنبار المحرر امضاه بيده ادناه اوصيت الى ولدي الوحيد كامل الكنز الذي اخفيت فيـــه اموالي التي مقدارها ١٣ مليون فرنك وجواهري وسبائك الذهب والفضة المدفونة فيه في جزيرة مونتو كريستو في زاوية المغارة الغربية التي زرتها مع ولدي في نفس الجزيرة ولولدي وحده الحق في الاستيلاء على كل ما يراه هناك دون معارض ولا مشارك

فلما وقف ادمون على معنى الرسالة داخل عقله صحة قول استاذه وشاركه في الرغبة والحصول على ذلك الكنز ثم قال للخوري وبعد ان وقفت على ذلك التحرير وعرفت بالوصية ماذا عملت قال سرت واخذت ابحث في تلك الجزيرة على المغارة المذكورة فلم اقدر ان اعرف مركزها وبقيت الى ان وقعت بيد البوليس وبعده وضعوني في هذا السجن وكنت كلما فهت بكلمة من جهة الاموال والجواهر يضحكون عليَّ وينسبون لي الجنون والان قد نذرت على

نفسي اذا خلصني الله من هذا السجن اقتسمت موجودات ذلك الكنز بيني وبينك مناصفة واذا قضي عليَّ ومتُّ وفزت انت بالفرار فاقصد ذلك المكان واستخلص المال لنفسك فقال ادمون وعلى فرض انه وجد هكذا كنز كيف يمكني التصرُّف به وللامير وارث قال لك البشرى بان لا وارث للامير غير ولده الذي مات معه فقال اذًا انت احق به قال اعلم انك ولدي ووارثي فان تخلصنا فهو لي ولك والَّا فهو ميراثك مني لانك شاركتني في السجن وعاملتني معاملة الولد فانت نصيري وساعدي وسلوتي ثم مدَّ ذراعيه واعتنق ادمون وهو يرتجف من شدة وقوع حمى جديدة وقعت عليه وقتئذ

الفصل الثامن

في موت فاريا وخلاص ادمون

فلما وقف ادمون على حقيقة الحال ولاح له وجه الصدق في قصة الكنز اخذ الطمع يلاعب انكاره حتى صار يتيقن ان ذلك الكنز صار في حوزته وصار يحدث نفسه ويقول ما اجمل حصولي على هذا المال فانه يمكني بواسطته ان اخفي نفسي بعد فراري واقدر ان اساعد فقر ابي الشيخ الذي لا بد انه يكون في حالة صعبة من الضنك والاحتياج ويمكني ايضاً ان احصل على خطيبتي مرسيداس التي لا شك انها تنتظرني في كل دقيقة بفروغ صبر وعزم اخيراً ان يحمل الخوري على اكتافه ويقرّبه الى جزيرة مونتو كريستو (وهي على جبل صغير بوسط البحر قرب ايطاليا) غير ان الخوري كان لا يطاوعه على ذلك حتى بعد ايام قليلة سمعوا صوت بناء خارج الحائط الذي كانا يؤملان الفرار من جهته وقد تغير محل الحارس الى جهة اخرى حتى خاب سعي فاريا وادمون فعض ادمون على كفه ندماً وبات ينتظر فرجاً آخر وهو في اشد حزن وكآبة على فوات تلك الفرصة وصارت الايام تمضي عليهما وكل يوم بمقام سنة لا سيما عند ادمون الذي كان قد تأكد الفوز وتأمل بالخلاص وملاقاة

حبيبته ووالده وكان يصرف كل دقيقة من وقته بالتفكر والهموم الى ان كان بعض الليالي بينما هو في هاجس وهادس عظيمين اذ سمع صوت الخوري يناديه فاسرع اليه فوجده في حالة اليأس وقد اشتدعليه مرضه فكان يتوجع ويتململ ويئن فلما نظر ادمون حالته بكى من شفقته عليه وعزم على احضار السجان فمنعه الخوري وقال له تذكر انك في سجني وان ذلك يضرك جداً الّا انني اطلب اليك ان تسقيني جرعة من الزجاجة واذا رأيت المرض قد زاد فاسقنيها حالاً كلها واذا لم يجد في ذلك نفعاً وقد قضي عليّ فاتركني واذهب الى غرفتك خوفاً من الافتضاح فبكى ادمون من كلامه وقد توسم في وجهه علامات التلف فسقاه الزجاجة كلها ووضع يده تحت رأسه فنظر اليه فاريا نظرة الوداع وقال له الكلمة الاخيرة لا تنسَ جزيرة مونتوكريستو ثم شهق شهقة قوية قضى بها نحبه وفارق دنياه فصاح ادمون واعزيزاه ثم جعل يقبله ريثما سكن روعه ولما تأكد وحدته تركه ورجع الى سجنه وبات ينتظر ما سيجري على جثته وبعد مدة حضر السجان كعادته فوجد الخوري قد مات فسار واخبر مأمور السجن فحضر ومعه الطبيب ففحصه واكد موته ثم انهم كفنوه وقفلوا عليه السجن وذهبوا وبعد ذهابهم دخل ادمون فاعاد عليه البكاء والنوح وندبه طويلاً وقد تأكد عنده انه سيبقى وحده وقد خسر رفيقه ومعلمه الذي علمه فضائل شتى وقد خطر له اخيرا انه ينادي السجان فيقتله ولذلك يحكمون عليه بالقتل فيرافق الخوري في مماته ويرتاح من عيشته التعيسة الّا انه تذكر جزيرة مونتوكريستو فامتنع وطرق ذهنه امر تأمل فيه النجاح وقال في نفسه ان كان لا يخرج من الذين يدخلون هذه القلعة الّا الاموات فالاوفق ان اشق كفن الخوري الميت واقيم مكانه واضعه تحت السرير وادرج في الكفن ومتى اخذني الحاملون وقصدوا دفني اشق الكفن بهذه السكين الذي ابقيتها معي واقتل بها ايضاً الحاملين وهكذا فعل وبقي داخل الكفن بعد ان ادخل السكين معه . وبعد مضي ساعات قليلة حضر

اثنان من الضابطة والسجان فوقف السجان بالباب واشار الى النفرين ان يحملا الكفن فتقدما اليه فحمل الواحد من رأسه والآخر من رجليه وكان ادمون لما شعر بهما قطع تنفسه ولما حملاه كان كقطعة من الخشب فلم يلتفتا يميناً ولا شمالاً ولا نظرا جثة الخوري بل ربطا الكرة في رجلي ادمون خارج الكفن ومن ذلك كان يشعر بثقل عظيم كان لا يعرف السبب لذلك الّا انه افتكر ربما كان عزمهما ان يرمياه الى البحر وهذه الكرة لتغرقه الى اعماق البحر . وقد اصاب ادمون لانه كان من العادة ان كل من مات في القلعة من المسجونين يربطون رجليه ويدفنونه في بطون الاسماك التي تسكن البحر المحيط بتلك القلعة وما زال النفران يحملانه والسجان خلفهما حتى وصلوا الى البحر فقال احدهما بما ان الليل مظلم جدًّا فلنرمه من هنا ولا سيما ان البحر في اضطراب وهياج . فقال الآخر ارمه فقد مات الخوري غريباً فكيف يبالي بهياج البحر او سكونه فانتهرهما السجان وقال لا ترمياه من هنا بل تقدما الى فوق العمق لان الميت الذي مات قبله بقي على الصخور وقد انتن وقاسينا من رائحته اشد الكراهة والضجر فتقدما وكان المكان مرتفعاً والبحر يخبط بشدة على الصخور فيسمع له صوت قوي حتى ان ادمون كاد يصرخ من الخوف لانه تيقن انه هالك لارتفاع المكان وكثرة الصخور غير انه فضل ان يرمى بالنار ولا يعود الى القلعة وتذكر ان السكين معه فيشق الكفن بها قبل وصوله الى الماء وقال في نفسه من لا يخاطر لا يروق له خاطر وبينما هو على ذلك اذ سمع كلام حامليه وسمع ايضاً انهما عدا واحد اثنين ثلاثة . وقذفاه فشعر بخروجه من ايديهما وفي الحال مزق بكل قوته وبسرعة كلية الكفن قبل ان يصل الى الماء لانه كان لا يرى ما تحته ولهذا لم يشعر بعد ذلك الّا وهو في الماء وقد نزلت به الكلة المربوطة في رجليه الى الاعماق وعند ذلك لم يضع فكره لما وجد نفسه وصل الى الماء حيّاً الّا انه لما نظر ان الكرة المربوطة برجليه ربما كانت سبب هلاكه اسرع فقطع الرباط بسكينه وخرج

على وجه الماء والامواج تتلاعب به فترفعه تارة وتسقط به اخرى وحيث ان مهنته التوتية كان يقدر على السباحة ويعرفها معرفة جيدة فصار يغطس مرة ويسبح بسرعة اخرى خوفاً من ان يطلع الفجر فيكون حول القلعة منظوراً منها وكان يسرع ايضاً لعلمه ان السجان في الصباح يفتقده فلا يراه ولا بد من ان يرى جثة فاريا فيتأكد ان الذي رموه هو وينظر السرداب ويعرف كل شيء. فيطلبونه وان مسكوه ربما لا يعود يتخلص فيما بعد . وكان كما كانت تتلاعب به امواج البحر كانت تتلاعب به امواج الافكار ولهذا كان سابحاً بين تيارين عظيمين قويين وما زال حتى بعد عن القلعة وقد كلت يداه من التعب وانحلت قواه فكان يتجلد ويصبر على نفسه حتى لاح له عند ما انشق الفجر صخور قريبة منه فقصدها وصعد عليها ليرتاح وهو في اعظم تضايق وتعب ولم يستقر عليها حتى شاهد قريباً منه مركباً متضايقاً من قوة الامواج وقد وقع شراعه الى البحر ثم تكسر مقدمه وتفرقت الواحه من بعضها وغرق ملاحوه ولم ينجُ منهم احد فتكدر لذلك وعول على العوم الى هناك عله ان يخلص واحداً من ملاحيه الّا ان ضعف قواه منعه لانه تذكر انه غير قادر على ذلك وفي اقل من ربع ساعة رجع الى البحر السكون والهدو شيئاً فشيئاً واذ ذاك ظهرت له مركب خارجة من مرسيليا وكانت الريح طيبة معها فكانت تفتخر بسرعة مسيرها الموافق فعلم ادمون انه اذا قصد تلك المركب ينجو لا سيما وكان يعلم انه باقٍ لميعاد دخول السجان الى غرفته نحو ساعة ونصف تقريباً فيمكن ان يدرك المركب بمقدار نصف ساعة ولكن كان يصعب عليه ماذا يقول لهم اذا سألوه عن حاله وبناء عليه رمى نفسه الى البحر قاصداً المركب وصار يسبح بسرعة وهو يصيح وينادي والمركب سائرة دون الانتباه اليه فجعل يعلو على وجه الماء باكثر من نصف قامة ويصيح وبالتقادير وجد برنيطة احد ملاحي السفينة المفقودة فجعل يلوح فيها ويكثر من الصياح حتى رآه من بالسفينة فانزلوا قارباً اليه فادركوه وانتشلوه من الماء

وفي الحال البسوه من ملابسهم ما ستر به جسمه وكان قد لاقى في هذه المرة عذاباً اليماً ولو لم يكن من اشد السابحين واقدرهم لما قدر ان يدرك تلك السفينة السائرة بقوة الرياح حتى لم يعد بينه وبينها مسافة مرمى صوت كصوت ادمون ولما صار في القارب كاد ان يغمى عليه فاخذوا يفركون رجليه ويديه ليدفئ ولم يكن الا قليل حتى وعي ورجع الى نفسه ففرح بخلاصه فرحاً لا يوصف وشكر مخلصيه فسألوه عن سبب وقوعه في البحر فاظهر انه ايطالي وكان احدهم يفهم اللغة الايطالية . فقال انا من بحرية جزيرة مالطة وقد كنت في موكب مشحونة خمراً فانكسرت بنا المركب في هذه الليلة واظن ان القبطان والنوتيين الثلاثة هلكوا غرقاً ولو لم تدركوني لغرقت انا ايضاً فجزاكم الله عني خيراً ثم ساروا به الى المركب واخبروا به الرئيس الاول فوكل به رجلاً نوتياً اسمه يعقوب وكان هذا الذي سعى في خلاص ادمون واجهد نفسه في اخراجه من جوف البحر ولهذا كان يميل اليه ايضاً لانه مخلصه بعناية الله ثم قال له الرئيس والان ماذا تريد ان نعمل بك والى اين تريد ان تذهب فقال حيث اني ماهر في صناعة البحر فان شئت فاقبلني مع نوتيتك اخدمكم في هذا المركب لبينما تصلون الى المحل الذي تقصدونه وعند الامتحان تعرفون صدق مهارتي في هذه الصناعة فقال احد النوتية وانا ايضاً اطلب من جناب رئيسنا ان يوظفه في مركبنا لانه يظهر انه ماهر جداً ونحن في احتياج اليه فقال الرئيس نخاف من ان لا يكون كما يقول فيضيع الصنيع معه فقال ادمون عند الامتحان تعرفون حقيقة قولي فقال القبطان نحن ذاهبون الى ليفورنا فخذ شراع المركب ودبر امرها . فاستلم هذه المأمورية وغيّر ترتيب الشراع وشد بعض حباله وارخى البعض فخرجت السفينة تشق البحار وضاعفت سيرها فسر الرئيس بعمله وقال له بالحقيقة انك نوتي ماهر فقال ادمون حيث عرفتم ذلك فاني ارجو ان تقبلوني الى ان اصل الى ليفورنا ومن هناك اتركوني فاتوصل الى اهلي فقال القبطان تعاطى الان مأموريتك

ومتى وصلنا الى هناك ننظر في امرك فعاد ادمون عن الرئيس . وكانت هذه المركب اكثر شغلها تهريب البضائع وتوصيلها الى اصحابها بدون دفع الرسم المعتاد وهكذا كان يعرفها عموم التجار ثم اعطوه ملبوسات كافية لتدفئته وكذلك اعطاه يعقوب بعضاً من البقماط والجبن فاكل وسقاه قدحاً من الكونياك. وفي اثناء ذلك سمع اطلاق مدفع من قلعة شاتوديف فاصغوا واذ اتبعه صوت مدفع ثانٍ فتعجبوا واصغوا فلم يسمعوا بعد ذلك شي. فقال الرئيس اظن ان احد المسجونين قد فرَّ من القلعة فاطلق المدفعان تنبيهاً للتفتيش عليه وافتكر انه ربما كان ادمون هو المسجون الفارّ غير انه قال في نفسه ولو فرض انه هو المقصود فماذا يعنيني من امره وخلاصه ومساعدته اوفق من الاخبار عنه ورميه بالمهالك . واما ادمون فخفق قلبه وخاف ان يظن به الرئيس سوءا فيسأله عن ذلك فماذا يجيبه وعلى ذلك قال ليعقوب كم يوم مضى من هذا الشهر قال له اليوم الذي نحن فيه هو اليوم الثامن والعشرون من شباط فما هو السبب الذي تسأل لاجله قال قد نسيت ذلك لعظم ما طرأ عليَّ من الاخطار والعذاب في الماء حتى اني نسيت السنة التي نحن فيها . فقال يعقوب هذه سنة ١٨٢٩ فافتكر ادمون انه قد مضى عليه ١٤ سنة في السجن وكان سُجن في سنة ١٨١٥ فصار عمره الان ٣٣ سنة . ثم تذكر اباه ومرسيداس خطيبته فتمنى ان يطير ليشاهد ماذا جرى عليهما كل هذه المدة ثم تذكر في عمل دنكلار وفرنان وما اوصلا اليه من الاذى والضرر حسداً منه فعزم على مكافأتهما بالشر مقابلة لعملهما معه وبينما كانت السفينة سائرة عرض الرئيس على ادمون ان يكتب معه كنتراتو على ثلاثة اشهر لان شجاعته ومعرفته قد اعجبا الرئيس ورأى في نفسه انه محتاج اليه بتهريب البضاعة فقبل ادمون وكتب سنداً على نفسه بذلك وقبض اجرة الثلاثة اشهر سلفاً وما زالوا في سيرهم حتى وصلوا الى ليفورنا فنزل ادمون الى البر وجال في المدينة ثم ذهب الى حلاق فازال شعر وجهه وقص من شعر رأسه ونظف اوساخه وبعد ذلك

اشترى بعض ملابس يحتاج اليها وعاد الى المركب فترحب به الرئيس واقام في عمله وكل هذه المدة لم يفارق يعقوباً وكان الوداد يتمكن بينهما جداً .
وطلب الرئيس الى ادمون ان يغير الكنتراتو الى مدة اطول فاجاب عند الفراغ من المدة انظر اذا كان يمكن ذلك لاني لا انكر معروفك معي فطمن الرئيس بانـه اذا لم يصر له مانع لا يترك المركب وبقي الى ان قربت المدة المذكورة وكانوا في تلك المدة يمرون بجزيرة مونتوكريستو فصعدوا اليها مرة في النهار فسأل ادمون النوتيين اذا كان في الجزيرة مغارة فلم يعرفها احد وكان يجول في فكره كلام الخوري فاريا الذي ترجح عنده فعول على الفحص والاستكشاف غير ان تلك المرة لم يمكنه لانهم كانوا عازمين على السفر فسافروا وقد زادت رغبة ادمون في الوقوف على الكنز ولحسن الحظ توافق قبطان المركب مع قبطان مركب آخر وارد من القسطنطينية على نقل بضائعه وتهريبها من الكمرك الى البر وهي بسط وسجادات تركية وشالات عجمية فشاور الرئيس ادمون من اي جهة ينبغي اخراج هـذه البضاعة فقال ادمون ان هذه البضاعة هي ثقيلة ونخاف من الاكتشاف عليهـا فالاوفق اخراجها من جزيرة مونتوكريستو لبعدها عن الخطر وعدم وجود ساكن فيها فاستحسن الرئيس قوله وقادوا مركب القسطنطينية الى الجزيرة فنقلوا البضائع من المركب المذكور الى البر حتى فرغوا وقبضوا الاجرة وجلسوا للأكل عند شاطىء الجزيرة فاستأذن ادمون من ارفاقه والقبطان وقال لهم ان مرادي اتفرج في الجزيرة واتصيد لي شيئاً من الوحوش ثم اخذ سلاحه وجعل يقفز على صخورها مظهراً على نفسه انه يطارد الغزلان فاصطاد شيئاً من الماعز ورجع في الحال دفعه لهم ففرحوا به ورجع هو بعد ذلك واوسع بين صخور تلك الجزيرة وادغالها حتى غاب عن اعينهم فصبروا عليه برهة فلم يرجع فداخلهم الخوف عليه فتأثروه حتى ادركوه فوجدوه ملقى الى الارض مغشياً عليـه فاخذوا يعطونه من المنبهات ويغسلون وجهه بالماء الى ان فاق

فطلبوا منه ان يذهب معهم الى المركب فأبى وقال اتركوني هنا واذهبوا فاني غير قادر على السفر فقال القبطان لا يمكن ان نتركك وحيداً هنا ونسافر بل يمكننا الاعتناء بك في المركب . فقال ادمون اني اشعر بوجع اليم وضعف غير منتظر فاتركوا لي شيئاً من الطعام يكفيني نحو يومين او ثلاثة ايام لاني اود ان ابقى هنا لعلمي ان البحر والسفر ربما يزيدان مرضي فوافقوه على ذلك واعطوه شيئاً من البقسماط واللحم المقدد ودعوه وساروا متأسفين مما اصابه لا سيما يعقوب الذي لو سمح له الرئيس لكان بقي عنده وبعد ان غابوا عنه نهض كالغزال ورجع في التفتيش وكان ادمون قد اخترع تلك الحيلة فنجح وخلا له الجو فاخذ في الاستكشاف منفرداً

الجزء الثاني

الفصل الاول

في اكتشاف ادمون على الكنز

وجال ادمون في الجزيرة كثيراً فلم يرَ اثر المغارة ولا وقف على ما يدل على انه كان هناك مغارة ولهذا كان يضجر مراراً كثيرة ويعزم على ترك البحث والتفتيش غير ان فقره واملهُ حملاه ان لا ينقطع عن عمله الى حين اتيان المركب وكان كثيراً ما يرى الوحوش الضارية تمر بجانبه فيتجنبها او يرميها بالرصاص وبعد اليأس والتعب انتهى الى اكمة فوجد عليها صخراً فتأمل فيه واشتبه في ان وضعه طبيعي وان باب المغارة وراءه لانه محكم الوضع وكان مسنداً بحجارة صغيرة فازال الحجارة المسند بها فظهر له من ثقب مقداره خمسة قراريط مربعة خلاء تحت الصخر فذهب الى شجرة صغيرة فقطعها واستعملها كالمخل

فوضعها تحت الصخر واخذ يشد بكل قوته فلم يقدر ان يحرك الصخر فارتبك في امره وكاد يقع من عظم ما دهاه لانه تيقن ان هناك الكنز لان هذا الصخر لم يوضع على فم هذا الخلاء الا لاسباب اصدقها ما كان سمعه من الخوري في سجنه وبعد التفكر تذكر ان معه بارودا فوضع منه في ثقب طبيعي بالصخر ودكه كما يدك اللغم واشغله بحسن معرفته وبدقائق قليلة اطلق اللغم وصار بالجو قطع كثيرة من ذلك الصخر وبعد ذلك قرب ادمون من الصخر فوجد ما بقي منه بعيداً عن مركزه الاصلي وقد انكشف باب المغارة فطار من الفرح وحالاً اسرع في النزول فيها حتى انتهى الى اسفلها فجعل يدور في المكان الموضوع فيه المال فلم يرَ له اثراً ووقف محيراً وكان باطن المغارة معتماً قليلاً لبعده عن النور الطبيعي الذي كان ينير سطح الجزيرة وبينما هو يفتكر اذ عثر برجليه على حلقة من حديد فتشجع ومسك الحلقة ودفعها واذا به طبقة من حجر فانكشفت عن درج فنزل فيه وقد تعجب جداً وفرح فرحاً لا يوصف فوجد عند اسفل الدرج نافذة ينبعث منها نور الشمس ورأى ايضاً مغارة ثانية الى الجهة الشمالية فاخذ فاسه وجعل يضرب به على حيطان المغارة حتى سمع عند وقع فاسه على الحائط صوتاً اشبه بصوت النحاس ففهم انه باب الكنز المقصود فكشفه واذا بغرفة صغيرة مظلمة فجعل يضرب بالفاس فيها حتى وقعت ضرباته على صندوق حديدي متين فتذكر ادمون كلام الخورق وكاد ان يعتريه الجنون من عظم فرحه فجلس الى الارض ليرتاح ويسكن خفقان قلبه ولم يكن يصدق ان ما نظره ورآه هو باليقظة وبعد ان سكن روعه وراق باله صعد الى ظهر الجزيرة فاحضر بعضاً من الحطب اليابس فانزله المغارة واشعل النار فنوّرت المغارة فظهر له صندوق الحديد جلياً ووجده مقفلاً بقفلين من حديد فكسرهما بفاسه ثم تخيل له انه ربما اتى احد وخلّص منه ما في الصندوق فلكي يثبت كل المال له دك بارودته وعزم على ان يطلقها على كل من يأتي لتخليص غنيمته ثم فتح الصندوق فانبهر

مما رأى وكاد يطير فرحاً وطارت نفسه شعاعاً لالتقاط تلك الجواهر واليواقيت وبقي هنيهة ينظر فيها نظر المرتبك لانها كثيرة لا يقدر على حملها فضلاً عن الاموال التي تصرف بين الايادي والسبائك الذهبية والفضية ونظر كثيراً من اللؤلؤ من الكبيرة والصغيرة مفرزاً وهكذا كان كل جنس من تلك الخزينة على حدة وكان لمعان الالماس والياقوت يغنيه عن تلك الشعلة التي اشعلها ومع ذلك لم يغفل ادمون عن ذكر الله الذي اوصله من ذلك السجن المظلم الى درجة يمكنه بها ان يعادل الملوك والامراء بل سجد وصلى وبعد ان فرغ من صلاته اخذ قبضة من اكثر الاصناف الموجودة في الكنز وصعد الى ظهر المغارة فسد بابها بالحجارة ووضع عليه التراب حتى لا يراه احد اذا صدف مروره من هناك مع انه يندر مرور بشر في تلك الجهة من الجزيرة وصار يقول في نفسه اني لست الان انا ادمون الذي كنت مسجوناً بل انا الامير سنباد لا بل انا نابليون الاول لا بل اغنى رجل في العالم ولذلك صار يمكنني ان اخفي نفسي واتوصل الى ما اريد .

وبقي ادمون في هواجس وافكار ناتجة عن فرحه الى ان اتى المركب ولما قرب من البر نزل ملاحوه ليفتقدوا ادمون فوجدوه بانتظارهم ولما وقع نظر يعقوب عليه رمى نفسه عليه واعتنقه وجعل كل واحد منهما يقبل رفيقه ويسلم عليه وسلم عليه البحرية وهنأوه بسلامته فشكر فضلهم ثم عادوا الى المركب فسلم على القبطان وقلعت المركب قاصدة ليفورنا حتى دخلوا ميناها فنزل الى البر وجال في المدينة برهة ثم قصد احد الصياغين الذين يشتغلون الجواهر فاعرض عليه حجراً اذا كان يشتريها فالتبس الرجل من الحجر كيف وصلت الى هكذا نوتي غير انه تأمل ان يأخذها منه بابخس الاثمان ولذلك دفع له فيها خمسة آلاف فرنك وسأله ان كان معه غيرها فباعه اربعة احجار من اصغر الاحجار التي اصحبها معه بعشرين الف فرنك وفي تلك المدة انتهت مدة الكونتراتو التي بينه وبين القبطان فطلب منه تجديد غيرها فابى ادمون

واعتذر له وخرج من مركبه وكذلك فعل يعقوب فانه ترك المركب بطلب ادمون الذي اشترى له مركباً صغيراً جعله رئيساً عليها ففرح بها يعقوب ثم امره ادمون ان يمر بمركبه على مرسيليا ويسأل هناك في الكاتالان عن شيخ يدعى دانتاس وعن ابنة تدعى مرسيداس ماذاجرى عليهما ويحمل فحصه هذا سراً دون ان يطلع عليه احد فاجابه وودعه وسار بمركبه وسافر ادمون الى جانيتا ولما وصل اليها رأى مركباً تباع موصى عليها رجل انكليزي فاشتراه منه بستين الف فرنك دفعها له من ثمن الجواهر التي كان يبيعها واحدة فواحدة حتى اجتمع معه مبلغ وبعد ان استلم المركب اخذ معه نجاراً وطلب منه ان يعمل له خزانة خفية في مكان غير منظور في حجرته الخصوصية ثم نزل في المركب وحده وسافر بها دون ان يصحب احداً حتى تعجب الناس منه كيف قدر ان يسافر دون نوتيين وقد قال البعض انه من الاسبانيول الماهرين بفن البحر وانه ذاهب الى بلاده والبعض قال انه متوجه الى جزيرة البا لانه لم يكن يقصد جزيرة مونتوكريستو اولاً بل عند ما تبطن البحار وخفي عن العيون قصد الجزيرة حتى وصل اليها ثاني يوم فارمى مرساة المركب وسلع البر وسار الى المغارة فوجدها مغطاة كما تركها فانزل التراب والحجارة ونزل اليها واخذ في ان ينقل ما ضمنها من الجواهر والاموال ووضعها في خزانة المركب حتى فرغ وعند ذلك اقام وحيداً ينزل تارةً الى البر ويصعد طوراً الى المركب وهو ينتظر مجيء يعقوب يعقوب الذي بعثه الى مرسيليا يسأل له عن والده وخطيبته وكان قد عين له ان ينتظره في تلك الجزيرة وبعد ان مضى عليه ثمانية ايام من حين حضوره الى الجزيرة حضر يعقوب بمركبه الصغيرة فسلم عليه واخبره ان الشيخ دانتاس توفي من خمس سنوات والابنة مرسيداس لم يقدر ان يقف لها خبر من احد فتألم ادمون وكاد يصرخ من حزنه على والده غير انه خوفاً من ان تلاحظ عليه الملاحون ذهب الى مركبه وناح على ابيه وصرف وقتاً ليس بقصير يندبه وكان اعظم شيء يزيده نوحاً وحرقة موت

ابيه فقيراً معذباً بفراقه وبعده وكيف مات ولم يكن بين يديه وبعد ذلك اصعد معه من ملاحي سفينة يعقوب بعضاً وسار الى مرسيليا فتبعه يعقوب بمركبه ولما دخل ميناها نزل الى الشاطئ فاعترضه الشرط وطلبوا منه رخصة فاراهم رخصة كان قد اشتراها من رجل انكليزي لاجل هذه الغاية فتركه الشرط ثم جال في المدينة فصادف احد نوتية المركب فرعون الذي كان فيه فخاف من ان يعرفه غير انه تقدم اليه وسأله بعض سوءالات تدل على انه غريب عن المدينة فاجابه مجاوبة رجل لا يعرفه فاطمئن باله وعرف ان هيئته قد تغيرت حتى ان ملاحيه لم يعد احد منهم يعرفه وبعد اتمام الكلام ناوله ليرتين جزاء له على افادته وتوجه فارتبك النوتي وتبع ادمون وقال له ياسيدي ما الذي اعطيتني. فقال ادمون اني اعرف ما اعطيتك ومقابلة لامانتك خذ هذه الليرة ايضاً فانبهر للنوتي وجعل يتأمل فيه ويتعجب من كرمه ولم يكن يعرفه فسار ادمون مطمئناً عارفاً ان الايام قد غيرت هيئته وان من كان اعرف الناس به لم يعرفه وربما ان معارفه قد نسوه بالكلية ولما وصل الى الكاتلان وقف عند باب بيته الذي كان قد أخذ منه فوجده قد قلبت ايدي الحوادث ومرور الزمان رونقه وتغيرت هيئته من الاهمال غير انه كان يظهر انه لا يزال مسكوناً فبعد ان وقف باهتاً متحيراً دخل متشجعاً فوجد هناك شخصين يسكنان فيه فتبين انهما فقيران فاراد ان يسألهما عن سبب وصول ذلك المحل اليهما وممن استلماه غير انه غلب عليه الحزن وتذكر والده وخطيبته واياماً مضت في ذلك المكان فخرج دون ان يستفيد من ساكني المحل شيء. دخل المحل الذي كان فيه جاره كادروس القديم فوجد عند بابه رجلاً فسأله عنه فقال له بانه ترك المكان واتخذ لنفسه خمارة خارج البلد حيث ان ضعف همته جعله ان يترك العسكرية وضعف حاله قاده ان يسكن حانوتاً يبيع فيه الخمر فتركه ادمون ورجع الى بيت والده وسأل من كان فيه اذا كان يبيعه فاجابه الى ذلك فاشتراه ودفع له بدل ثمنه ٢٥ الف فرنك فاخلى له

المكان فاستلمه واقام فيه اياماً وقد اذهل وجوده كل ساكني الكاتلان ولم يكن يعرف احدهم شيئاً عنه الّا انهم كانوا يرونه بصفة غريبة يوهب ويعطي كاغنى لوردات فرنسا وكونتيها وذهب بعد ذلك الى بيت مرسيداس خطيبته فسأل عنها وعن اهلها فلم يجبه احد منهم بشيء. لان سكان ذاك المكان الفقراء لم يعرفوا اموراً وقعت من اكثر من ١٤ سنة عن سكان ذاك الزمان الذين كانوا ايضاً يجهلونهم فاعطي ساكني المحل شيئاً من الدراهم وخرج متحيراً. اخيراً افتكر انه لا يقدر ان يعرف شيئاً عن ما كان من سكان الكاتلان القدماء الّا من جاره كادروس الذي تأكد وجوده بحانوته يبيع الخمر

الفصل الثاني

في مقابلة ادمون كادروس وتخفيه تحت ملابس الكهنة

لا ريب في ان كل من عرف ذاك المكان في ذاك الزمان يعرف انه كان موجوداً حانوت خمر خارجه صار مشهوراً به لبقائه هنا مدة ليست بقصيرة وهو بين محلي بلكراد وبوكر وكان يقيم بالحانوت المذكور كادروس وزوجته المرمة وكانت سيئة الاخلاق للغاية لا سيما عندما استولى عليها الخرف والفقر وكانت ترى عدم توفيقه وسوء طباعه ولذلك كانا يتشاجران ويتنازعان في كل اوقاتهما فذات يوم بينما كان كادروس جالساً بباب حانوته متكدراً من زوجته اذ مرَّ به كاهنٌ ذا هيبة ووقار تدل حالته وصفاته على انه من اكبر الكهنة راكب على فرس اشهب مسرج بسرج نظيفٍ مرتب فوقف كادروس اجلالاً واسرع فمسك الفرس عندما رآه ووقف بباب حانوته وربطها له والتمس منه ان يجلس فجلس وكان ذاك الكاهن هو صاحبنا ادمون لانه عرف ان كادروس لا بد ان يعرفه حيث رباه من حين الصغر لا سيما اذا طال معه في حديث والده وما كان من امور ذاك الزمان الماضية وبعد ان استقر ادمون التفت في الحانوت يميناً وشمالاً ثم تكلم مع كادروس بالاسبانيولية وكان

يعرف ان كادروس يعرفها قليلاً فقال له انت كادروس. فقال انا هو كادروس فقال ألست انت الذي كنت ساكناً في مرسيليا . قال نعم . فقال وماتفعل الان هنا. قال قد جار علي الزمان وفقدت كل ما كان عندي ولم يكن لي ولد استعين به ففتحت هذا الحانوت فقال ادمون اعطني زجاجة من النبيذ العتيق اذا كان يوجد عندك فاحضر له زجاجة فشربَ منها الراهب ووضعها امامه ثم قال لكادروس هل ان اشغالك رابحة ويأتيك ما تقوم باودك وهل عندك احد في هذا الحانوت . قال ان حالتي رديئة جداً كما تشاهد وليس عندي سوى زوجتي المسنة العاجزة وهي لاتقدر على المشي ولا يخفاك ان عادة الايام تغدر بالكرام وترفع اللئام ولا ينال المناصب العلية الا اصحاب القبائح والرذائل فقال لاتعارض صاحب الملك في ملكه فهو يفعل ما يشاء. وبما انك تزعم انك من اهل الفضل قد بعثني الله اليك لخيرك وسعادتك وذلك اذا اجبتني عن كل ما اسألك عنه . فقال سل ما شئت فاجيبك عن ما اعلمه . قال اتعرف شخصاً نوتياً يدعى ادمون دانتاس كان يسكن في الكاتلان قال كيف لا اعرفه وهو صديقي وجاري فقال ما الذي جرى عليه وهل تعرف عنه شيئاً من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨١٥ وبعد ذلك هل خرج من السجن او لم يزل فيه فقال كادروس وقد اغرورقت عيناه بالدموع وسالت على خدوده انه مات في سجنه على ما هو شائع وبمثل هذا تكلمت يا ايها الاب الاقدس ان الله في هذه الدنيا لايلتفت الى اصحاب الحسنات ومستقيمي الاعمال بل يعطي خيراته للاشرار ويمنعها عن الابرار. وزاد في البكاء . فقال الخوري لاتبكِ عليه يا كادروس فالبكاء حرام . فقال كيف لا ابكي وهو كان من اعز الناس عندي ولا سيما ابوه فهل ايها الاب انت تعرفه. قال نعم اعرفه وقد دعيت عند موته فقال وباي مرض مات . قال قد اثر فيه عظم مصابه وفراق احبابه حتى صار يضعف جسمه رويداً رويداً واخيراً مات . وكان مسجوناً مع ادمون رجل انكليزي فعندما خرج اعطى ادمون جوهرة نفيسة مقابلة

للخدمة التي خدمه اياها ادمون وبقي ادمون محتفظاً على هذه الجوهرة مؤملاً بانه عندما يخرج من السجن تنفعه. فقال كادروس وماذا تساوي تلك الجوهرة قال تساوي اكثر من خمسين الف فرنك . ثم اخرج من جيبه كيساً واراه حجراً من الماس بقدر حبة فول فارتجف كادروس عندما شاهد الجوهرة ومال قلبه اليها وكاد يطير عقله بها . واما الخوري فانه ارجع كيسه والجوهرة الى جيبه فقال كادروس وهل ورثت انت هذه الجوهرة من ادمون المسكين . قال كلا بل انه قبل موته اعطاني اياها وقال لي انه كان له ثلاثة اصحاب وخطيبته وكان يقول لي لابد ان يكونوا من فراقه في اشد لوعة وهم فرنان ودنكلار وكادروس واما خطيبته فهي ... ثم وضع ادمون يده على جبهته متفكراً ومتظاهراً بانه نسي اسم الخطيبة فقال كادروس اسمها مرسيداس قال صدقت مرسيداس والمقصود اني ابيع هذه الجوهرة واوزع ثمنها على الخمسة فقاطعه وقال له انت قلت اولاً اربعة فما بالك تقول الان خمسة فقال قد غلطت فلا تؤاخذني لاني نسيت ان ابا ادمون قد مات ولكن اتقدر ان تعرف بماذا كان موته قال انه مات جوعاً اثر مرض وقع به من شدة حزنه على ولده ادمون . فتأثر ادمون من هذا الكلام وكادت دموعه تدفق رغماً عن تجلده وتصبره ثم قال اهل مات الاحسان من بين العالم وقل الخير وفقدت الرحمة حتى مات جوعاً ولم يكن له من يموله او يلتفت اليه غير ولده المسكين وهل لم يلتفت اليه احد من اصحاب ولده ومعارفه فقال كادروس ان عزة نفسه كانت تمنعه من ان يظهر لاحد احتياجه

وعند ذلك سمع صوت زوجة كادروس صاحت به من داخل وقالت له مالك ولهذا الكلام فربما كان هذا السائل من الذين يقصدون لك ضرراً وقد تستر تحت هذه الملابس . فاجابها ادمون لا خوف على زوجك من شيء وما توهمينه فهو وهم باطل فما في كلامي ادنى ريبة ولا شك ثم وقف ادمون واظهر على نفسه انه قاصد الذهاب فمسكه كادروس وقال له لايهمك كلام

زوجتي فقد خرفت ولا تعرف معنى ما تتكلم به ثم قاده من يده الى داخل حجرة وقفل الباب ولما جلس ادمون قال لكادروس تمم لي حديثك الان كن في ثقـة فاننا نحن الرهبان لايفشأ السر عندنا الا الله تعالى ما في قلوبنا لا سيما وانني انا غريب عن كل هذه الحوادث التي تتكلم عنها وما اتيت الا لاتمام وصية ادمون وحيث لم ارَ سواك قصدت ان اعرف من تصح فيه الوصية ويأخذ هذا الحجر الثمين ومن لاتصح فيه فاخبرني عن كيفية هذا الشاب من حال المبتدأ قال كادروس هو انه بينما كنا في وليمة خطبة ادمون اذ حضر بغتة اربعة اشخاص من قبل الحكومة فقبضوا عليه وسافروا بـه ولم نكن نعرف سبب ذلك واما والده وخطيبته فقد اعتراهما الحيرة والانذهال حتى كادا ان يفقدا عقليهما ولم يكونا يعرفان ماذا يعملان وبقيا جميعاً في حيرة وكان قـد سار للكشف عن حقيقة خبر ادمون الخواجه موريل صاحب المركب الذي كان بها ادمون وبقينا بانتظاره الى ان عاد واخبرنا بانه سجن بتهمة انه من احزاب نابليون ومن ذلك الوقت اخذ والده بالبكاء والنواح حتى ضعف جسمه واعتراه الهزال ولما اشتد عليه المرض احضر له الخواجه موريل الطبيب وبعد ذلك بمدة توفي حزيناً لفراق ولده ومشتهياً كسرة خبز يسد بها رمق فؤاده . فلم يقدر ان يمنع نفسه من البكاء فبكى واظهر على نفسه انه تألم من مصاب ابي ادمون وقـال الكادروس ان الجنس البشري لايقدر ان يسمع بوقع هكذا امر ويضبط نفسه من البكاء والتأسف ثم طلب منه اتمام الحكاية فقال . ولما بلغ موسيو موريل حضر وبكى عليه وتأسف لحالته وقام بحق دفنه بلياقة وكرامة . واما انا فانني تأكدت ان كل ماوقع على جاري ادمون من المصائب وعلى والده كان بتدبير فرنان ودنكلار اللذين كانا يظهران على انفسهما انهما من اعز اصحاب ادمون وذلك ان دنكلار كان كاتب المركب التي كان ترأسها ادمون ولذلك كان يحسده على الرئاسة والآخر كان يرغب في زواج مرسيداس خطيبة ادمون التي كانت

رفضت قبوله مراراً ولهذا كان الاثنان يطلبان هلاك ادمون ويتمنيان له الاذى وهو لبساطة قلبه لايعلم شيئاً منهما وعندما اجتمعا اتفقا ان يزورا كتاباً الى المدعي العمومي يخبرانه به بان ادمون هو من احزاب نابليون وانه مر عليه بمركبه واخذمنه تحارير واعطاه تحارير فقال ومن الذي كتب الكتاب قال كتبه دنكلار في الحانوت الذي كان خارج الكاتالان وفرنان اخذه الى البوسطة وارسله بها الى وكيل الملك فقال وعلى ما انك كنت جالساً معهما وكان ادمون قد تذكر انه رآك معهما في ذاك الحانوت . فارتعد كادروس وارتجف وقال من الذي اخبرك بحضوري معهما . فقال لم يخبرني احد غير اني اخذت ذلك بمجرد الظن فارجوك ان تعذرني اذا كنت اخطأت . فقال صدقت اني كنت جالساً معهما وقد اجهدت نفسي فلم اقدر ان امنعهما وقد مالا عليَّ بالخمر حتى اسكراني وغبت عن الوجود فقال الخوري وعندما قبض على ادمون لم لم تخبر موظفي الحكومة بما كان من امر هذين الحاسدين قال قد قصدت ذلك فلم اقدر عليه لان دنكلار تهددني ان اخبرت الحكومة بشيء من ذلك ينسب اليَّ التهمة التي نسبها الى ادمون اي انه يقول باني من حزب نابليون نابليون واني متفق مع ادمون ويشهد بذلك فرنان فالزمت السكوت خوفاً ان يقع بي ما وقع بادمون وبقيت من ذلك الحين مشغل البال على ادمون الذي كان كولدي حتى اني كلما تنازعت مع زوجتي اقول لها لو ان الله يريد سعادتي وستر آخرتي لابقى لنا ادمون دانتاس فقال الخوري ما لنا ولهذا المقال فقد فهمته كله وعرفت انك صادق محب لادمون ولكن قد سمعتك تذكر بحديثك موسيو موريل فبالله عليك ان تخبرني من هو هذا الرجل لان ادمون لم يخبرني شيئاً عنه ولا ذكره لي قال اعلم يا قدس الاب ان هذا الرجل كان يحب ادمون وطالما راجع الحكومة في امره وهو مسجون ولما لم يفده ذلك شيئاً صار يحضر الى والد ادمون ويعزيه لفقد ولده وقبل ان مات دفع اليه كيساً احمر من الحرير فيه دراهم لينفقها على الاطباء عند الحاجة ولما فرغ

الكيس من الدراهم اخذته انا وبقي عندي . ولماذا لم يأخذ الطبيب والد ادمون الى المستشفى ويعتني به هناك اذا كان ضعف حاله لا يمكنه من القيام باود نفسه . قال قد عرض عليه ذلك مراراً فلم يقبل فقال وهل موريل الذي تعني عنه لا يزال حياً قال نعم ولكن قد افقره الدهر وجارت عليه الايام حتى كاد على ما هو مسموع ان يدعي الافلاس لان عليه ديون كثيرة وليس عنده ما يفي به دينه وعلى هذا كنت قلت لك ان الرجل المشكور لا بد من ان تعانده الاقدار وتحط قدره لان موريل هذا بعد ان كان من عمد مرسيليا وتجارها المعتبرين اصحاب الخير والبذل اصبح في احتياج عظيم . فقال الخوري وكيف اضحى موريل فقيراً وما هي الاسباب التي طرأت عليه حتى اوصلته لهذه الحالة . قال انه يشتغل من نحو ٢٥ سنة في مرسيليا وحاله في تحسين وارباح ألَّا هاتين السنتين قد خسر خسارة باهظة وفقد له خمس مراكب حتى صار على شفير الافلاس ولم يعد احد يعتبره ولا يأمنه على بارة واحدة . فقال وهل لموريل زوجة واولاد . قال نعم له زوجة كريمة الاخلاق تقية منعكفة على الصلوة وان كثرة صلاتها هي التي اضرت زوجها وله ايضاً ابنة مخطوبة لكاتبه كان عزم على الاقتران بها غير ان تأخر حال ابيها جعل اهل الخطيب يقاومونه على الاقتران بها خوفاً من لحوق العار به واذا تأكد افلاس ابيها لا بد له من تركها وكذلك له ولد بالعسكرية وكلهم في هذه الايام يندبون عيشتهم وحظهم فانظر ايها الاب المحترم تصرفات الايام كيف تحط الكرام وترفع اللئام فان دنكلار وفرنان اللذين بلا شك هما من اخبث الناس قد اثريا وصارا من اصحاب الاملاك والشرف . فاظهر الخوري العجب وقال من اين اتصل لهما المال حتى اغتنيا . قال كادروس ان دنكلار بعد ان عمل ما عمل ترك خدمة المركب واخذ من موسيو موريل كتاب الى احد اصحابه الاغنياء في اسبانيا وهناك تعهد مع احدى المحلات بكفالة اصحاب موسيو موريل بتقديم مآكل العسكرية حيث كانت الحرب قائمة هناك فنجح نجاحاً لا يوصف

وربح ارباحاً عظيمة ولم يكفيه ذلك بل تزوج ايضاً بارملة من العيال الغنية فصار صاحب اموال واسم معتبر حتى انه صار يدعى الآن بالبارون دنكلار وله قصر عظيم في باريس لا يوجد مثله الّا للامراء. فضلاً عن الخيول والمركبات وغير ذلك واما فرنان فانه حصل على الغنى بغير هذه الطريقة فانه ادخل نفسه في العسكر وكان الجنرال المترأس عليه من اخصام نابليون فلما رجع نابليون الى فرنسا هرب الجنرال الى بلاد الانكليز فهرب معه فرنان ونال هناك توفيقاً عظيماً واموالاً مع الجنرال حتى عاد من هناك بعد رجوع لويس الثامن عشر ونفي نابليون بلقب كونت ولم ينل هذا الفخر فقط لكنه ذهب الى اثينا اثناء الحرب فيها مع الدولة العثمانية ودخل في خدمة علي باشا وصاروا هناك يدعونه بالكونت مورسرف فاجابه الباشا المذكور واستولى بعد موته على كل امواله وتركه حتى انه عند رجوعه الى فرنسا دعي بلقب جنرال لعلمهم انه تقلد امارة العسكر في حرب اثينا فاشترى قصراً عظيماً في باريس وفرشه من افخر الاثاث ومحل القصر في نمره ٢٨ من شارع هلدر. قال الخوري قد عرفت ما كان من هؤلاء الذين بلا شك صاروا محرومين من هذا الحجر الثمينة لانهم في غنى عنها ولكن لم اسمعك تذكر لي مرسيداس خطيبة ادمون ولا عرفت ما جرى عليها بعده. قال انها بقيت زمناً ليس بقليل معلقة رجاها برجوع ادمون خطيبها وكثيراً ما كانت تذهب الى موسيو دي فيلفور وترمي نفسها على اقدامه مسترحمة اطلاق خطيبها وهو ينتهرها ويزجرها وقد لازمت خدمة والد ادمون حتى توفي فصارت وحيدة تصرف اكثر اوقاتها بالبكاء والنحيب ومضى على ذلك سنين الى ان رجع اليها فرنان ففرحت به وتسلت نوعاً لانها كغيرها قد قطعت الرجاء من خلاص ادمون فصار يتردد اليها ويطلب منها ان تقترن به وهي تمتنع حتى انها اخيراً سلمت نفسها اليه فاخذها زوجة له فقال الخوري وهل رأيتها بعد الاقتران قال نعم رأيتها ولها ولد. فارتجف ادمون وقال لها ولد وافتكر كيف مرسيداس تقدر ان تقوم بتربية ولد غير ان كادروس لم يلتفت

الى حاله وارتجافه بل دام في حديثه فقال نعم لها ولد يدعى البير ومن ايام
قليلة ذهبت يا سيدي الى دنكلار التمس منه المساعدة والصداقة فانكرني
واظهر انه لا يعرفني واما فرنان فانه لم ينكرني بل احسن اليّ بقليل من
الدراهم ولما عرفت السيدة مرسيداس بانني في حاجة وضنك رمت اليّ بكيس
دراهم من الشباك خفية عن زوجها فشكرت فضلها لانها تذكرت حالي
واحسنت اليّ اكثر من دنكلار المكار وزوجها فرنان القرنان. فقال الخوري
وماذا صار بوكيل الملك دي فيلفور. قال لا علم لي بذلك ولا اعرف عنه شيئاً
لاني في الاصل لم اكن اعرفه انما على قول موسيو موريل انه هو الذي حكم
على ادمون بالسجن وانه الآن قد رفع من مرسيليا وسكن بباريس برتبة
اول مدعي عمومي يعني وكيل الملك الاول وهو في غنى ليس باقل من غنى فرنان
ودنكلار فانظر يا ابونا كيف ان هؤلاء الاشقياء الثلاثة قد نالوا اعظم توفيق
وصاروا من اعظم رجال العالم. فقال الخوري لا يجب يا ولدي ان تعاند القدرة
فان الله سبحانه وتعالى هو يتصرف بامر عباده كيف شاء وانما نخطي اذا
تكلمنا بمثل هذا الكلام ولا ريب يا ولدي ان النعم تأتي من الله بالتتابع
واكد ان الله قد بعثني اليك لاكافئك على صداقتك لادمون وهو لا يترك اجر
المحسنين فخذ انت هذه الجوهرة لانك استحقيتها وحدك وهي تساوي
خمسين الف فرنك واكثر وهذا مبلغ عظيم يمكنك ان تعيش به سعيداً فمد
كادروس يده ليتناول الجوهرة وهو لا يصدق انها تصل الى يده ولما نظر اليها
انبهر وحار وعاد لا يعرف نفسه ان كان في اليقظة او في المنام وصار يتأمل
فيها ويقلبها فقال له الخوري حيث قد صرت الآن مالكاً الجوهرة ولم يعد لي
معك شغل كوني قد اتممت وصية ادمون واحب ان ارجع الى كنيستي فارغب
منك ان تعطني كيس الحرير الذي بقي عندك من والد ادمون فاحضره له
فاخذه ادمون ووضعه في جيبه. ثم قال كادروس لا شك يا سيدي الاقدس
انك في صدق وان زوجتي اخطأت في ظنها فاشكر الله الذي جازاني بما هو

عندي احسن من غنى دنكلار وفرنان لان ادمون لم ينسَ حتى في حال موته وما ذلك الّا بالهام الله تعالى ولكن اريد منك ان تخبرني عن اسمك لاشكر فضلك وصداقتك لانه لو كان طمع في الحجر فأخذها لنفسه وذلك لانك اخذتها من ادمون على انفراد فلم يعلم بها احد . فقال اسمي الخوري بوسيوني

ثم ان الخوري ودع كادروس وركب حصانه وسار وبعد ذلك حضرت العجوز تجر نفسها الى امام زوجها وقالت له قد سمعت كل ما دار بينكما من الكلام حيث كنت مقيمة بجوار المخدع المقيمين فيه فاخبرني هل اعطاك الجوهرة قال نعم وهاهي فلما نظرتها اشتد عصبها وتقوت ركابها وصاحت من فرحها غير انها قالت له اخيراً ربما تكون هذه من الزجاج المعتاد لا تساوي شيئاً فارتبك كادروس من كلام زوجته وداخله الريب فاخذها وسار الى سوق الجواهر يعرضها فيها

الفصل الثالث

في ما فعلهُ ادمون من الجميل مع الخواجا موريل

وبعد ان خرج ادمون من عند كادروس توجه قاصداً مرسيليا وهناك غيَّر ملابس الاكليروس ولبس بنطلوناً بنفسجياً وصدرية بيضاء وجعل يتكلم باللغة الانكليزية كأنه من اقدم رجال الانكليز ثم قصد والي المدينة وبعد وان سلَّم عليه باللغة الانكليزية قال له اعلم ياسيدي اني وكيل محل الخواجات تومسون في رومية وقد اتيت لاشغال خصوصية في مدينتكم مع رجل من التجار اسمه موريل ولنا عليه مبلغ ثلاثمائة الف فرنك (وكان هذا المبلغ محول لامر البنك فذهب ادمون واخذ الاوراق من البنك ودفع بدلها وكان فهم ذلك من كادروس) وقد حضرت لاقف على احواله وانظر ان كان في عله تأخر فقال الوالي ان هذا الخواجا على ما بلغني وما اعرفه عنه انه في حالة التأخر وعليه ديون كثير حتى وصل الى شفير الخراب وذلك من عظم ما وقع

عليه من نكبات الزمان لانه تكسر له خمس مراكب مشحونة على انني اشهد انه رجل مستقيم صادق وقد اخبرني موسيو دو بوفيل ان له عليه مبلغ مائتي الف فرنك والموسيو المذكور هو اخبر بحالته مني فاذا شئت توجه اليه فتعرف منه ما انت طالب معرفته فشكر الانكليزي الوالي وسار الى موسيو دي بوفيل مدير قلعة شاتوديف وهي القلعة التي كان مسجوناً بها ادمون ولما وصل اليه حياه باللغة الانكليزية فاجابه بها ثم سأله عن موسيو موريل واطال معه الكلام في الاستفهام عنه . قال دو بوفيل ان لي مائتا الف فرنك على الخواجا المذكور وقد مضى على اجل الاستحقاق نحو خمسة عشر يوماً وقد كان في هذا النهار عندي واخبرني ان لا مال عنده وسألني التأجيل لبينا تحضر مركبه فرعون الذي لم يبق عنده سواها واذا حصل لهذا المركب امر من الامور فلا اظن ان موريل يقدر على دفع بارة واحدة. فقال الانكليزي يظهر من كلامك ان الخواجا المذكور مزمع على الافلاس قال بلا شك انه قريب من الافلاس فسكت الانكليزي برهة وهو مطرق الارض ثم رفع رأسه وقال هل يكدرك ذلك يا موسيو بوفيل فقال كيف لا اهتم ولي عليه مبلغ مائتي الف فرنك . قال الانكليزي الذي هو ادمون اتبيعني السندات التي بيدك على الخواجا موريل حيث مرادي ان احيي اموال محلنا فلا ادعه يفلس ويخسر المال بالكلية قال دو بوفيل اهل تخسرني فيها شيئاً قال كلا لان محلنا الشهير لا يطمع بهكذا ربح فقال وهل تدفع الدراهم حالاً قال نعم فما صدق موسيو دو بوفيل ان سمع هذا الكلام حتى نهض حالاً واحضر السندات وكتب عليها التحويل ودفعها الى ادمون وادمون اعطاه اوراق بنك بالقيمة نفسها فسر دو بوفيل واشترط على ادمون عدم ارجاع التحويل فقبل به ادمون غير انه قال له اطلب منك السمسرة اتريد بالمائة ستة قال لا اريد دراهم بل اطلب منك الافادة عن شيء زهيد قال وما هو فقال بما انك مدير قلعة شاتوديف وتعرف حال المسجونين لا سيما وعندك بذلك قيودات وسجلات فالتمس ن

تفيدني ماذا حصل بالخوري فاريا لانه رباني منذ الصغر حيث كنت يتيماً ثم عرفت بسجنه وبعدي عنه لم يمكني من السؤال الى ان اتيت هذه المرة . قال نعم ان هذا الخوري كان مسجوناً باسباب الجنون لانه كان يعرض على الحكومة مساعدة على فتح كنوز مدفونة في الارض ويشرط عليها شروطاً سياسية وقد توفي منذ ستة اشهر . فقال ادمون كيف تعرف التاريخ ولم تراجعه في الدفاتر قال ان ذلك ترسخ في فكري لانه عند موته حدث في السجن امر غريب وهو ان هذا الخوري كان مجاوراً في سجنه لرجل من حزب نابليون شجاع قوي البأس وقد التمس مني مراراً ان اخبره عن اسباب سجنه وان اسعى في خلاصه غير اني فهمت من مكاتبات موسيو دي فيلفور انه رجل شقي متحزب على الملك ومنقاد الى محبة البونبارتيين . قال الانكليزي هل حققت شقاوته وخبثه . قال اني تأكدت شقاوته من تجاسره على السجان وقد عزم يوماً ما على قتله وكان اسمه ادمون دانتاس واعظم شيء اكدت به شقاوته انه ثقب الحائط وخرج منه الى حجرة الخوري فاريا ودام الحال بينهما دون ان يعلم الحارس بذلك ولا السجان الى ان مات الخوري فبدل هذا الشقي جسمه بجسم فاريا ولف نفسه بالكفن الذي كفن به الخوري وكان يظن انه يتخلص بهذه الحيلة عند ما يذهب به الى المقبرة غير ان العادة في القلعة عندنا ان الذين يموتون اثناء سجنهم يرمونهم الى البحر وهكذا فعلوا به بعد ان ربطوا في رجله كرة من حديد ثقيلة وفي زعمهم انه فاريا وهكذا انتهت حياته في اعماق البحر . فضحك الانكليزي عند سماع هذه الحادثة واظهر التعجب كأنه لم يكن هو ادمون صاحب ذلك الفعل ثم قال للمأمور وهل تسجلت في دفتر الحبس هذه القضية لانها من القضايا الغريبة التي يليق ان تنشر في الجرائد قال نعم واذا شئت اطلعك على صورة هذه الحادثة وتاريخها فقال انني اتشوق الى ذلك وقد خطر لي ان اكتبها لجريدة التيمس المشهورة لتكون موضوعاً للتسلي عند كل من يطلع عليها

فاخذه المدير الى حجرته الخصوصية ودفع له دفتر السجل مع كافة الاوراق التي تتعلق بهذه الدعوى وقال له انظر فيها واستخلص ما شئت لما ذكرت . ثم تركه دو بوفيل واخذ ادمون يفحص في الاوراق ويقرأها واحدة فواحدة فوجد جملة عرضحالات مقدمة بخط موسيو موريل يلتمس بها اخراجه من سجن ويبين فيها تظلمه ووجد انها لم تقدم الى ولاة الامور اذ لم يجد عليها علامة التحويل بل مدفوعة رأساً من المدعي العمومي لتحفظ بين اوراق الدعوى عند مأمور القلعة لكنه وجد في احداها مصادقة المدعي العمومي واشارته بوجوب تخليد سجنه . وبعد ان اطلع على هذه الامور ان الاوراق التي تلزمه معرفتها ووضعها في جيبه وجمع الباقية كما كانت وخرج الى المأمور فودعه وشكر فضله وسار متعجباً من تقلبات الزمان وقلبه يشعر بافضال موسيو موريل وعدم تركه له كل هذه المدة وقد عزم على الانتقام من اخصامه واقسم تكراراً انه لا بد من اخذ ثاره كما انه افتكر في مكافأة موسيو موريل وانتشاله من تلك المصائب التي هو واقع فيها . لانه كان قد قارب الافلاس وباع كافة امتعته ومصاغ عائلته وكامل مقتنياته ولم يسد ذلك قسماً صغيراً من الديون التي عليه وقد اختفى في بيته عن عيون الناس منتظراً ان يأتي المركب فرعون من الهند ليبيعه مع شحنه ويراضي به اصحاب المال وكان هذا آخر ما بقي عنده ولا زال ادمون في مسيره حتى وصل الى مكان محبه موريل فلم يجده هناك لكنه وجد كاتبه عمانوئيل الذي لم يبق سواه في محله وكان خاطباً ابنته وقد عزم على التزوج بها انما تأخر عن ذلك لتأخر ابيها وارتباكه لانه كان مستلماً المحل فسأله ادمون عن الخواجا موريل فقال له ليس هو الآن هنا وقد حاول ان لا يعلمه بمكان وجوده خوفاً ان يكون من جملة اصحاب الدين . غير ان الانكليزي كرر على عمانوئيل الطلب والح عليه في ان يوصله اليه فالتزم ان يوصله اليه فسار به الى منزله فبينما هما صاعدان في سلم المنزل لاقتهما ابنة موريل وكان اسمها جوليا وهي على جانب عظيم من التعقل والحسن وكانت

خطيبة عمانوئيل الكاتب المار ذكره . فقال خطيبها ابن والدك فان هـذا الانكليزي يطلب بالحاح مواجهته . فقالت برقة ولطافة ممزوجتان بذل وخوف ماهو اسم جنابه لاخبره به فقال لهـا اني رجل غريب لا يمكن ان يعرفني انما قولي له انه وكيل بيت الخواجا تومسون في رومية ولي معه اشغال خصوصية فلما سمعت كلامه تأكدت انـه من المطالبين فاعتراها الاصفرار وارتعدت وارتجفت ثم دخلت على والدها واخبرته به فأمرها ان تدخل به فسارت اليه واحضرته الى والدها فدخل عليه وحياه فتلقاه موريل بالترحيب وقد خفي عليه ولم يعرفه قط وبعد ان جلس ادمون جعل ينظر الى موريل وموريل ينظر اليه دون ان يفوه احدهما بكلمة مقدار ٥ دقائق ثم قال موريل اخيرًا هل آتٍ جنابك من رومية . قال نعم ومعي سندات مسحوبة عليك بمبلغ اربعمائة الف فرنك وانا وكيل محل الخواجات تومسون وقد حضرت مخصصاً لقبضها فارتجف موريل وصار يزدرد بريقه وقـد ارتبك وسال عرقه ثم قال بتلجلج ألكم عليَّ هذا المبلغ وهو مستحق قال ادمون نعم وهي هذه اولاً اوراق اشتراها محلنا من دو بوفيل مأمور قلعة شاتوديف بمبلغ مائتي الف فرنك يستحق نصفها في هذا الشهر والنصف في الشهر القادم . قال نعم لا يمكنني الاعتراض على ذلك . قال وهذه اوراق باثنين وثلاثين الف فرنك تستحق في آخر هذا الشهر . فقال صحيح ذلك فهل بيدك خلافها . قال نعم وهي الباقي وقد تستحق بعد ذلك . فاطرق موريل الى الارض متفكرًا وقد كادت الدنيا ان تقع على رأسه ومن الخجل لم يعرف بماذا يجيبه . فعند ذلك قال الانكليزي قد فهمت كدرك الآن واظن انك لا تقدر على الدفع الآن . قال نعم وليكن مؤكدًا عندك ايها الخواجا ان لي اكثر من ٢٤ سنة اتعاطى التجارة فما اخرت دفع كمبيالة يوماً واحداً الا ان سوء حظي قد اوقف حالي فهلك لي في البحر خمسة مراكب مشحونة ببضائع ثمينة ولكن اخبرك انه اذا حضر مركبي فرعون من الهند دفعت لك كامل المبلغ حيث لم يكن عليَّ غير

هذه الاربعمائة الف فرنك فابيع مركبي وبيتي واثاثي وادفع لك القيمة ولو الزمت بعد ذلك ان اتسول لان ذلك افضل من كسر الاسم واضاعة الناموس ثم اغرورقت عينا موريل بالبكا. وسال دمعه على خده. فقال له ادمون ببشاشة ولين لما تبكي يا سيدي فحلنا لم يقصد كسر اسمك فاذا كنت غير قادر على الدفع الآن فاطلب المهلة التي تريدها فاني اعطيكها. قال يلزمني مهلة شهرين فقال لا بل ازيدك على ذلك شهراً فتكون المدة لثلاث شهور اي اني في ٥ ايلول اكون هنا لقبض المبلغ الساعة ١١ قبل الظهر مثل هذا الوقت واذا كان لا يكفيك هذا الاجل فاني اضرب لك غيره قال نعم يكفيني فاذا بقيت حياً فبعناية الله ادفع لك كامل ما علي

وفي تلك الساعة سمع في الدار غوغاء وبكاء فخرج موريل لينظر السبب فلاقته ابنتهُ جوليا وهي تندب وتنوح فسالها ما الخبر فقالت له قد حضر اللاحون واخبرونا ان المركب فرعون قد غرقت بشحنها . فنزل هذا الكلام على موريل اصعب من نزول الصاعقة وصاح وامصيبتاه لضياع الشرف وخسران الاسم الان قد خرب بيتي وزادت بلوتي وتدنس اسمي بين الناس وجعل موريل يبكي وينوح وقد جلس على الكرسي ووضع راسه بين يديه فحضرت زوجته وبنته وصهره يعزونه وكلهم يبكون على مصائبهم فعند ذلك لم يعد ادمون يقدر ان يضبط نفسه من البكا. فبكي ثم صار يعزي الخوجا موريل ويقويه على الاتكال على الله . ثم حضر ملاحو المركب فوقفوا امام موريل فرفع راسه وسالهم عن سبب فقدان المركب فاجابه واحد منهم اسمه بناوب اعلم ان رئيس المركب قد مرض ولم يمكنه ان يحضر اليك ليخبرك بالقضية فقال موريل تقدم انت واخبرني فاخرج النوتي بناوب مضغة من الدخان كانت في فيه واعطاه الى احد رفقائه وتقدم الخواجا موريل وقال له اعلم يا مولاي اننا كنا سائرين بين الجزيرة البيضا. وجزيرة بوبادروس وكانت الريح في غاية الموافقة وبقينا في اعتدال مقدار ثمانية ايام وبعد ذلك هبت علينا ريح قوية

فارتبك الرئيس وامرنا بلم الشراع غير اننا قبل ان نتم العمل سمعنا احد النوتية
يقول ان المركب قد فتحت ودخلتها المياه فاسرعنا بتشغيل الطاومبات الا ان
دخول الماء كان اكثر مما كنا نخرجه بالطلومبات على ان القبطان اخذ بيده سيفاً
وصاح كل من ترك شغله او فتر دقيقة قتلته وكل ذلك كان عبثاً لانه بوقت
قريب امتلأت المركب ماء واخذت في النزول فلما رأى القبطان ان لا سبيل
الى خلاص المركب عول على خلاص الارواح فامرنا ان ننزل في القارب فنزلناه
ونزلت المركب بما فيها الى الاعماق وعدنا نحن في القارب نجذف وقد قاسينا
الاهوال ولم يكن احد منا يامل النجاة الى ان ارسل الله لنا مركباً سائرة بعد
ثلاثة ايام من غرق المركب فاخذتنا وحضرنا الى هنا . ثم التفت بناوب الى
رفقائه وقال لهم اماهكذا كانت الحال فقالوا نعم وقد ارتفعت اصواتهم بالبكاء
فقال موريل لكاتبه عمانوئيل ادفع للنوتيين اجرتهم واصرفهم فامتنع النوتيون
عن قبول الاجرة مع علمهم بحالة موريل على قبولها فصرفها لهم الكاتب ثم خرجت
زوجته وابنته جوليا بعد ان اشارت الى الانكليزي ان يعامله باللطف واللين
فتبسم واشار لها برأسه انه يفعل كل ما يرضيها . ثم التفت موريل الى الانكليزي
الذي هو ادمون وقال له انك شاهدت ياسيدي كل ما وقع علي ولم يعد لي
رجاء الا بمعاملتك لي معاملة الاحسان . فقال الانكليزي اتكل على الله فلابد
من انه يساعدك وينشلك من مصابك واما انا فقد امهلتك ٣ اشهر تاركاً لك
العطل وفي ٥ ايلول كما اخبرتك اكون هنا والامل تتسهل الامور ويحصل الفرج
قريباً ثم ودعه الانكليزي وخرج وقبل ان ينزل في السلم صادفته جوليا بدموع
الرجاء ونظرت اليه بانكسار وقالت له سيدي . . . . فدفقت الدموع من عينيها
فانجرح لها قلب ادمون وتكدر من كل هذه المصائب التي وقعت على هذه
العائلة الكريمة ثم قال لها انه لابد من الفرج فاخبرك انه ذات يوم سيرد اليك
تحرير بامضاء السندباد البحري وبهذا التحرير خلاصكم من كل ما انتم به
بشرط ان تعملي كامل ما هو موجود ضمنه فوعدته انها تفعل كل ما تؤمر به

اذا كان لايمس شرفها فقال لها اذاً لابد من ان يتحسن حالكم وتتزوجين بعمانوئيل
واحمرت وجنتا جوليا خجلاً وحيا. ثم ودعها ونزل في السلم الى فسحة الدار
فوجد بنلوباً ورفقاءه قد قبضوا الماهية فقال اتبعني يابنلوب فتبعه فلندعهما
سائرين الواحد وراء الآخر ولترجع الى الخواجا موريل فانه لما رأى من الانكليزي
ما رأى وشاهد منه تلك المعاملة اللينة والرفق والصبر عليه بهكذا مبلغ مدة
٣ اشهر دون فائدة ارتبك وشغل فكره فكان تارةً يقول انه ما فعل ذلك
الا خوفاً من ضياع المبلغ وطوراً يقول لا بد من غايات خصوصية في ضميره
واحياناً يقول ربما ان الله الهمه الى ذلك اذ في عزمه ان يأتيني بالفرج وان الله اذا
اراد فعل شيء استخدم اعظم الوسائط لتتميم اقل الاشياء. وكان مسروراً جداً
لاسيما عندما يتصور في فكره ان كثيراً من التجار اعداءه ينتظرون ظهور افلاسه
شماتة به ويطلبون تاخيره في الصباح والمساء. ثم ترك الامر لله وقال مهما يشاء الله
فليفعل ثم حضر اليه رئيس مركبه فدفع ماله عليه من الدين ولم يسأله عن غرق
المركب كل هذا واكثر التجار توقفت عن ائتمانه على درهم واحد وهم ينتظرون
افلاسه في كل يوم ولا زال حتى مضى شهر تموز واب ولم تتسهل على موريل
الاسباب من باب ولا وصل اليه دينار مما كان ينتظره وقد وقع في ارتباك
وحيرة اعظم مما كان فيه في الاول ولا سيما وقد ضاق عليه المعاش ولم يعد
عنده مايصرفه في بيته ثم خطر له ان يذهب الى باريس ويطلب مساعدة دنكلار
لان له عليه فضل عظيم وهو سبب غناه كما تقدم في كلام كادروس للخوري
بوسيوني ولا سيما ان دنكلار كان عنده في المركب فرعون كاتباً وعندما
وصل اليه شرح له حاله وطلب منه المساعدة فاعرض دنكلار ولم يلتفت الى
طلبه ولم يتذكر ماله عليه من الجميل والمعروف فرجع خائباً منكوساً وقد
زادت عليه الهموم والاكدار وجعل كيفما دار يصفق بيديه وقد تحقق عنده
خراب بيته لان الاجل المضروب قد قارب الانتهاء. ودخل شهر ايلول. فلما نظرت
ابنته جوليا حاله خافت عليه من الجنون فارسلت حالاً الى اخيها مكسمليان

الذي كان في العسكرية وقتئذ وكان عمره نحو ٢٢ سنة تخبره بكل ما طرأ عليهم وتطلب منه ان يستعفي من مأموريته حالاً ويحضر ليكون عند ابيه فعندما وصل تحرير جوليا الى مكسمليان استأذن حالا وحضر الى مرسيليا فوجد اباه في قهر وغم فسلم عليه وجعل يسليه وطلب منه ان يتقوى وينظر في صفية محله فقام موريل واخذ دفاتره ونظر في موجوداته فوجد ان ما هو باق في ملكه نحو سبعة الاف فرنك . وبعد ذلك دخل حجرته الخصوصية واغلق عليه فلم يتجاسر احد ان يدخل عليه كل ذلك اليوم وفي اليوم الثاني قصدت ابنته جوليا ان تدخل اليه فلم يسمح لها وكان كل من في البيت في هدو وسكينة من جراء الحزن الذي كان واقعاً وكانوا يخافون ان يدهم الخواجا موريل عارض يذهب بعقله او بروحه. واما موريل فانه كان في اشد ارتباك وكآبة وكان يعدّ الدقائق والساعات ويرى ان كل دقيقة تمر وتقرب ذلك الوقت المؤجل فيه دفع ما هو مستحق عليه اكبر عدو يطلب الانتقام منه ويعجل عليه بالمصائب والخراب . وفي صباح ٥ ايلول كانت جوليا تحاول الدخول على ابيها وفي نيتها ان تشجعه وتطلب منه ان يعلق امله بالله وان لا يقطع رجاءه من مساعدة الرجل الانكليزي فانه ربما كان يؤجل له اجلاً آخر غير انها لم تقدر ان تدخل على ابيها فرجعت وعند ذلك ورد اليها تحرير ما ملخصه :

بما انكِ قد وعدتني بالانقياد لي فاطلب منكِ لاجل خلاص ابيكِ ومنع كسر اسمه والافراج عنه ان تذهبي الى بلهان في بيت بسكنة غره ١٥ فاطلبي مفتاح البيت من البوابة الموجودة هناك واياكِ ان تراتاعي او تخافي من امر او تظني سوءاً فان المكان خال ليس فيه احد وبعد ان تصعدي الى الطابق الخامس ادخلي المخدع تجدي عند ركن الداخون كيساً من الحرير الاحمر تخذيه حالاً الى والدك فان فيه نفعه وخلاصه من دينه واجتهدي ان يكون عنده قبل الساعة ١١ واذا تأخرتِ عن كل ما اخبرتك به فانك تفقدين اباكِ الى

الهلاك بدلاً من السعادة والفرح والسلام
فلما قرأت جوليا هـذا التحرير صفقت من الفرح وكاد عقلها ان يطير ونظرت يميناً وشمالاً لترى الذي ناولها التحرير فلم تقف له على خبر وجعلت تراجع قراءة التحرير فوقع نظرها على حاشية مكتوب فيها (اذهبي وحدك ولا تصحبي برفقتك احداً) فعند ذلك اطرقت مفتكرة وخافت من ان يكون ذلك مكيدة لصيدها من شاب ماكر ولما طرقها هذا الفكر قصدت في الحال خطيبها عمانوئيل واستشارته في امر التحرير فاشار عليهـا ان تتوجه وحدها فطلبت اليه ان يصحبها فقال اني اسير معك وانتظرك خارج المخدع لانه لا يمكن للبوابة ان تعطيكِ المفتاح اذا صحبتِ احداً غير اني احميكِ من الخارج بحيث ان اكون قريباً منك اسمع صوتك فاذهبي فان والدك في هذا النهار الساعة ١١ يظهر افلاسه ويتضح للناس اضاعة شرفه فربما يكون كلام هذا التحرير صحيحاً فيخلص من شماتة اعدائه ثم ذهبا معاً واما مكسيمليان شقيقها فانه دخل جبراً على ابيه لينظر ما هذا التحجب فوجده عازماً على قتل نفسه وقد احضر طبنجة مملوءة من الرصاص والبارود فارمى نفسه عليه وقال له ما هذا يا ابي قال اريد ان اموت قبل ان يشهر كسر اسمي وتفضحني الناس فلا اريد ان يعاندني احد في ذلك . فقال مكسيمليان اذا كنت عازماً على ذلك فناولني الطبنجة لاقتل نفسي قبلك فانه خير لي من الحياة بعدك وابقى معيرة عند الناس بقتلك . فقال موريل لا يجب ان تفعل انت ذلك بل انه ضروري لي . ثم هجم مكسيمليان على المائدة ليتناول الطبنجة فسبقه والده واخذها بيده وقال له اصغ يا ولدي وكن حكيماً فاذا تركت لك الحزن فهو افضل من ان اترك العار والفضيحة وكيف يصير باختك ووالدتك اذا صار لك امر من الامور فاذهب الى اختك ووالدتك فان موتي لا بد منه فخير ان اموت وحدي من ان تموت معي ظلماً . فترك مكسيمليان اباه وخرج باكياً ناعياً يندب حظه وحظ ابيه ويطلب الفرج من الله سبحانه وتعالى . ثم دعا موريل الخادم وقال

له عندما تشاهد الرجل الانكليزي وكيل محل الخواجات تومسون فاسرع واخبرني حالاً . وبعد ان خرج الخادم استعد موريل للموت فركع وصلى صلاة الوداع ثم قام فتذكر كسر اسمه فتشجع واخذ الطبنجة في يده ونظر الى الساعة فوجدها قد قاربت ان تدنو من الميعاد فوضع الطبنجة قرب فيه وبات ينتظر دخول الخادم وكانت اعضاؤه ترتجف ويتصور الموت امامه باغرب هيئة وكلما عول على رفع يده والعدول عما هو فيه يتذكر في ماذا يجيب الانكليزي اذا حضر لقبض الدراهم فيقوى عزمه ويفضل الموت ويقول في نفسه ان موتي بحضور الغريم اعظم عذر لديه وبينما هو على تلك الحالة والوساوس تتلاعب به بين اليأس والرجاء واذا بابنته جوليا دخلت عليه وصاحت من ملء رأسها . لك البشرى يا أبتِ لك البشرى فقد جاء الفرج واتت السعادة فلك البشرى . فليتصور القارئ هنا حالة موريل والدهشة التي وقع فيها فانه شخص الى بنته بتعجب وكان يريد ان يسألها عن معنى كلامها غير ان فرحه الذي وقع عليه بغتة دون ان يعرف حقيقة ذلك الفرج الذي كانت تنادي به ابنته جعله ان يقف باهتاً ولسانه لصق بحلقه وعيناه قد شخصتا اليه ينتظر التوضح منها . واما جوليا فانها ارتمت بين يديه وطرحت على الطاولة امامه كيساً من الحرير الاحمر وهذا زاده حيرةً ودهشة لانه نظر الى الكيس الاحمر فعرفه انه كيسه الذي ارسل فيه دراهم الى ابي ادمون من نحو اكثر من ١٥ سنة ثم ترك الطبنجة من يده واخذ الكيس ففتحه فوجد فيه جميع الاوراق التي كانت عليه بيد الانكليزي ثم نظر مكتوباً عليها هذه الكلمات (قد وصل لدينا المبلغ المدون قيمته اعلاه من الخواجا موريل) وتحتها امضا محل الخواجات تومسون . فابتهج وكاد يطير من الفرح ثم نظر فرأى ورقة ملفوفة ففتحها فوجد فيها حجراً من الماس كبيراً ثميناً ووجد مكتوباً بالورقة (هذه اعانة لزفاف جوليا على عمانوئيل) ثم نظر ورقة تحويل على البنك بقيمة مائة الف فرنك بامضا محل تومسون ايضاً . فنظر الخواجا موريل الى هذا الفرج الغريب نظر المتعجب

وجعل ينظر في الاوراق من واحدة الى اخرى وهو يفتكر من اين حصل ذلك ومن الذي فعل هذا الجميل الذي لا يمكن ان يكون من اخ او من ابن غيور ثم جعل يفرك باصابعه عينيه لينظر هل ذلك باليقظة ام بالمنام ولما تحقق انه باليقظة جعل ينظر تارةً الى الكيس وطوراً الى ابنته جوليا. ثم انطلق لسانه فقال لها ما هذا الحال يا جوليا. فاخبرته بالتحرير الذي ورد لها من السندباد البحري وكيف توجهت مع خطيبها فوجدت الكيس موضوعاً في قاعدة الداخون وان كل ذلك كان باشارة الرجل الانكليزي وكيل محل تومسون المشهور فلما تحقق موريل كلامها وفهم انه تخلص من الدين وتحسنت حاله صفق وقال قد عرفت . . . ثم قطع كلامه ورفع الكيس بيده وقال هذه اكبر علامة. . . . نعم . . . . وفي تلك الساعة دخل عليه الكاتب عمانوئيل وقال له قم يا سيدي واسجد لربك شكرًا له على انعامه. فقال له على مَ ولاي شي. قال لا اقول الّا اذا فعلت ما قلته لك فركع موريل شاكرًا العزة الالهية ثم قال قل ياعمانوئيل قال يا سيدي قد نجت المركب فرعون من الغرق واتت الى المينا مشحونة ثم دخل ابنه مكسيمليان وهنأه بالفرج فطار عقل موريل وفرح فرحاً لا يوصف ثم قام بالحال وذهب الى المينا فلاقاه اللاحون والرئيس وهنأوه بسلامة المركب واجتمع حوله الناس من اصحابه ومعارفه وكل يهنئه تهنئة ودادية ويظهر فرحه بذلك. واما موريل فانه تعجب غاية العجب وعرف ان نجاة مركبه من الغرق امر مستحيل وان ذلك اصطناع بعض اصحابه. وكان بين الناس رجل عليه سمة اللطف والوقار فدنا من موريل وهنأه برفع الضرر. وقال له الشكر لله الذي انعم عليك بخلاصك مما كنت فيه وارجع اليك مركبك التي كنت قطعت الرجاء واليأس منها وخلصك من ديونك التي كنت واقع منها في همّ عظيم وما ذلك الّا لانك محب لخير الناس لا تفتر عن عمل المعروف والاحسان وهكذا يجازي الله المحسنين وكان هذا الرجل هو ادمون دانتاس صاحب هذه القصة وهو الذي تسبب بارجاع المركب الى موريل وذلك انه بعد ان ذهب

من بيت موريل وهو لابس ملابس انكليزي كما تقدم وسار معه بناوب الملاح فطلب منه ان يحضر له الرئيس فحضر مع كامل الملاحين فقال لهم اريد منكم ان تذهبوا مع الرئيس يعقوب صديقي وبمعرفته اشتروا مركباً نظير المركب فرعون التي غرقت واذهبوا بها الى الهند فاشحنوها دودة واحضروها الى هنا بشرط ان يكون حضوركم في ٥ ايلول وهكذا صار فان المركب حضرت مشحونة في نفس اليوم المشروط فيه الحضور فانسرَّ ادمون ودفع لهم مالاً جزيلاً اجرتهم وامرهم ان يخبروا موريل بان مركبه نجا من الغرق وذلك خوفاً عليه من الكدر والغيظ

ولما رأى الخواجا موريل سرور هـذا الرجل وتهنئته له على غير معرفة تعجب منه وتحير من امره وسأله عن نفسه بقوله له من انت ايها الخل الودود فقد اشغلني امرك فقال انا الذي غمرتني بمعروفك وافضت عليَّ كرمك واحسانك ولم تنسني وانا في اشد الضيق واعظم المصائب ومما زادني فيك ولوعاً وجعلني ان اقدم اليك ما عز وهان انعطافك على والدي في حال مرضه وقد تركه الاحباب والاصحاب الّا انت لم تتخلَّ عنه حتى انك قبل وفاته اسعفته بدراهم وضعتها في كيس الحرير الاحمر فانا هو وانا ايضاً الرجل الانكليزي وكيل محل الخواجات تومسون وانا السندباد البحري واني اشكر الله الذي قدرني على مكافأتك واما اولئك الاشقياء الذين رموني بتلك المصيبة في اعماق السجون فاقسم بالله ان لا بد من الانتقام منهم واخذ ثاري وثار والدي والآن ارجوك ان تدعو لي لاني ربما لا اراك فيما بعد واذا كنت عرفتني فاطلب اليك كتم امري ،خاطرك يا خواجا موريل ثم اسرع ونزل في البحر وصعد مع صاحبه يعقوب الى السفينة ولم يترك فرصة لموريل يجاوبه وسافرت به السفينة قاصدة ايطاليا فاقام فيها اياماً ثم سافر الى القسطنطينية فباع فيها كل ما كان معه من الحجارة الكريمة ولم يمكنه ان يذهب بكل ذلك المال الى اوربا فسافر الى البلاد الشرقية ومكث فيها زماناً طويلاً ثم رجع الى

ايطاليا فاشترى من الحكومة جزيرة مونتو كريستو وقام فيها مدة لاصلاح المغارة التي اخرج منها الذخائر ثم احضر منها الاواني والسجادات وكامل ما كان معه من الاثاث في المشرق ففرش بها المغارة حتى صارت كأنها اعظم القصور ولقب نفسه من ذلك الحين بالكونت دي مونتو كريستو وصار من ذلك الوقت يجول في المدائن والابحار يبحث عن اعدائه ويرجع الى تلك الجزيرة المحبوبة عنده وكان ذلك دأبه زماناً طويلاً

الفصل الرابع

في مصادقة ادمون البير بن مرسيداس

في ذات يوم من ذلك الزمان خرج من فرنسا شابان يقصدان السياحة والفرجة على البلاد المجاورة وكان اسم احدهما البير والآخر فرنند فذهبا الى ايطاليا ومنها ذهب البير الى رومية واتفق مع رفيقه ان يلاقيه هناك فصار فرنند يجول في جبال رومية من مكان الى آخر ثم نزل في احدى المراكب قاصداً الفرجة في البحار فاختلفت معهم الرياح وقذفتهم الى جهة جزيرة مونتو كريستو فلاحت لهم منها نار مشبوبة فقال فرنند لرئيس المركب ما هذه النار التي تضرم في هذه الجزيرة المقفرة قال هي نار اللصوص الذين يهربون البضائع فانهم طالما يقصدون هذا المكان ينتظرون المراكب الحاملة البضائع النفيسة فيأخذون اجرة عليها ويهربونها من رسم الكمرك والّا فتكون من النيران التي تضرمها الجن في القفار ثم قال الرئيس لفرنند ان مرادي اذهب الى الجزيرة وآتيكم بالخبر الصريح. ثم نزل حتى وصل الى البر فوجد سبعة رجال حول النار وهم يشوون عنزاً فطلب اليهم ان يسمحوا له ان يأتي بنوتيه ومن معه في المركب الى الجزيرة فسمحوا له فرجع الى المركب وحكي لفرنند ما صادفه فنزل الرئيس بملاحيه الى البر ومعهم فرنند فسلموا على اولئك الاشخاص وجلسوا بقربهم وكانوا يشوون عنزاً فشم فرنند رائحة العنز المشوي

وتاقت نفسه الى الاكل منه فحكى الى الرئيس فاحضر له من الطيور والحجل فلم تطلب نفسه ذلك وزاد اشتهاؤه العنز وطلب من رئيس المركب ان يسأل جماعة الجزيرة ان يبدلوا له لحم الطيور بقطعة من لحم العنز فذهب الرئيس اليهم وبعد ان اقام عندهم برهة رجع فارغاً فلما نظره فرننـد قال له لم يقبلوا ان يسمحوا بقطعة من اللحم فقال ليس الامر كما تظن فان رئيس اولئك القوم رجل كريم جداً لين العريكة سهل الطباع ولما طلبت منه اللحم واخبرته عن نفسك اليه هش وبش وطلب ان تكون ضيفه هذا اليوم الّا انه اشترط ان تربط عيناك وتقاد الى محل اقامته كي لا ترى الطريق وعند عودتك يفعلون معك كذلك . فانذهل فرننـد من هذا الكلام وقال له هل هذا من قبيل الهزل ام الجد . قال ان كل ما اخبرتك به هو حقيقي فان هذا الرجل مقيم في مغارة تحت الارض من هذه الجزيرة مع رفاقه واسمه السندباد البحري فزاد ذهول فرننـد وقال له وهل نظرته جملة مرار . قال اين محله الاعتيادي قال ليس يعرف له مقر ولا يعرف احد اين يقيم . قال اذاً كيف هو . قال الآن تراه وتعرف ما يمكن ان تعرفه . قال اتعرف باب منزله قال لا اعرفه على انه طالما بحث عليه كثيرون فلم يتوصل احد الى ذلك وهـذا الذي اخبرتك به وهو ما كنت اسمعه عنه لاني لم انظره منه ولا اعرف اكثر مما عرفت فقال فرننـد في نفسه ان هذا امر عجيب وقد كاد يترجح عندي صحة وقوع حكايات الف ليلة وليلة لو لم اكن مؤكداً ان ذلك من الخرافات . وبعد ان افتكر فرننـد برهة في هذا الامر وهو مطرق الى الارض رفع رأسه وقال قد قبلت بالشرط ثم ربط عينيه بيديه وسار الى ان اقبل على اولئك فتلقوه بالترحب ومشوا به ولم يمش الّا القليل حتى نزلوا به المغارة فتلقاه صاحبها بالترحيب والاكرام وبعد ان جلس امره ان يحل رباط عينيه فحلها ونظر الى ما حوله فوجد مكاناً محفوفاً بالترتيب والنظام مفروشاً بالمفروشات الحريرية وعلى ارضه البسط العجمية وفيه الكراسي الشامية فكأنه في ترتيبه مع صغره من اعظم قصور الملوك

والامراء وبعد ان امعن بالمحل نظر الى صاحبه فوجده رجلاً جليلاً مهاباً ذا لحية سوداء لابساً من ملابس اهل الشرق وعلى رأسه طربوش من عمل المغاربة ممنطق في وسطه بمنطقة مصرية فتعجب منه وقد انبهر مما شاهد وارتبك في امره ثم حيّا صاحب المحل وقال له ارجوك يا سيدي ان تسمح لي بالذهاب فقد كفاني ما شاهدت واخاف ان تذهب رفاقي وابقى وحدي . فتبسم صاحب المنزل في وجهه وقال له لا يمكن ان تذهب الآن وارجوك المعذرة فيما قد ثقلت به عليك بانقيادك الى هذا المحل وانت مربوط العينين لاني قد صممت ان لا ادع احداً يعرف محلي . ثم نادى بالخادم وامره ان يحضر الطعام وكان اسم خادمه هذا علي وهو عبد اسود لابس ثوباً ابيض وسنأتي بالكلام عنه في غير هذا المحل ثم قال صاحب المنزل اريد منك ياسيدي ان تخبرني باسمك لانك شرفتني على غير معرفة وصار لك عليّ الفضل والجميل ولا بد ان نجتمع في غير هذا المكان وتكون صحبتنا الى امد طويل واما اسمي انا فهو السندباد البحري . فاجابه فرنند وقد علم ان قصده المحاولة واخفاء اسمه وانا اسمي ايضاً السندباد البري وهذا الاسم طالما افتخرت به بين الاقران وباجتماعي بك الآن ارى نفسي كأنني ببغداد في زمن خلافة هارون الرشيد . فضحك السندباد البحري من كلامه . ثم قاما الى محل الطعام فوجد فرنند من الآنية الصينية والبلور ما يدهش النظر فضلاً عن الآنية الذهبية والفضية المنقوشة بعمل الشرق ومرسوم عليها اعظم الحوادث التاريخية فصرف وقتاً يتفرج على تلك الآنية وبعد ان فرغا من الاكل قاما الى حجرة المدام وفرنند يفرك عينيه ليتحقق نفسه ان كان في يقظة او في منام لا سيما انه كان يتعجب بالاكثر من علي العبد الاسود فانه فضلاً عن غرابة هيئته وملابسه كان يراه ساكتاً يسرع بانفاذ امر سيده دون ان يفوه بكلمة ولما استقر به الجلوس قال للسندباد ان كل ما رأيت هو عجيب واعجب من ذلك ما اراه في عبدك علي الاسود فانه يظهر لي انه امين جداً على قضاء مصالحك دون ان اسمعه يتكلم بكلمة

فقال السندباد البحري ان لهذا العبد قصة وهو انه كان خادماً عند احد امراء تونس فدخل ذات يوم بالصدفة الى دار حريمه واكتشف على الحريم فبلغ ذلك سيده فامر ان يعذب بقطع لسانه وقوائمه بالتتابع اي انه في كل يوم عضو واحد فبلغني هذا الخبر فتألمت من هذه الحالة وقصدت خلاصه من سيده فاهديته بندقية وطلبت ان يسمح عنه ويهبني اياه فأبى فزدته فوق ذلك خنجراً موشحاً بالذهب مجوهراً وتعهدت لسيده ان لا يقيم في بلده فرضي بذلك وكان قد قطع لسانه فصار ابكم وكل ما تراه من امانته علامة منه بانه شاكر لعملي له وانا مسرور جداً منه لانه يكتم الاسرار ولا يقدر ان يتكلم بما يشاهده . وباثناء ذلك حضر علي بالقهوة وبصحن فيه معجون فقال فرنند ما هذا قال هذا معجون اذا اكله انسان يرى نفسه في اعلى درجة من المجد ويعتبر كأنه احد اكاسرة الزمان او قياصرته . فشرب فرنند القهوة واخذ قطعة من المعجون فلم تستقر في جوفه حتى هجم عليه النعاس فنام وتلاعبت به الاحلام وصار يرى تصورات عجيبة واموراً غريبة الا انه لما استيقظ من نومه وجد نفسه على شاطئ البحر وحوله رئيس المركب ونوتيه وبعد ان تفرس برهة برئيس المركب متعجباً ومندهلاً مما طرأ عليه قال له رئيس المركب ان السندباد البحري قد سافر الى بلادنا لاسباب ضرورية وقد اضطر ان يعمل ما عمل وطلب مني ان تعذره ولا تؤاخذه على عمله . فبقي فرنند باهتاً يتأمل فيما حوله ويقابل بين هذه الحالة والحالة التي كان فيها في المغارة وما كان يراه في احلامه حتى كاد يجن . فقال له الرئيس لا ترتبك ولا تنذهل فان كنت لا تصدق فهذه مركب السندباد البحري سائرة خذ النظارة وانظر اليها فتراه فيها فاخذ النظارة ونظر الى المركب فوجد السندباد في مؤخرها وبيده النظارة ايضاً ينظر فيها نحوه فاشار كل منهما بمنديله علامة للوداع وبعد قليل طلب فرنند ان يفتشوا في الجزيرة على محل المغارة فطافوا فيها وفتشوا في كل نواحيها فلم يروا لها اثراً ولما اعياهم الحال رجعوا وهم مكدرين ولا سيما فرنند فانه اصبح مرتبك الافكار مما

شاهد وسمع ولولا رغبته في سرعة السفر الى ايطاليا لما بارح جزيرة مونتو كريستو قبل الوقوف على تفاصيل تلك الحوادث التي مرت عليه كضرب من الاحلام. وكان فرنند قد اتفق مع البير رفيقه ان يجتمعوا برومية ليصرفا العيد فيها فخوفاً من ان ينتظره البير طلب الى الرئيس اخيراً ان يسافر به الى ايطاليا فنزل المركب مع النوتيين وساوت بهم. وكان فرنند في كل سفره لا يفتر من السوأل عن رجل جزيرة مونتو كريستو وهو السندباد البحري فلم يقف له على حقيقة واضحة الّا ان البعض كانوا يقولون له ان هذا الرجل يجول في البحار واليابسة يفتش على المظلومين والمتهمين فيبذل وسعه في تخليصهم ويدفع الاذى عنهم ويجود بماله واوقاته في هذا السبيل

ولما دخل فرنند روميه التقى بصاحبه البير في احدى اللوكندات المشهورة وبعد ان سلما على بعضهما حكى كل منهما ما صادف في سفره وكان العيد قد قرب فاعتمدا على حضور العيد في رومية وبعد ذلك يرجعان الى بلدتهما . ثم طلبا من صاحب اللوكندة ان يحضر لهما مركبة وكان بفكر البير ان يخرج الى ضواحي المدينة ويتفرج على غاباتها واجامها فاستأجر صاحب اللوكندة مركبة باجرة عالية لان كثرة الزائرين الى رومية في زمن العيد تجعل المركبات في طلب فوق العادة فتزيد اجورها. ولما عزم البير على الركوب طلب من فرنند ان يرافقه فاعتذر لتعب جسمه واذ ذاك سأله صاحب اللوكندة الى اي جهة يريد ان يقصد فاخبره بعزمه فقال له اني انصحك ان لا تذهب خارج المدينة لان قوماً من اللصوص يطوفون دائماً هناك فيسلبون ابناء السبيل ولا يقدر احد عليهم ولا سيا ان لهم رئيس يدعى لويجي فامبا وهو داهية دهماء وبلية عظمى وله حديث احب ان احكيه لك لترجع عن عزمك وتحفظ دمك ومالك وهو ان لويجي هذا رئيس اللصوص كان في اول عمره يرعى اغنام عند احد الامراء وكانت ترافقه في مهنته ابنة نظيره فشب شيئاً فشيئاً وشب معه هوى هذه الابنة وكانت على جانب من الحسن والرقة وكانت تحبه ايضاً فكان

يوسع في جنبات البر ليمتلئ من مسامرتها ويلتذ بمعاشرتها . فذات يوم بينما كانا جالسين في ظل شجرة واذا بذئب قد هجم على الغنم وقصد ان يفترس واحدة منها فصاحت به الابنة وطلبت منه خلاص الغنم فنهض كالاسد المفترس وصرخ الذئب وحيث لم يكن معه سلاح يقتله به فلت الذئب وطلب البر فرجع لويجي يعض على معاصمه من الغيظ حيث لم يتمكن من قتل خصمه لا سيا ومحبوبته تراه ولما رجع الى سيده سأله في ان يعطيه سلاحاً وحكى له واقعة الذئب فاعطاه سيفاً وخنجراً وفرداً لاطلاق الرصاص فاخذها وصار يترصد الذئب وكان عمره اذ ذاك ١٧ سنة وعمر الابنة ١٥ سنة وكانا قد تعاهدا على التزوج ببعضهما ولا زالا الى ان كان ذات يوم رجع الذئب الى الغنم وقصد الايقاع بها فادركه لويجي وصوّب الفرد اليـه واطلق الرصاص فارداه قتيلا فقبلته محبوبته وشكرته على فعله وهذا الذي كان يزيده اقداماً ونشاطاً .

وفي المساء حمل الذئب الى سيده فشهد له بالشجاعة ومن ذلك الوقت صار يشار اليه بالايادي ويمدح على بسالته وكان يوجد في تلك الجهات لصوص كثيرون يتطرف نحوهم غير مكترث بهم الى ان وقع به يوماً رئيسهم فلم يهتم به لما رآه من ضعف حاله الا انه لما شاهد الصبية التي معه ورأى ما هي عليه من الحسن والجمال مال اليها وقصد اخذها فدنا منها وصاح بها ان تقرب منه ليردفها خلفه فرمت نفسها على لويجي وطلبت منه المساعدة فاحمرت عيناه وطار الشرار منها وقال لرئيس اللصوص لما هذه الجسارة ايها النذل الجبان فضحك منه وقال له اهل هي نسيبتك قال هي خطيبتي وحبيبتي وافدي نفسي في خلاصها . فقال قد كنت اظن انها شقيقتك فافتكرت بان اتنازل عنهـا وحيث تأكدت انها خطيبتك صار لا بد لي من اخذها لانك راع ولا يليق بك ان تحوز على صبية كهذه وانا كفوء لها . وفي الحال اطلق لويجي عليه الرصاص فاخطأه فقفز اللص عن جواده وقبض عليه بيده وقصد ان يضربه بسكين فسبقه لويجي ورفعه بين يديه وضرب به الارض فتعتعه ثم هجم عليـه وذبحه وبعد ذلك تهلل

وجهه بالفرح وسرت منه خطيبته كل السرور ثم انه حمل جسد خصمه وقصد قوماً يعرفهم بقرب المدينة وحكى لهم واقعة امره واخبره ان في عزمه يطلع الحكومة على ذلك. فقال له احد معارفه لا تفعل يا فامبيا فان هذا له شراكة مع بعض رجال الحكومة فكل ما يسلبه يقتسمونه بينهم فبموته ماتت منافعهم فاذا عرفوا منك ذلك اوقعوك في شرك لا خلاص لك منه فاسمع نصيحتي واخفِ هذا الجسد واحذر ان يفشي هذا الخبر فتجلب الهمّ والويل لنفسك. فقبل فامبيا هـذه النصيحة واخذ اسلحة المقتول فتقلد بها وركب جواده بعد ان دفن جسده بالارض ثم اخذ خطيبته وراءه وقد حدثته نفسه ان يذهب الى اللصوص ويعلمهم بموت رئيسهم ويعرض عليهم نفسه رئيساً عليهم عنه. فلما وصل اليهم ارادوا ان يهجموا عليه الّا انهم توقفوا منذهلين لما رأوه راكباً فرس رئيسهم ومقلداً سلاحه فقالوا له من اين لك هذه . اسمعوا قصتي وهو ان رئيسكم قصد ان يتعدى عليّ ويختلس مني خطيبتي فقتلته وقصدت ان اعلم بقتله الحكومة فنعني بعض اصحابي وقالوا لي ان محافظ المدينة ورجال المجالس لهم شركة معه يقاسمونه على ما ينهبه ويسلبه فاخذت اذ ذاك ثيابه وسلاحه وجواده فاستعملتها لنفعي كما ترون وتقلدت مأموريته واتيت اليكم اعرض نفسي مكانه. فلما سمع جماعة اللصوص كلامه تشاوروا معاً ثم اتفقوا على ان يقيموه رئيساً عليهم عوضاً عن رئيسهم المقتول وذلك لما تيقنوا فيه الكفاءة لذلك وعلموا انه اشجع من رئيسهم الاول ومن ذلك الحين صار لويجي فامبيا رئيساً لقطاع الطرق واشتهر بشجاعته وخافته ابناء السبيل ولم تقدر الحكومة حتى الان تقبض عليه او تمنع تعديه الّا انه بعد ان مضى عشرة ايام من تنصيب لويجي رئيساً للصوص صادف ذات يومٍ فارساً منفرداً في احدى الطرق المظلمة بالاحراش ففاجأه وناداه ان يخلع ما عليه من الثياب ويسلم نفسه اليه فامتنع الفارس واهانه وحذره من بطشه فلما سمع فامبيا كلامه ضربه في خنجر بصدره وكان الفارس مدرعاً بمجن من الحديد فلم يؤثر فيه

الخنجر فزاد غضب فامبيا وفي الحال ترجل الفارس عن جواده وقبض عليه فمد فامبيا يده الى وسطه وقصد ان يرفعه بين يديه ويرميه الى الارض ويفعل به كما فعل برئيس اللصوص فلم يقدر فرماه الى الارض وشد وثاقه بمنديل غير مكترث به فتملص فامبيا وهجم على الفارس ثانية فلطمه ورماه الى الارض واراد ان يوثقه فصاح اليه تمهل يا سيدي فاني مستجير بك ومتيقن انك اشد بأساً مني واعظم مراساً فصفح عنه ثم تعاهدا وتوادا واتفقا على مراعاة بعضهما وان يخدم لويجي فامبيا الفارس طول عمره وسأله عن اسمه فقال له ان اسمي السندباد البحري ومن ذلك الوقت وقعت الالفة بينهما وصار هذا السندباد يتردد الى هذه النواحي يستقصي عن كل فقير او مظلوم وبقي فامبيا في مهنته فمن وقع في يديه يقيده ويبقيه عنده الى ان يحرر الى اهله او احد اقاربه ليفدي نفسه بالمال وها قد اوضحت لك حالة هذا الشقي وحذرتك من بطشه فاختر لنفسك ما يحلو . واما فرنند فكاد يفقد وعيه عند سماعه اسم السندباد البحري لانه كان شاهده في جزيرة مونتو كريستو وجرى معه ما جرى ولم يعلم انه حضر الى رومية ونزل في تلك اللوكندة التي هما فيها تحت اسم الكونت دي مونتو كريستو

وقبل ان عزم البير على الركوب حضر غلام وبيده ورقة من الكونت دي مونتو كريستو يطلب به ان يزورهما الى غرفتهما ولما قرآا الورقة قالا لا بل من الواجب ان نزوره نحن اولاً لياقة وكرامة لمقامه ثم توجها اليه ودخلا عليه فلاقاهما بالترحيب والاكرام وبعد ان سلما عليه جلسا وقد تعجبا من اثاث غرفته ومفروشاتها التي لا نظير لها في كل ايطاليا كونها كلها من البسط والمنسوجات الشامية ونحو ذلك . ثم قال لهما الكونت دي مونتو كريستو اني عرفت ان في عزمكما التوجه الى التنزه في البرية وبما اني اعرف مؤكداً انكما لا تقدران ان تجدا مركبة تليق بكما نظراً لازدحام الناس في هذه الايام فاني اقدم لكما احدى مركباتي الخصوصية لتكون في خدمتكما فشكرا فضله

وقد تعجبا من كرمه وبهتا من هيئته ولا سيما فرننند فانه تذكر انه هو الذي رآه في مغارة جزيرة مونتو كريستو وان كان قد غيَّر هيئته وازال ذقنه ونزع عنه تلك الملابس انما احتراماً لشخصه لم يفه بكلمة وعند ما حضر الطعام نظر ان تلك المائدة والآنية الموجودة عليها تشابه التي رآها في المغارة فزاد ارتباكه من كل هذه الامور وعظم حال الكونت في عينيه وتيقن ان لا بد من قصة عجيبة دعته الى كل هذه الامور. وبعد ذلك قال البير للكونت اعلم يا سيدي اننا نحن من مدينة باريس قد خرجنا على سبيل السياحة هذه المدة القصيرة ولا نقدر ان نكافئك الآن فاذا شئت ان تتنازل باتمام معروفك معنا فنلتمس اليك ان تشرفنا عند ذهابك الى باريس قال لا بد لي من الذهاب وبعد ثلاثة اشهر اكون هناك. فقال البير اذاً نسافر معاً من هناك. قال كلّا لا يكون ذلك بل يجب ان تنتظرني غرة شهر حزيران الساعة ١٠ صباحاً هذا اذا لم تمنعني يد العناية بما هو فوق طاقتي. وكان عند الكونت بنت رومية على جانب عظيم من الحسن واللطافة وكانت كل هذا الوقت تغني باللغة اليونانية. ثم ودع فرننند والبير الكونت وخرجا من عنده وكان البير قد كتب تاريخ اليوم الذي وعده به ان يزوره بباريس. وباتا تلك الليلة وهما يتحدثان بامور الكونت ويتعجبان من كرامة اخلاقه. وفي صباح اليوم الثاني خرج البير الى باب اللوكندة فصادف مركبة الكونت تنتظره فركبها وخرج بها قاصداً البرية غير ملتفت الى تخويفات صاحب اللوكندة وتحذيراته ووعد رفيقه فرننند انه يعود اليه عند الظهر فبات ينتظره بفروغ صبر حتى مضى الوقت المعين فلم يحضر فارتبك من ذلك وصار في حيرة عظيمة وقلق لاجله وقد انقضى النهار بطوله واقبل الليل دون نتيجة فحار في امره ولم يعد يعرف ماذا يجب ان يعمل وقد تيقن انه وقع في يد اللصوص وما زال في ضجر وكدر الى ان انتصف الليل واذا باب غرفته قد طرق فقام وفتح الباب واذا بشخص قد دفع اليه ورقة ممضاة بامضاء البير يقول له اعلم يا اخي اني قد وقعت في ايدي اللصوص واصبحت

عندهم اسيرًا وقد التزمت ان افدي نفسي بمبلغ قدره ١٥ الف فرنك فاذا حضر هذا المبلغ نقدًا في نحو ١٤ ساعة أطلق سبيلي والّا اموت اشر ميتة فارجوك ان تهتم بامري ولا تدعني بايدي هؤلاء اللصوص الذين لا يعرفون حلالاً ولا يرعون ذماماً ولا يخافون الهاً . فانذهل فرنند من هذا الامر ووقع في حيرة لانه لم يكن معهما في الصندوق غير ثلاثة الاف فرنك وبعد التفكر مليًا خطر في باله ان يستغيث بالكونت دي مونتو كريستو ويطلب منه المساعدة ويطلعه على ورقة البير واذ ذاك امر الرسول ان ينتظره وذهب الى غرفة الكونت فطرق عليه الباب فخرج اليه فاعطاه ورقة البير فلما قرأها قال له هاك الصندوق امامك فخذ منه ما تشاء واذا لزم الامر بالذهاب معك الى هناك فلا بأس فاني لا اتأخر عن ما فيه نفع البرية ولا سيما انتما وقد صرتما من اعز اصحابي . فسكن لكلامه روع فرنند وتيقن خلاص رفيقه ثم اخذ الدراهم وخرج فخرج معه الكونت الى ان اجتمعا بالرسول فطلب منه الكونت ان يسير امامهما فسار وتبعاه الى ان دخل الاجام خارج رومية وفي كل مدة يصادفون جماعة من اولئك اللصوص وهم يطوفون ليترصدوا من يقع بايديهم حتى انتهوا الى مغارة كبيرة بها البير اسيرًا ونظروا من حوله سبعة رجال من الاشقياء وبينهم رجل يطالع في كتاب وهو جالس في صدر المغارة وكان هذا لويجي فامبيا رئيس اللصوص فلما نظر الكونت داخلًا نهض واقفاً وترحب به وقال له لاي سبب شرفت يا سيدي في مثل هذا الوقت . فقال اني لما رأيتك خنت الوعد واخنث بالعهد اتيت اليك . ألم تتعاهد يافامبيا بان لا تتعرض قط الى احد من جماعتي وان تحافظ على هيبتي وطاعتي . فقال المعذرة يا سيدي الكونت فاني لم اعلم بان هذا من جماعتك ولا انا قط خرجت عن عهدي معك وربنا انك قد اتعبت نفسك بالمجي الى هنا فخذ صاحبك وسامحني على فعلي فاني معذور لجهلي اياه . فاخذ البير وفرنند العجب من هذه الطاعة العمياء وكيف ان رئيساً كهذا شجاعاً قائدًا لمائة من اللصوص يذل لهذا الكونت

وقد تيقنا في نفسهما انه ليس كبقية العالمين

ثم ان الكونت بعد ذلك اخذ البير وعاد راجعاً وقد قبل عذر فامبيا في هذه المرة وحذره من الاعادة مرة ثانية وقد امر فامبيا اصحابه ان يمشوا بين ايديهم المشاعل فتكدر اصحابه من عمله وقالوا لما تريد ان تحرمنا هذا المبلغ الجسيم بعد ان ساقه القدر الينا. فقال ألا تعلمون ان هذا له علينا الافضال الجزيلة وقد عفى عني بعد مقدرته على قتلي وخلص احدكم بينو من القتل وله علينا وجوب الخدمة والمراعاة. فقال بينو وهو احد اللصوص من هذا ياسيدي فاني لم اعرفه تماماً . فقال هذا هو الكونت دي مونتو كريستو او بالحري هو السندباد البحري. فلما سمعوا هذا الكلام تسابقوا الى خدمته وقد تحققوه وساروا امامه بالمشاعل حتى خرجوا من الغاب ثم رجعوا وسار الكونت برفيقه وعند ذلك سأل البير ماذا حصل له حتى وقع بين اللصوص. فقال اعلم ياسيدي اني بينما كنت سائرًا في تلك المتنزهات واذا بامرأة ملثمة قد دنت مني وناولتني باقة من البنفسج فاخذتها منها فجعلت تمدحني وتطنب فيّ فسألتها ان تكشف لي نفسها فقالت لي اذا شئت ان تعرفني فاتبعني ثم درجت امامي فتأثرتها حتى انتهت الى مكان فوقفت ورفعت عن وجهها اللثام واذا به وجه شاب فعلمت انه من اللصوص فقصدت ان ادافع عن نفسي بالسلاح واذا بسبعة أخر قد فاجئوني باسرع من لمح البصر وقالوا لي اذا رفعت السلاح فانك لا محالة هالك لاننا نحن هنا كثيرون . فرأيت ان ذلك هو الصواب فسلمت نفسي ورضيت بالسلامة فاقتادني الى مغارة رئيسهم فسلموني اليه فاقترح عليَّ هذا المبلغ ولولا همتك ياسيدي الكونت لكنت لا محالة من الهالكين لان هؤلاء اللصوص لا يصبرون الى ان آتيهم بالمال من باريس ولم يبقَ بيدي هنا الا نحو ٣ الاف فرنك فاشكر فضلك على هذه المنة العظيمة واني اعتبر نفسي من الآن وصاعداً عتيقك لانك خلصتني من الموت. فهنأه الكونت بالسلامة وقال له لا يجب من الآن وصاعدًا ان تخاطر بنفسك بل يجب ان تحترس من

المنام وتتأمل في عواقب الامور قبل الوقوع فيها . ثم انهم دخلوا اللوكندة وباتوا تلك الليلة . ولما كان الصباح نشر في الجرنالات ان الحكومة قد قضيت على اثنين بالقتل احدهما اسمه فتولا لارتكابه الفظائع وآخر من اللصوص من اصحاب لويجي فامبيا . وفي الوقت المعين ازدحمت الناس في الساحة المعينة لاعدام المجرمين وكانت تلك الساحة قريبة من اللوكندة وكان الكونت وفرننند والبير ينظرن الازدحام ويشاهدنَ المكان المزمع ان يجري به القتل ولم يكن الّا القليل حتى احضر المجرمان يحيط بهما جماعة من الجند ومعهما كاهن لقضاء واجبات الدين وبينهم ايضاً شاب اشقر بيده سيف وكان هذا السياف . فصعد السياف على ظهر مرسح عالٍ قليلاً عن المتفرجين بحيث يشاهد من الجميع وبعد ان استقر قدم اليه المجرمان مكتوفا الايادي فقدم الاول فاوقفه وتقدم الكاهن فصلى له وبعد ان انتهى وبسط السياف عينه وعول اجراء العمل واذا بفارس يشق الجموع يسرع في الركض حتى انتهى الى رئيس العسكر فدفع اليه تحريراً ففضه وبعد ان قرأه صاح في السياف وامره ان يطلق الرجل القدم للذبح وكان هذا صاحب لويجي فامبيا فتعجب الحاضرون من هذه الحالة وكيف ان ورقة صغيرة خلصت لصاً شقياً من القتل . واما الرجل الآخر المحكوم عليه بالقتل فقتل علناً دون شفيع وارفض الجميع يتحدثون من وقوع هذا الحادث الغريب وقد تيقنوا ان تلك الوريقة هي واردة من احد الرجال العظام اصحاب النهي والامر . الّا ان اللص المذكور الذي عني عنه بعد ان شكر رئيس الجند قصد اللوكندة ورمى بنفسه على اقدام الكونت يقبلها وجعل يثني عليه ويشكر فضله ومعروفه على خلاصه من الموت وفي تلك الساعة تحقق البير وفرننند ان الكونت هو صاحب الورقة فانبهرا من عمله وزاد حبهما له وقالا في نفسيهما ان من كان مثل هذا الكونت يجب ان يفدى بالنفوس ويخدم على الرأس قبل العيون وصارا لا يفارقانه دقيقة الّا وقت المنام ولا سيما البير فانه تعلق بمحبته جداً وذلك لان الكونت كان يعزه

ويوده نوعاً لكونه ابن مرسيداس خطيبته وكان لا يفتر من النظر اليـه ولا يبرح يتذكر والدته التي كانت لوائحه تدل على لوائحها وبعد ان مضى على ذلك نحو ١٥ يوماً عزما على السفر فجدد البير مع الكونت العهد بان يزوره في باريس كما تقدم الكلام. ثم ودعوا بعضهم وسار فرنند والبير وهما يتحدثان بحالة الكونت ويشكران الزمان الذي اوصلهما اليه. ثم قال فرنند لرفيقه اني كنت ارى الكونت دائماً ينظر اليك وقد تأكدت ان لهذا سبب خطير. قال نظرت منه ذلك وتحققت ان في باطن القضية سر عجيب. فضحك فرنند وقال اني اعرف هذا الكونت غير هذه المرة وذلك في جزيرة دي مونتو كريستو وجرى لي معه كذا وكذا وحكى لالبير ما وقع له مع السندباد البحري في المغارة فتعجب منه البير وقال لا بد لنا من معرفة احوال هذا الكونت ولما انتهى آخر السفر ووصلا الى مكان الفراق ودعا بعضهما وسار فرنند الى فلورنسة والبير الى باريس

الفصل الخامس

مسير الكونت دي مونتو كريستو الى باريس

ولما استقر البير في منزله جعل يعد نفسه بملاقات الكونت ويستعد للقيام بما يليق به مكافئة له على معروفه معه وجميله لانه خلصه من الموت وغمره بجزيل احسانه وحكى ذلك الى ابيه وامه فسرا به واصبحا ايضاً مثله ينتظران بفروغ صبر اتيان الكونت . ولما كان غرة شهر حزيران وهو اليوم المنتظر دعا البير بعض اصحابه فاجتمعوا عنده فجعل يحدثهم بحوادث الكونت العجيبة الغريبة ويخبرهم بما وقع له معه وما سمعه عنه حتى ان الموجودين كانوا يظنون انها تلفيق لا اصل لهـا بل هي من الخرافات والقصص التي تحكى في ايام الشتاء لتمضية السهرة فكان هذا يعترضه وهذا يقول له لا يمكن لي ان اصدق ذلك والآخر يهزّ برأسه مستهزءاً فقال لهم اخيراً الآن ترون صدق قولي فانه

في وقت قريب يكون الكونت هنا لان الكونت المذكور وعدني انه في الساعة العاشرة من هذا النهار يكون عندي على سبيل الزيارة . ولما صارت الساعة العاشرة قالوا له قد ثبت عندنا ان ما حكيته ضرب من الاحلام فان كونتك لم يحضر ليتحقق عندنا صدق هذه الحكاية وما تحكيه وتسمعه هو وهم وقع في فراشك وانت نائم فتوهمته صحيحاً وامور كهذه طالما تخالط العقل حتى يتوهم الانسان ان المحال حال وصاروا يضحكون ويكثرون من المزاح معه حتى كادت مرارته ان تنفطر . وبينما هم كذلك واذا يسمعون طرق الباب فاصغوا واذا بخادم قد دخل حتى انتهى الى البير فدفع اليه ورقة عليها اسم الكونت دي مونتو كريستو وحينئذٍ مالت انظار الجميع الى الباب وقد تحققوا قول البير واسرعوا جميعهم الى ملاقاته لا سيما البير الذي انتصر على اصحابه بصدق قوله ولما اجتمعوا به وشاهدوا هيبته ووقاره قالوا في انفسهم لا شك ان البير قد قصر في مدح هذا الامير فبالحقيقة انه من اجل الامراء والطفهم واهيبهم منظراً وبمجرد نظرهم اليه دخل حبه قلوبهم جميعاً لان ما سمعوه عنه كان يظهر لهم مسطوراً فوق جبهته وصار كل منهم يتعرف به بنفسه فكان بوداعة ولطافة ورقة غريبة يسامرهم ويمدحهم ويحدثهم وكان من جملة المدعوين مكسيمليان ابن الخواجا موريل صاحب ادمون المقدم ذكره في بداءة هذه السيرة فقدمه البير الى الكونت وقال ان هذا الخواجا هو من مدينة مرسيليا وهو ابن الخواجا موريل احد تجارها المعتبرين وهو من ضباط العسكرية وقد خلص بشجاعته رئيسه من القتل وقد نال علامة الشرف مكافأة على ذلك . فتحرك قلب ادمون عند سماعه اسم موريل اشعاراً بمعروفه معه واخذ يد مكسيمليان ومدحه على شجاعته واثنى عليه كثيراً واجلسه بجانبه ودار الحديث بين الموجودين فكان كل منهم يمدح الكونت ويثني عليه الى ان حضر خادم البير ودعاهم للطعام فدخلوا غرفة الطعام وجلسوا على المائدة وعند ذلك اعتذر البير الى الكونت بقوله لا ريب ايها الكونت انك

لا تسر بأكل باريس لانك تحب المآكل الشرقية وهذه ليس عندنا من يطبخها فقال الكونت لا فرق عندي في المآكل لا سيما ولي نحو ٢٤ ساعة لم اذق طعاماً فتعجب الجميع من مقاله وقال له البير كيف ايها الكونت لم تذق طعاماً في مدة كهذه . قال لاني كنت نائماً كل هذه المدة . فقال له احد الحاضرين وهل هو النوم طوع ارادتك . قال نعم فاني حينما اريد النوم ابلع قطعة من معجون معي فانام وقتاً ليس بقليل بقدر كثرة المعجون . قال نعم ثم مد يده الى جيبه فاخرج علبة من الذهب ودفعها اليهم فانبهروا من العلبة وعاد كل منهم يقلب فيها على حدة ولم ينظر احد الى داخلها وكان اكثر تعجبهم من جوهرة كبيرة كانت العلبة مرصعة بها وقد ثمنوها بانفسهم فلم يقدروا ان يعرفوا ثمنها . ولما رأى الكونت تعجبهم قال لهم اظنكم تفكرون بهذه الجوهرة التي على ظهر العلبة قالوا نعم فاننا لم نرَ حتى الآن جوهرة بهذا المقدار فقال كان معي ثلاث من هذا النوع قدمت واحدة منها لحضرة السلطان العثماني والثانية لقداسة البابا وهذه الثالثة ابقيتها معي . فقالوا له لا بد ان كلاً من السلطان والبابا قد كافياك على هذه الهدية العظيمة فباي شي جوزيت منهما . قال ان البابا وهبني حياة لص كان قد حكم عليه بالقتل وذلك اني قدمتها له وسألته العفو عن المجرم فاجاب في الحال وأمر باطلاقه ولهذا تكون تلك الحجر قد ثمنت بدم رجل من الجنس البشري وكذلك السلطان العثماني فقد وهب الحرية لابنت رومية كانت اسرت ووضعت في قصره وهي عائدة الرومية التي لا تزال عندي واني افضلها نظرًا لادابها وكمالها على اعظم جواهري واموالي فقال البير اظن ان البابا وهبك حياة ذاك اللص الذي كان قدم للذبح فعفي عنه واتى الى اللوكندة شاكرًا فضلك ومعروفك . قال نعم اني فعلت معه ذلك مقابلة لتخليصك من اسرهم وقد شاهدت انقيادهم اليَّ فوجب عليَّ اكرامهم ولا يجب اظهار اكثر من ذلك . ثم انهم بعد اكل الطعام نهضوا عن المائدة ودخلوا غرفة اخرى وكلهم مسرورين بمعرفتهم بالكونت وبعد ان استقروا اخذوا

يفتكرون في ان يجدوا محلًا مناسباً لسكن الكونت مدة اقامته في باريس وصار كل واحد منهم يقدم رأيه في تقديم قصر يوافق المقصود فعند ذلك قال لهم الكونت لا يجب ان تهتموا بهذا الأمر فاني بعثت خادمي عليّ ولا بد ان يأتي بالمقصود ويشتري لي قصرًا موافقاً . فقال له البير وكيف هذا الخادم الاخرس يقدر ان يقوم بقضاء هكذا خدمة مهمة . فاجابه الكونت انه وان كان ابكماً الّا انه غزير النفع يفعل ما يعجز على اعظم الرجال الفصحاء ان يفعلوه وبينما هم في مثل هذا الحديث واذا بعلي قد دخل واشار برأسه الى الجميع علامة التحية فاجابوه بالاشارة ثم دفع الى سيده ورقة مكتوباً بها اني اشتريت لك يا سيدي قصرًا فسيحاً حسب مطلوبك مع جميع اثاثه واحتياجاته ومتنزهاته . وفي الورقة ايضاً اسم المحل وغرته وبعد ان قرأها الكونت قال للجماعة ألم اقل لكم ان خادمي يبتاع لي قصرًا حسب المطلوب وهاكم اسم المحل الذي ابتاعه وغرته ثم دفع الورقة اليهم فقرأوها وصار كل منهم ينظر الى الآخر متعجبين من حالة هذا العبد الابكم كيف قدر ان يشتري قصرًا كهذا القصر وهو من قصور فرنسا بهجةً ورونقاً واغلاها قيمة وثمناً وكادوا لا يصدقوه في ذلك لعلمهم ان الكونت لم يذهب الى هناك ولا نظر القصر ولا ما داخله . ثم تقدم البير الى الكونت وجلس بجانبه وقال اعلم يا سيدي الكونت ان والدي ووالدتي سيحضران هذا المكان ويحضر معهما ايضاً موسيو دنكلار ابو خطيبتي . فقال له الكونت وهل اذا انت تقترن عن قريب بابنة هذا الرجل الذي تشير اليه . قال اني اكره ذلك ولا احب ان اتقرب من هذه الخطيبه ولا من ابيها ولكن اجابة لطلب والدي قبلت ذلك لانه هو الذي الزمني ان اقبل ان ارضاها لي عروسة وعلى ذلك فلا بد ان تحضر الفرح بعد قريب من الايام الآتية . فاظهر الكونت ابتهاجهُ وقال اني ارغب ان ارى والديك ولا سيا دنكلار فان بيدي عليه مبلغ جسيم تحولت عليه من رومية من محل الخواجات تومسون وفي الحال قال مكسيمليان

ابن موريل هل تعرف يا سيدي الكونت هذا المحل في رومية التي اخذت منه التحويل . قال نعم انني اعرفه جيداً وهو وكيلي في رومية ومستلم اشغالي فيها فقال مكسيمليان اننا حورنا جملة مرار الى ذلك المحل نشكره عما له في ذمة والدي من المبلغ لان والدي اوصانا قبل وفاته ان لا نتهامل عن تقديم ما في وسعنا لذلك المحل الذي كان سبباً لنجاتنا من الخراب فهل ايها الكونت المحترم تعرف او سمعت شيئاً من ذلك لان المحل المذكور حتى الساعة لا يجاوبنا على شيء . وانا من ذلك في اضطراب . فقال الكونت اني لا اعرف شيئاً مما تقول اذ لا تعلق لي بهكذا امور . ثم جعل القوم ينصرفون واحداً بعد واحد حتى لم يبق سوى الكونت والبير . وكان مكسيمليان ابن موريل قد طلب من الكونت ان يزوره في بيته والح عليه بذلك فوعده بـه ولما خلا المكان طلب البير الى الكونت دي مونتو كريستو ان ينهض معه ليفرجه على بيته ومنتزهاته فقام معه وطاف به البير من غرفة الى غرفة حتى انتهى الى غرفته الخصوصية وهناك نظر الكونت صورة معلقة بحائط الغرفة وما لبث ان امعن فيها لحظة حتى ادركته قشعريرة ورجفان فقصد بكل جهده ان يتمالك نفسه عن ذلك فلم يقدر بل كانت عيناه شاخصتان فيهـا رغماً عن ارادته ففهم البير منه ذلك ونظر حالته وارتباكه فقال له اظنك يا سيدي قد افتكرت ان هذه الصورة لامرأة تعرفها فذلك وهم منك لانها صورة والدتي مرسيدس فلا تتوهم فيها غير ذلك وكان البير يجهل حالة والدته انهـا كانت مخطوبة لرجل قبل والده . اما الكونت كان قد تلاعبت بـه الهواجس وقد تحرك عليه هواه وذكرته تلك النظرة بحوادث مرت عليه من عشرين سنة وكانت سبباً لبعده عن محبوبته هذه وبعد قليل هدأ روع الكونت وتجلد بقدر الامكان ومال بنظره عنها جاعلاً نفسه يتفرج على صور اخرى . ثم قال البير ها قد تفرجت على كل ما هو عندنا ولم يبق الا والدي ووالدتي اللذان يطلبان بفروغ صبر ان تسمح لهما ان ينظراك ليشكراك على جميلك ومعروفك . وكان

الكونت يشتاق ان يرى مرسيداس ليعلم الى اي حالة اوصلتها يد الكبر وهل لا تزال تلوح عليها لوائح اللطف والمحاسن التي كان يعهدها فيها من زمن الصبا وليعلم ايضاً هل عند وقوع نظرها عليه تعرفه او تتذكر حوادث كانت من نحو اكثر من عشرين سنة تقريباً على انه كان يفتكر ان نظره لها ربما اثر فيها او فيه بما يظهر امره الذي يجب ان يخفيه الى وقته . واخيراً قال لالبير لا بأس من مواجهة والدك ووالدتك وذلك يكون باسرع وقت لانه لم يعد يمكنني ان اقيم اكثر من دقائق قليلة وفي الحال امر البير خادمه ان يرسل يعلم والده ووالدته وبقي الكونت موجهاً بانظاره الى جهة الباب وكان نظره الى صورة مرسيداس بغتة ومضى ذلك الوقت القليل عليه جعله قادراً على التجلد اكثر مما لو كان رآها نفسها بغتة ومع ذلك كان في ارتباك عظيم لانه سيرى بعد لحيظة احب امرأة عنده وهي مرسيداس . ويرى ايضاً ابغض الناس اليه وهو زوجها فرنان وكان فرنان قد غيّر اسمه فدعي دومورسرف وبعد ذلك دخل دومورسرف فوقف له الكونت دون ان يرى منه ما يدل على انه عرفه او اشتبه به فسلم عليه وجلس . واما مرسيداس بعد ان توسطت الغرفة وهي مزمعة ان تمد يدها لتحيي الكونت وقفت باهتة واعترتها رجفة وتلون وجهها باحمرار ثم باصفرار لان الحب الثابت لا يموت مهما طالت عليه الايام وتقلبت الليالي ولا يمكن ان تغيره الحوادث مهما كانت عظيمة ولم يخف على مرسيداس ان الكونت دي مونتي كريستو هو حبيبها ادمون دانتاس لانها نظرت اليه بعين جسمها

قلوب العاشقين لها عيونٌ ترى ما لا يراهُ الناظرونا

ولما شاهد زوجها وابنها حالتها وارتباكها قالا لها ما الذي دهاكِ وبما تشعرين فانكِ الآن كنتِ بصحة تامة فخجلت من كلامهما وعلمت ان حالتها قد ظهرت فاجهدت نفسها لتخفي تلك الدلائل فقالت لم يصبني شيء انما عرض اصابني على حين بغتة ثم تقدمت الى الكونت وحيته ولما مسك يدها شعر

بها باردة جداً كالثلج فتأكد الكونت انها عرفته حق المعرفة واصابته هو ايضاً بعض ما اصابها الّا انه تجلد وجعل يشغل نفسه بالكلام مع دومورسرف على معروفه سألهم ان يسمحوا له ان يذهب ليرى القصر الذي اشتراه له خادمه علي فقال له البير اذاً اصبر قليلاً ليجيء الخادم مركبتنا فتوصلك الى منزلك فقال لا لزوم لذلك لاني بعثت خادمي ارتيشتو ليبتاع لي مركبة وقد سمعت صوت مركبة وقفت بالباب فاظن انه حضر بها ثم ودعهم وخرج فرافقه البير الى الباب فوجد ارتيشتو ينتظره بالمركبة فاندهش البير من هذه المركبة لانه نظرها محلاة بالذهب تضي كالكوكب يقودها جوادان من الخيل العربية يساوي كل منهما اكثر من ثلاثة الاف فرنك ثم ركب الكونت مركبته ورجع البير الى غرفته فوجد والدته هناك واضعة رأسها على يدها وهي غرقى ببحر من الهواجس والافكار متحيرة في امر الكونت كيف وصل الى هذه الحالة مع انه كان محبوساً وشاع انه مات في السجن وكانت كأنها توبخها نفسها على قبولها بزواج فرنان وتأكدت بانه لا بد ان يقول عنها ادمون انها خائنة للوداد وناكثة للعهد وكانت بكل جهدها تروم ان تخفي ما لحق بها خوفاً ان يدرك ولدها وزوجها ما بها لا سيما وقد تأكدت ان ادمون حبيبها الاول قد لقب نفسه بالكونت دي مونتو كريستو املاً بان يخفي نفسه تحت هذا الاسم وعرفت ايضاً ان زوجها فرنان لم يعرفه انه عدوه الالد فصممت على الكتمان. ولما دخل عليها ولدها قالت له اطلب منك يا البير ان تخبرني عن حقيقة هذا الكونت ومحل مولده ان كنت تعرف ذلك وهل غناه هذا بالارث او اتصل اليه بطريق اخرى. فقال ان ما اعرفه من تاريخه هو ان هذا الكونت يدعى باسم جزيرة مجاورة لتوسكانا وانه لا يوجد الآن اغنى منه في العالم وقد يظهر من حالته ومما هو مسموع عنه انه قاسى شدائد واهوالاً وطاف في البلدان والعواصم كثيراً وغير ذلك لا اعرفه وقصدي وخلاصة ما اريد ان اعرف انه لي نعم الصديق وقد بلغت من وداده درجة قصوى وهو عندي اعظم وافضل من

ملوك فرنسا . فقالت ان جل قصدي ان اعلم من اين وصل له هذا المال لاني تصورت انه ربما كان على الاكثر فقيراً في بداءة عمره وانه على ما اظن كان سكن باريس وان . . . ثم خنقتها العبرة وتلعثم لسانها فلاح لابنها انها لا بد ان تعرف الكونت وتبين له انها اما كانت تحبه في الاصل او انها وقعت بحبه عند ما رأته هذه المرة ولهذا اصابها ما اصابها ولا تزال في حديثه وتبحث عنه وعن احواله باجتهاد ورغبة عظيمة ولذلك اعرض عنها وسار الى غير جهة

واما الكونت فان المركبة اسرعت به حتى اوقفته امام قصره الجديد الذي اشتراه خادمه علي الاسود . وبعد ان طاف كل غرفة وقلب في باطنه وظاهره اعجبه جداً ولا سيما اثاثه الفاخر الذي تيقن انه اخر اثاث وجد في فرنسا . وبعد ان اقام فيه قليلاً متفكراً بكل هذه الحوادث التي طرأت عليه ومتعجباً من حالة مرسيداس ومما اصابها كان لسان حالها يعتذر اليه بانها ندمت على ما وقع منها وان حبه لا يزال مؤسساً في قلبها كما كان وان كانت هي الآن لرجل آخر دعتها الضرورة ان تسلم نفسها اليه وتذكر ايضاً فرنان القرنان وحركته الغيرة منه على مرسيداس وعمله الاول الى الانتقام وهلاك اخصامه وقال في نفسه قد آن الاوان لاخذ ثاري من اخصامي وكلهم هنا في قبضة يدي . ثم خطر له اخيراً ان يشتري قصراً آخر خارج باريس يلزمه لاتمام غايته وتنفيذ مآربه فأمر خادمه ارتيشتو ان يدعو له الدلال فطلب اليه ان يشتري له قصراً خارج المدينة فوعده ولم يمض الا القليل حتى عاد اليه واخبره بوجود قصر فأذنه ان يكتب حجته باسمه ويأتيه بصاحبه فيدفع له الثمن ففعل . ولما دفع الثمن واخذ الحجة دفعها لخادمه فنظر فيها فارتعش وارتعد واضطرب فلحظ منه الكونت ذلك انما لم يهتم به وقتئذٍ وبعد ذلك اصرف الدلال ودفع له اجرته اضعاف ما يستحق حتى خرج من امامه يشكره ويثني عليه وهو متعجب من كرمه . وفي اليوم الثاني امر الكونت خادمه ارتيشتو ان يهيئ له المركبة التي اشتراها ليسير الى قصره الجديد الذي ابتاعه له الدلال . فلحق

خادمه من كلامه رعدة فقال له الكونت لما انت في اضطراب وقــد رأيتك
بالامس في حالة لم ارك فيها قبل وذلك عندما اخذت حجة هذا القصر الجديد ·
فقال له ارتيشتو لم يصبني شيء مما ذكرت ثم سار فأتى بالمركبة فركب الكونت
بها حتى وقفت بباب القصر فنزل الكونت وبقي الخادم على خلاف عادته ·
فقال له الكونت ما لي اراك هذين اليومين في ارتباك وانشغال بال · فقال
لا شيء يا سيدي من ذلك وبما ان الليل قد دنا شعرت بعاقتنا فتكدرت لذلك
فارجوك المعذرة · فقال له اذاً احمل قنديل المركبة وسر امامي لنطوف في هذا
القصر فان مرادي ان اتفرج عليه واعرف موافقته لي فعند ذلك اخذ ارتيشتو
القنديل ودخل امامه وصار الكونت يدخل من غرفة ويخرج من اخرى
حتى طاف كل غرف القصر وقد اعجبه جداً وسر لموافقته له ثم قصد النزول
الى منتزه القصر فدخلا في قبو ينتهي بسلم يوصل الى المنتزه وهناك وقف
ارتيشتو مرتجفاً ومضطرباً واذ ذاك لم يعد يقدر على اخفاء حالته فقال لسيده
غصباً عن ارادته ارجوك يا سيدي ان تسمح لي ان لا انزل في هذا السلم فخذ
المصباح وسر انت بنفسك فاني انتظرك هنا فتعجب الكونت من قوله وقال
له لا بد لك من النزول معي فنزل ارتيشتو رغماً عن ارادته فطافا قليلاً في
بستان القصر حتى انتهيا الى شجرة ولما صارا تحتها صاح ارتيشتو هنا · هنا هنا
صارت الواقعة ووقع مغشياً عليه فشق عليه الكونت وقد زاد حيرة وقال
في نفسه لا بد من حادث عجيب ثم نهضه ولما جلس قال له الكونت لا بد
لك ان تطلعني على كل هذه الاسباب التي وقعت عليك ولم يعد يمكنك الآن
الاخفاء · فقال اذهب بي اولاً من هــذا المكان ومتى صرنا خارجه اخبرتك
بواقعة الحال فرجع بــه الكونت الى المركبة فركباها قاصدين باريس وفي
الطريق سأل الكونت ارتيشتو ان يحكي له قصة هذا القصر وما هو سبب
انزعاجه فقال ارتيشتو اعلم ياسيدي انه لما كانت الحكومة تحت سلطة نابليون
الاول كان اخي من المقربين اليه والمكرمين عنده وكان الامبراطور يحبه جداً

لا سيا وانت تعلم اننا من بلده من كورسيكا ولما طرد نابليون وتسلطت العائلة البوربونية اهلكت كثيراً من احزابه وملاذيه وكان من جملتهم اخي المذكور وكنت لا اعلم ما طرأ عليه فأتيت ذات يوم الى المدعي العمومي وهو دي فيلفور وسألته بجسارة عن ماذا اصاب اخي وهل هو باق في قيد الحياة ام اهلكوه فاغلظ عليَّ الكلام وطردني من عنده وتهددني بالاعدام ان عدت فاتحته في مثل ذلك وانه يلحقني باخي اذا اتيته بذكره مرة اخرى فعند ذلك قلت له فليكن مؤكدًا عندك يا فيلفور ان كان اخي قد هلك فلا بد ان اقتص له منك فاحذر على نفسك مني من الآن وصاعداً فاني لا افتر عنك ولا بد من اخذ روحك وتخليص المظلومين من بين يديك ثم اسرعت في الخروج خوفاً ان يأمر احد اتباعه فيقبض عليَّ قبل القيام بما اشرت اليه وبقيت من ذلك الوقت اترصده وانا مختفٍ وكثيراً ما كنت اقصد بيته ليلاً قاصداً الايقاع به فلا يتيسر لي ذلك لان الموانع كانت كثيرة وكان آخذاً على ذمته الاحتياطات اللازمة وقصد القاء القبض عليَّ فلم يقدر لاني كنت لا اظهر لاحد. ولما اعياه الامر اختفى عن المدينة مدة فاخذت خبره انه مقيم في هذا القصر الذي اشتريته يا سيدي وكنا فيه كل ليلة الى ان كان ذات ليلة قلبت عن الحائط ودخلت بستان القصر وجعلت اترصد ان اجد طريقة توصلني اليه وبينما انا على ذلك نظرت بضوء السماء موسيو دي فيلفور نازلاً من السلم وحاملاً على يديه لفافة بيضاء من الحرير الخاص فلبثت تحت شجرة من شجر البستان انتظر قدومه وقد ترجح عندي نوال مآربي وكدت اطير من الفرح وتذكرت اخي المعدوم فلعبت بي نيران الانتقام فاخذت خنجري بيدي وصبرت نحو دقيقتين ليتوسط الجنينة ويبعد عن القصر . واذا به وضع اللفافة على الارض قرب شجرة واخذ يحفر بآلة كان اصحبها معه فتركته مشغلاً بعمله وفاجئته بضربة قوية سقط منها الى الارض يخبط بدمه فقلت له الحمد لله قد اخذت الآن منك بثأر اخي ولا ينفعك الحذر ولا انقذك من الخطر ولاجل

اخفاء اسمه رميته بالحفرة التي كان يحفرها فلم تسعه فرددت عليه التراب بقدر الامكان . واذ ذاك سمعت من اللفافة صوت طفل صغير فخفت ان يدركني على صوته احد فعزمت على الرجوع وقد اطفأت نار كبدي بقتل ذاك الخبيث لاني كنت وقتئذٍ قد توهمت انه هلك لا محالة وقصدت اهلاك الطفل معه الا اني افتكرت اخيرًا ان لا ذنب لهذا الطفل فحنت اليه جوارحي فاخذته على يدي وخرجت من البستان واذ ذاك اطمأن قلبي وارتاح بالي نوعاً . وعلمت يقيناً ان هذا الطفل هو ابن دي فيلفور لا محالة الا انه ليس من زوجته الشرعية ولا ريب في انه سطا على زوجة احد من اصحابه او خدمه فاتاه منها هذا الولد فقصد اخفاءه ودفنه في الارض خوفاً من الفضيحة والعار . وكنت قد رأيت زوجة دي فيلفور على جانب عظيم من الحسن وعمرها نحو ٢٢ سنة انما الرجل الخبيث لا يكل عن الخباثة لتأثر الشر والفساد والخطيئة اينما وجدت . ثم ذهبت بالطفل الى باريس وسلمته الى الراهبات وعدت الى بيتي فوجدت شقيقتي بانتظاري فاخبرتها بأخذ ثارنا من قاتل اخينا واطلعتها على كل ما توقع لي في تلك الليلة فشكرتني على اجتهادي في اخذ الثار الا انها لامتني على وضع الولد عند الراهبات وقالت لو احضرته الى هنا لاعتنيت بتربيته وتسلينا به فقلت لها خفت من ان يرى الولد معي او يعلم به احد فيكون سبباً لالقاء القبض عليّ . قالت لا بأس من ذلك فاني اخفيه ولما الحت عليّ بذلك رجعت الى دير الراهبات وطلبت منهن ارجاع الطفل وبينت لهن الوقت الذي سلمته لهن والساعة فسلمني اياه فرجعت به الى شقيقتي وقد سميناه بنديتو فاعتنت بتربيته وتهذيبه ولكن قد ضاع فيه التعب لانه ابن حرام وولد زنا فكان كلما كبر كبر معه الشر والفساد وتقوت فيه الرذيلة فقال الكونت وما تبين لك منه الشر حتى اشرت انه رديء الاصل قال ان لذلك اسباب عديدة منها اني قلت له ذات يوم هيا يا ولدي نسافر الى بلد غير هذه البلد نطلب لنا رزقاً فقد ضاق بنا الرزق في هـذه المدينة . فقال لي بجسارة من اين انا ولدك حتى

تدعوني بولدك ولا انا عبدك فلما هذا التحكم . فتعجبت من وقاحته وتيقنت ان لا خير فيه لانه ولد زنا . ثم انه تركني ومضى دون ان يسأل عني وكان بفكري ان ابعده الّا ان شقيقتي كانت تحبه لانها ربته وتعبت عليه ولهذا كانت تتعرض لي دائمًا وتحامي عنه اذا قصدت ان اضربه او ابعده مع انه كان يعذبها ويهينها ويشتمها عند كل كلمة تكلمه بها او تقلل عليه الا كل او تمنع عنه شيئاً . واخيرًا سافرت وحدي بصفة نوتي في احدى المراكب الفرنسوية المعدة لتهريب البضائع من رسم الكمرك فذات يوم بينما كنا آخذين في تهريب بضاعة مشرقية دهمتنا العساكر بقصد القاء القبض علينا فتركنا البضائع وطلبنا الفرار وتفرقنا في جهات مختلفة فرميت نفسي في نهر هناك وقطعته عائمًا على وجه الماء فوصلت الى شاطئ الثاني سالمًا وسرت مجدًا حتى اختفيت عن العيون واذ ذاك جئت الى صاحب لي اسمه كادروس فاتحًا خمارة في تلك النواحي فدخلت من حائط البستان خوفاً ان يراني احد وكان اذ ذاك قد اظلم الليل فاكمنت في احدى الزوايا وانا في تعب لا يوصف وبينما انا كذلك اذ سمعت صوت رجل غريب مع صاحبي كادروس لم اقدر ان اعرفه من صوته ولا شاهدت وجهه انما اصغيت لاسمع بما يتكلمان فسمعت الرجل يقول ان هذه الجوهرة لا تساوي زيادة عن اربعين الف فرنك وهكذا قد ثمنتها فاذا شئت دفعت لك هذا المبلغ واخذتها والّا فاني ابلغ عنك الحكومة لانك لا بد ان تكون قد سرقتها والّا من اين يمكن ان تصل اليك . فقال كادروس اني لا اخاف من الحكومة لاني اخذتها من الخوري بوسيوني وهو موجود فيسألونه فيخبرهم بخبرها وقد اخبرني الخوري المذكور انها تساوي اكثر من خمسين الف فرنك . فقال اسمع مني وخذ المبلغ المذكور وانا اخفي القضية ولا اطلع احدًا عليها لان الحكومة لا تصدق خبر الخوري بوسيوني وما هو السبب ليعطيك حجرًا نظير هذا يليق بالامراء والملوك ومع ذلك فاني ازيدك خمسة آلاف فرنك وهذا القدر كافي فلا عدت تتكلم وكانت زوجة كادروس

معها فقالت ان هذا الثمن قليل في مثل هذه الحجر ولا اسلم بيعه فلما رأى الرجل اصرارها اخرج من جيبه كيساً وافرغ الدراهم على المائدة وقال اذا شئتما دفعت لكما من هذه الدراهم لان الثمن معي . فلما نظرت زوجة كادروس الدراهم مالت اليها وطلبتها بتلهف وقالت لزوجها بعه اياه فما بيننا وبينه فرق وحينئذ اخذ الرجل الجوهرة وقبض كادروس الدراهم . وكل ذلك وانا اسمع ولا ارى لانني كنت في مكان بقربهم مختفياً دون ان يراني احد منهم . ولما قصد التاجر الخروج سقطت امطار وزوابع منعته عن الخروج فرجع الى كادروس وهو في كدر وتضجر . فقال له كادروس ابق هنا الليلة فان المطر يهطل بغزارة لاسيما واللصوص يطوفون كثيراً في هذه النواحي فربما وقعت بيد احد منهم فيسلب ما معك وربما اعدمك فقبل الرجل كلامه وقال له اذا اقبلني ضيفاً عندك هذه الليلة ولك عليّ الفضل والجميل فقال على الرحب والسعة . ثم بعد ذلك احضر كادروس خمراً وجلس مع ضيفه وزوجته ايضاً بينهما فشربا خمراً وبعد ذلك اكلا وصرفا وقتاً من الليل ولما طلب الرجل النوم اخذه كادروس الى مخدع آخر لينام فيه ورجع مع زوجته فصار يكلمها سراً بصوت واطئ لم اقدر ان افهم معناه ولما اعياني السهر نمت في مكاني دون ان ادع احداً يراني ثم استيقظت على صوت اطلاق طبنجة وبعد ذلك سمعت صراخاً وضجة فتقدمت ونظرت وانا برعبة وخوف واذا بكادروس آخذاً سراجاً بيده اليمنى وبيده اليسرى علبة تدل على ان داخلها جوهرة لانها من العلب التي توضع بها الجواهر فلم يلتفت اليّ ولا الى نفسه انما قصد المكان الذي كان قد وضع فيه الدراهم التي اخذها من الرجل فوضعها في عبه وكذلك العلبة وهرول مسرعاً في الركض فانذهلت من عمله وداخلني انه ربما يكون قد قتل الرجل وسلب ما معه وفاز في نفسه . فدخلت الى المخدع الذي فيه الرجل الغريب فوجدته مضرجاً بدمائه وهو ملقى الى الارض مائتاً فارتبكت وعزمت على الفرار للتخلص من ايدي الحكومة وبينما انا مزمع

على ذلك دهمتني انفار الضابطة والبوليس بغتة فقبضوا عليَّ وكتفوني وقادوني وانا استغيث وانادي اني لست القاتل وما انا الا ضيف في ذلك المكان ولكن لم يكن يسمع ندائي ولا من يجب استغاثتي فسلموني للحكومة وهناك اخذ في استنطاقي والتحقيق عن دعوة الرجل المقتول فاخبرت بواقعة الحال فلم يكن يقبل كلامي ولا من يشفع لي فبقيت في السجن الى ان حضر الخوري بوسيوني جزاه الله خيراً فخلصني وقرر للحكومة عن واقعة الجوهرة فصدقوه ولا سيما فان هرب كادروس من محله رجح براءتي واطلق سبيلي فقال الكونت ان كل ما اشرت اليه ليس بمبهم عندي لاني اعرفه انما اريد منك ان تخبرني عن الولد الشقي ماذا صار به والى ما آل به الامر فقال ارتيشتو اعلم يا سيدي ان الولد لما ابقيته عند شقيقتي وسافرت صار يضربها ويهينها وبقيت معه في تعب عظيم وهي ترى ذلك ولا يهون عليها رفضه واتفق مع شابين من الاشقياء على النهب والسلب والسرقة فذات يوم من الايام كنت غائباً عن البيت اتى شقيقتي وقال لها انا اعلم جيداً ان عندك دراهم في البيت فاعطني اياها والّا اخمدت نفسك وكان قد احضر معه رفيقيه الشريرين فقالت لا مال عندي وما هذه الوقاحة يا بنديتو فقال ان هذا الكلام لا يفيدك فاما ان تدفعي لنا الدراهم والّا قتلناك واذا لم تدفع لهم دراهم رموها بالنار فصاحت فاجتمع الجيران وانقذوها من النار وهي على آخر رمق الّا انها لبثت حتى ادركتها الوفاة فماتت اشر ميتة من يد ذلك الشرير الذي ربته وصرفت وقتاً ليس بقصير ومالاً ليس بقليل في تربيته فكانت كما قيل فيها

وفاعل الخير مع من ليس يعرفه   كواقد الشمع في قاعات عميان

فهذه يا سيدي قصتي وما جرى لي في القصر هو ناتج عن هذه الاسباب لاني تذكرت اموراً كنت قد نسيتها او كدت انساها او بالحري اتسلى عنها بمخابرتك ومعاملتك لي بكل رقة وحنو واهم شيء يكدرني الان ان موسيو دي فيلفور لا يزال في قيد الحياة ولا اعلم كيف كانت نجاته من تلك الحفرة

بعد ان تأكد عندي موته قتيلاً من يدي وعلى ما اظن ان الضربة لم تكن قاضية او اني لم انتبه حق الانتباه ولشدة خوفي وقتئذٍ لم اردم عليه التراب كما يجب فتخلص من الموت دون ان يسعى في القبض علي او يعلم احداً بما اصابه واظن انه قصد اخفاء ذلك خوفاً من الفضيحة والعار . فقال الكونت وهل تسمع عن بنديتو شيئاً . قال كلَّا لم اعد اراه ولا اريد ان اراه فقال الكونت لا باس اذ رايته فاحضره عندي واعلمني به فان لي بذلك مآرب خصوصية ولما دخلا القصر بقي الكونت وحده مفتكراً بكل هذه الحوادث الى ان حضرت عائدة الرومية وهي البنت التي اخذها الكونت من الاستانة وكانت هي سلوته وموضوع تسليته فلاقاها بالترحيب وامرها ان تغني له فغنت وصرف وقتاً من النهار والليل في مسامرتها ثم انصرفت الى غرفتها لتنام ودخل الى غرفته . وفي اليوم الثاني حضر موسيو دنكلار فلم يصادف الكونت لانه كان قد ذهب الى قصره الجديد خارج باريس فوضع له ورقة ممضاة باسمه وذلك قياماً بمآل التحرير الذي ورد اليه من محل الخواجات تومسون من رومية بان يدفع الى الكونت كل ما اراد وما يلزمه والمحل المذكور يقوم بوفعه مع الفائض فلما نظر الكونت الورقة وعرف ان موسيو دنكلار قد اتى في غيابه ولم يره ركب مركبته الفاخرة وسار اليه ولما عرف دنكلار بقدوم الكونت لاقاه الى خارج قصره وترحب به وقد دهش من هيبته وجلاله وتعجب من حسن مركبته وخيله المسرجة بسروج ذهبية ولما استقر الكونت في قاعة الجلوس قال له دنكلار . اعلم يا سيدي الكونت اني تشرفت الى محلكم ولسوء الحظ لم يتيسر لي حسن مقابلتكم . قال الكونت قد عرفت ذلك من ورقة الزيارة الممضاة باسمك التي تركتها في محلي اثناء غيابي فاشكرك على ذلك فهل من سبب او حاجة يا ايها الموسيو . قال انه ورد لي تحرير من بنك الخواجات تومسون من رومية يأذنني بان ادفع لحضرتكم كل ما يلزمكم من الدراهم اثناء قيامكم في باريس وحيث ان لمحلي علاقة مع البنك المذكور قصدتكم قياماً

بطلبه لاسالكم عن قيمة المبلغ الذي تحتاجونه لادفعه لكم . فقال اني لا اقدر ان اعرف بالتمام ما يلزمني من النفقات في باريس غير اني ارجوك ان تدفع لي جانباً من المال فاعطيك به وصلاً هذا اذا كنت تعتبر تحارير ذلك البنك . قال كيف لا اعتبرها وهو اشهر محل في هـذه الايام فاطلب مهما شئت فاني ادفع حالاً من دون تأخير ولا يجب ان تكلمني ياسيدي الكونت بمثل هذا الكلام لانني لم اتأخر عن الدفع لكم ولا اعتذرت بعدم القدرة عن طلبكم واني مستعد ان ادفع مهما لزمكم ولو كان مليوناً من الفرنكات فقال الكونت ماذا يفعل معي مليون فرنك . قال ما يلزمك ادفعه ولو كان اكثر . فقال اعلم يا ايها المسيو ان معي تحاويل كثيرة بملايين من الفرنكات ثم اخرج الكونت علبة صغيرة ففتحها واخرج منها اوراقاً على بنك روتشلير وعلى تجار آخر وكلهم يفوضون وكلاءهم بان يدفعوا الى الكونت مهما يلزمه من الملايين . فلما نظرها دنكلار وعرف مضمونها ارتجف داخله وتلعثم لسانه وبقي ينظر اليها بتعجب وقد حار من حالة هذا الكونت ومن غناه المفرط وبعد برهة قال اعذرني يا سيدي الكونت اني كنت اظن بنفسي انني اعدُّ من اغنياء هذا العصر ولما رأيت سموكم تيقنت اني لا ازال مقصراً عن ادراك درجة الغنى الصحيح فهل ياسيدي الكونت ان غناك هذا حادث او قديم العهد . قال لا بل هو غنى عائلة قديمة كان مدفوناً بالارض اتصل اليَّ بطريقة الاستحقاق فصرت اتصرف فيه دون مخاصم ولا منازع وذلك منذ ١٠ سنين تقريباً فوضعت هذا المال في البنوكة وصرت انتفع بربحه فاصرف منه المصاريف الباهظة ومع ذلك فلا يزال يزيد . فقال دنكلار اذاً ارجوك ياسيدي ان تخبرني عن المبلغ الذي تريد ان تقبضه من محلي فاني كما اخبرتك مستعد لدفعه . قال الكونت اعلم يا دنكلار ان مرادي اقيم في باريس نحو سنة ولهذا يلزمني من محلك ستة ملايين فرنك فضلاً عن انه يلزمني من المحلات الاخر ما يضاعف هذا القدر مراراً . فلما سمع دنكلار كلام الكونت اضطرب وارتجف واصفر وجهه

وكاد يجن الّا انه تجلد حياء من الكونت فلم تخف على الكونت حالته . وصار دنكلار يزيد في اكرام الكونت واعتباره ثم طلب اليه ان يعرفه باهل بيته وزوجته فاجابه الى ذلك . ولما قابل الكونت زوجة دنكلار سلمت عليه وحيته واكرمته وكذلك سائر من في البيت ولا سيا دنكلار فانه كان يخدمه بنفسه ولما قصد الكونت الذهاب رافقه الجميع الى خارج القصر وقبل ان يركب في المركبة قالت له زوجة دنكلار اني ارى خيل هذه المركبة من اجمل خيل باريس وقد تعلق قلبي بها فيا حبذا لو كان زوجي يأتي بمثلها . فقال لها الكونت ان عندي خيل احسن منها ولذلك التمس منكِ ان تقبليها مني على سبيل الهدية . فامتنعت . فقال لابد من ذلك ثم ركب المركبة وسار ولما دخل قصره امر خادمه الاسود ان يذهب بخيل المركبة ويقدمها هدية منه لزوجة دنكلار فسار بها ودفعها اليها فشكرته على ذلك

وشاع في مدينة باريس ان الكونت دي مونتو كريستو هو اغنى رجل في العالم وصار دنكلار يحدث به اصحابه ومعارفه ويخبرهم باخباره حتى كان الجميع يتعجبون من هذه الثروة ومن هذا الكونت الكريم . ولما بلغ زوجة دي فيلفور مدعي عمومي المملكة خبر هذا الكونت وانه وهب زوجة دنكلار خيل مركبته التي تساوي اكثر من ثلاثين الف فرنك حضرت اليها وطلبت منها ان تسمح لها بالمركبة التي بها تلك الخيل لتذهب للتنزه في خارج باريس فاجابتها وركبت بالمركبة مع ابنها وسارت بهما ولما صارت خارج باريس وقربت من جهة قصر الكونت جمحت الخيل ومالت لجهة الطريق المؤدية الى القصر وكان بفكرها ان يذهبا في غير طريق فحاول سائق المركبة ارجاع الخيل بكل قوته فلم يقدر بل طارت تسبق الرياح وزوجة دي فيلفور تصيح وتنادي خوفاً من ان تقع المركبة فتتكسر فيلحق بها الضرر . وكان الكونت ينظر ذلك من طاقة قصره ولما رأى ما هما عليه ارسل خادمه علي الاسود لمساعدة سائق المركبة فركض علي ومسك في المركبة حتى اوقفها ونظر في

داخلها فوجد زوجة دي فيلفور قد أغمي عليها من الخوف والضعف وابنها قد اصفرَّ وارتعب ولم تعد تقدر رجلاه على حمله . فلما علم الكونت بذلك امر خادمه ان يصعد بهما الى القصر فادخلوهما اليه فجعل يطيب بخاطرهما ويسقيهما المشروبات السكرية والماوردية ونحوها ويفرغ عليهما من الروائح الزكية المنبهة حتى هدأ روعهما وسكن جأشهما وامنا على نفسيهما وطاب خاطرهما وبعد ذلك امر الكونت سائق مركبته ان يوصلهما بمركبته الخصوصية الى محلهما فشكرت زوجة دي فيلفور فضله على معروفه وكرمه ورجعت في مركبته وهي وان كانت في حالة خوف ورعب الَّا انها شكرت تلك الصدفة واسبابها حيث اوجبتها ان تتوصل الى الكونت وتتعرف به . ولما وصلت الى بيتها نزلت من المركبة فلاقاها زوجها دي فيلفور فوجدها على ما هي عليه وقد علا وجهها الاصفرار فسألها عن حالها فاخبرته بما وقع لها وشكرت له الكونت دي مونتو كريستو على معروفه معها وكيف انه ارسل خادمه معها لخلاصها وبعد ان اعتنى بها وبابنها بنفسه وعاملها معاملة الصديق الودود على غير معرفة فقال دي فيلفور صار من الواجب عليَّ اذاً زيارة الكونت لاشكر فضله على جميله معك وفي الغد سار دي فيلفور الى الكونت فترحب به ولاقاهُ ببشاشة وانس فائق الحد وادخله قاعة الجلوس ولما استقر به المقام اخذ دي فيلفور يشكر فضل الكونت وقد قال له اعلم يا سيدي الكونت اني لا اقدر ان اقوم بحق شكرك على معروفك والتفاتك الى زوجتي وابني حال كونك لا تعرفهما حق المعرفة ولا ريب في انك من اجل الناس لطفاً ودعةً على انه قل من يوجد بين الجنس البشري من هو نظيرك . فقال الكونت صدقت فاني لست من البشر لاني دُفنت حيًّا وبقيت اعواماً عديدة تحت الارض الَّا ان الله سبحانه وتعالى اخرجني من مدفني واكرمني بما لا يجب ان افتر عن الشكر لاجله حتى ان خادمي ارتيشتو يظن اني من بلدة كورسيكا وخادمي علي يظن اني من البلاد العربية وعندي فتاة رومية اسمها عائدة تظن اني من

بلاد اليونان وكل منهم يجهل حالتي . قال له كيف دُفنت حيًا وبقيت كل هذه المدة ثم عادت لك الحياة بعد . فقال ليس على الله امر عسير فان جماعة من الاشرار قد قصدوا هلاكي واخفاء اسمي فلم تساعدهم العناية على ذلك . قال مَن اولئك الاشرار الذين تجاسروا على عمل نظير هذا . قال هم قوم لا يمكنني الآن اظهار اسمهم . انما اسألك وانت بصفة مأمور حكومة اذا فعل معك هذا الفعل جماعة لاجل غاياتهم الخصوصية ونفعهم الذاتي او بالحري ليكسبوا مدح آمريهم بماذا كنت تجازيهم . قال لا ريب فاني احاكمهم وادع المحكمة تحكم عليهم بالاعدام موافقة للنظام . قال لا بد لي من عذابهم وبعد ذلك موتهم ولكن افعل ذلك بنفسي وانتقم منهم فردًا فردًا بعناية الله تعالى الذي حفظني من كل الاخطار واحياني بعد الموت واخرجني من العدم الى الوجود . فزاد تعجب دي فيلفور من كلام الكونت وعلم انه قادر على اكثر مما يقول لعظم غنائه وهيبته لانه كان يلوح له فيه فضلًا عن الوقار شجاعة وبسالة واقدام حتى لا يصدق انه من البشر . وبعد ان تكلما كثيرًا بامور داخلية وخارجية ودع الكونت وسار بعد ان سأله ان يزوره في بيته فاجابه وبعد ان خرج دي فيلفور اقام الكونت وحيدًا وكادت تنفطر مرارته من مقابلته عدوه الالد الذي رماه بذلك السجن لينال بهلاكه الشرف الّا انه وطد نفسه على الانتقام وصبر يترقب الفرص وينتظر الوقت المناسب لاتمام غاياته وفيما هو في هواجس وهوادس دعته عائدة الرومية فحضر اليها فلاقته وترحبت به وقبلت يديه وعارضيه وعاتبته على صده والانفراد وحده وقالت له يا سيدي لا تفتكر بي ألا تعلم اني انا خادمتك الخصوصية واني صنيعتك وما فعلته من المعروف واوصلته اليَّ من الاحسان لا اقدر ان اقوم بحق وصفه . فقال الكونت كلا لستِ خادمة ولا جارية ولك الحرية التامة المطلقة على اني وان كنت غارقًا ببحار هواكِ وحبكِ قد ملأ قلبي الّا اني لا ارغب في تقييدك ضمن دائرة ربما ترغبين في التخلص والتملص منها فاذا نظرت احد

الشبان واخترت ان تقترني به فاطلعيني على ذلك فانني اقوم به مع الفرح الزائد
اكراماً لخاطرك ولا سيما وفي هذه المدينة مع الحرية التامة كثير من الشبان
الاغنياء الذين ربما اذا رأوك يتمنون الاقتران بك لان جمالك هذا اقل ما
وُجد في فتاة من فتيات هذه المدينة فضلاً عن آدابك وحسن صوتك فكل
ما فيك هو كامل واما انا فاني قد دخلت سن الكهولية وتجاوزت السن الذي
كان ينبغي ان اكون فيه حبيباً لصبية نظيرك . فلما سمعت عائدة كلامه
بكت ورمت نفسها عليه وهي تقبل يديه وقالت له انك تعلم يا سيدي ان
بكل ارادتي منقادة الى حبك واني في كل دقيقة اتمنى ان اراك وتكون
بالقرب مني اسمعك انغامي الشجية واتبارك من انوار وجهك الذي هو اشبه
بوجوه الملائكة اني كنت احب والدي كثيراً وهو شيخ فكيف لا احبك
وانت احن عليّ من ابي المتوفي ومعاملتك اياي معاملة الاباء الشفوقين و
هذا يا سيدي فاني ارفض الحرية التي اطلقتها لي واطلب اليك ان تعاملني د
كجارية ترغب من كل قلبها في خدمتك وتشتهي ان تقبل يديك تبركاً و
وصار الكونت من ذلك الوقت يكثر من القيام معها وقد حنت ال
جوارحه لانه يعلم انها غريبة وانها لا تعرف احداً في المدينة سواه وانها راض
بذلك وهي تشعر بعمل المعروف ولا يضيع معها الجميل وقد اخلص لها
وعلق قلبه بها والقى رجاءه عليها كما كانت تلقي كل آمالها عليه وعادت اس
المحبة تتمكن فيها وينمو الوداد يوماً فيوماً وقد وطد امله ان يعود
بمرسيداس خطيبته ويتزوج بها بعد ان يروق باله وتفرغ اشغاله وينتقم
اخصامه

وبعد ان صرفا وقتاً يبث لواعج الغرام والشكوى افترقا فامر الكونت
خادمه علياً ان يهيء له المركبة ففعل فركب عليها وسار قاصداً مكسيمليان
ابن صديقه الخواجا موريل لانه كان قد وعده انه يزوره في بيته عند ما
في بيت البير ابن مرسيداس ولما وصل الكونت الى هناك خرج مكسيمليان

فلاقى الكونت من خارج الباب وترحب به وادخله الى قاعة الجلوس ودار بينهما الحديث وكانت قد دخلت عليه جوليا بنت موريل وكانت قد تزوجت بعمانوئيل الكاتب فسلمت على الكونت مزيد السلام واعتبرته مزيد الاعتبار وكانت في اكثر الوقت شاخصة اليه تحقق النظر في وجهه . وكذلك رأى الكونت في صحن الدار وهو داخل بنلوب النوتي وقد صار شيخاً مسناً الَّا انه لم يترك بيت سيده بل كان يخدمهم بقدر استطاعته . وفي اثناء ذلك نظر الكونت على مائدة من الرخام الابيض قائمة في نصف قاعة الجلوس آنية من البلور الصافي موضوعاً فيها كيس من الحرير الاحمر فنظر فيه برهة وقد تذكر بواسطته كل الحوادث الماضية ثم التفت الى مكسيمليان وجوليا وقال لهما ارجو كما ان تفيداني عن امر صرت منه في ارتباك . فقالا سل ما شئت . قال، اني ارى داخل هذه الآنية البلورية هذه القطعة الحمراء موضوعة بترتيب يدل على انها ذات قيمة واعتبار ولم ارَ مثل ذلك في كل المحلات فلا بد لذلك من سبب لان في مثل هذه المراكز لا توضع الَّا التحف الغوال والاشياء القديمة العهد التي تدل على حادث مهم او تاريخ خطير او صورَ رجال مشاهير . فقال مكسيمليان اعلم يا سيدي الكونت ان هذا كيس من الحرير الاحمر وان جميع عائلتنا تعتبر هـذا الكيس وتكرمه اكثر من كل مما ذكرت لانه اصدق الاحباء واحب الاصدقاء وقد امرنا والدي المرحوم بتكريمه وحفظه حتى الموت . ونحن حتى الساعة لا نظن الَّا انه من الملائكة الصالحين قد اهداه الى ابي لحفظ بيته من الخراب وحياته من الهلاك . فاظهر الكونت على نفسه التعجب وقال ارجوك ان توضح لي معنى ما ذكرت لاني لم افهم منه شيئاً يدعو الى عظم اعتبار هذا الكيس الذي يعمل كل ما ذكرت . فقال اعلم ياسيدي الكونت انه في سنة بوٓس تأخر المرحوم والدي وتكسر له خمس مراكب مشحونة لحسابه وكان عليه دين ولاجله كان قد اختفى في البيت منتظراً الفرج القريب من الله وفي اثناء ذلك حضر اليه بعض الملائكة بزي رجل انكليزي

مدعياً انه آتٍ من قبل تومسون الشهير من رومية وبيده تحاويل عليه بمبلغ عظيم جداً فسأله ابي المهلة فأمهله الى ٣ اشهر وفيما هو خارج من غرفة ابي صادف شقيقتي جوليا فسلم عليها وقال لها سأرسل لكِ كتاباً بامضاء السندباد البحري فافعلي كل ما هو مسطر به. وبعد نهاية المدة المعينة لم يتيسر لوالدي ان يدفع شيئاً من المبلغ المستحق عليه دفعه لهذا الرجل فعزم على ان يقتل نفسه فأخذ طبنجة وملأها رصاصاً وباروداً وقد حاولت كثيراً ان امنعهُ فلم اقدر لانه قال لي ان الموت خير لي من الفضيحة وكسر الاسم وشماتة الاعداء اللئام وبات ينتظر الدقيقة المعهود فيها حضور الرجل او بالحري الملاك ليميت نفسه بحضوره املاً بان يكون ذلك اكبر عذر يشفع بحالته وعنده فيما كان واضعاً الطبنجة في فمه وكل من كان في البيت يبكي وينوح ويندب من جهة اذ دخلت شقيقتي جوليا عليه واخبرته بالفرج وذلك ان الملاك ارسل لها تحريراً بان تذهب الى احدى اللوكندات فذهبت فوجدت هذا الكيس متروكاً هناك وفيه التحاويل وقد كتب عليها امضاء محل الخواجات تومسون باستلام كامل المبلغ من والدي وكذلك وجدنا ورقة ايضاً بامضاء المحل المذكور على بنك المملكة بمائة الف فرنك وابلغ من ذلك ان داخل الكيس ايضاً ورقة صغيرة ملفوف بها جوهرة تساوي مثل هذا المبلغ ومكتوب على نفس الورقة : هذه اعانة لزفاف جوليا على عمانوئيل وعلاوة على ذلك فان موكبنا فرعون الذي كان قد غرق مؤخراً بعد خمس المراكب الاولى ارجعه الينا هذا الرجل العجيب وهو انه بعث رجل من قبله مع رئيس مركبنا وملاحيها فاشترى مركباً نظير فرعون وذهبوا بها الى الهند فشحنوها من الدودة العظيمة الثمن واحضروها في نفس ذلك اليوم الذي اعتاض به خرابنا بفرح لا يكاد يوصف فانظر يا سيدي الكونت عمل هذا الملاك او الاله لانه لا يظن ان احداً من البشر يفعل هكذا فعل مع اخيه فهل لا يليق بنا ان نعتبر هذا الكيس ونجعل لذاك الودود تذكاراً ابدياً يجعلنا ان نشعر بفضله كل دقيقة لا سيما ونحن

عائشون بنعمه وخيراته على اننا حتى الساعة لانعرف من هو ذلك الرجل بالتمام ولم نعد نقف له على خبر . فقال الكونت ان هذا حادث عجيب وهل والدكم ايضاً لم يعرف ذاك الرجل ولا توهم انه يعرفه . قال مكسيمليان ان والدي قال ان هذا العمل بدون شك هو عمل ادمون دانتاس احد معارف ابي واصدقائه غير اني لا اصدق ذلك لان ادمون كان قد سجن ظلماً في قلعة شاتوديف وقد تعب ابي تعباً لا يوصف في امر خلاصه دون الحصول على نتيجة واخيراً عرفنا انه مات في السجن فبكى والدي عليه كثيراً وفضلاً عن ذلك فان ادمون كان فقيراً فلا يظن انه يقدر على عمل كهذا لا يكون الّا من اعظم اغنياء العالم الّا ان والدي كان متكدراً جداً من الحالة التي وقع فيها ادمون وقد اوصاني كثيراً بالبحث عن اخصامه للانتقام منهم اخذاً بثأره وعليه فليكن مؤكداً عندك يا ايها الكونت ان وصية ابي هذه راسخة في ضميري واني في اي دقيقة عرفت بها اخصام ادمون الذين قادوه الى الموت ظلماً لانتقمت له منهم واتممت وصية المرحوم والدي . فقال الكونت ولما والدك كان يحب ادمون هذه المحبة على انه غريب عنه . قال ليس هو غريب عنه لان ابي رباه منذ الصغر وكان في مركبنا فرعون طول حياته قبل السجن . حتى صار اخيراً رئيساً على موكب فرعون ومما كان يزيد ابي حباً فيه استقامته وامانته وحبه لنا وانعطافه على شغلنا واهتمامه بحفظ مصالحنا وضبط اموالنا ومما اغاظ ابي كثيراً موت والد ادمون جوعاً لانه كان لعفة نفسه لا يظهر احتياجه لاحد ففرغت منه الدراهم اثناء مرض كان قد وقع به من حزنه على مصاب ولده ومات دون ان يكون عنده ما يسد به رمقه ودون ان يكون بين يديه الّا مرسيداس خطيبة ولده التي كانت لا تقدر ان تساعده الّا بخدمته . فتأثر الكونت من هذا الكلام وكادت تسقط دموعه غصباً عن تجلده وتصبره فقام مع مكسيمليان وقال له دعنا من ذكر حادث كهذا يصدع لسماعه قلب الجماد واخبرني عن موت ابيك وماذا قال لكم عند موته

قال انه لما شعر والدي بالوفاة وهو على فراش مرضه دعاني ودعا اختي جوليا فاحتضنا فقبلنا اياديه وقد اغرقنا الفراش بدموعنا ثم قال لنا اعلما يا ولديَّ اني اموت الآن على فراشي مرتاحاً غير مكدر من شيء. لان الامر الوحيد الذي كان يكدرني من قبل هو سجن ادمون دانتاس وقد تأكدت انه تخلص من السجن وحضر لمكافأتي فأموت الآن وانا اشعر بفضله لان كل ما عملته معه لا يوازي مثقال ذرة مما عمله معي ويا حبذا لو كنت اراه الآن وقد رأيته عند شاطئ البحر وافهمني عن نفسه دون ان انتبه اليه الا بعد ان بعد عني او بالحري يا حبذا لو كنت قدرت ان اكافيه بمعرفة اخصامه والاقتصاص له منهم. ثم قال الكلمة الاخيرة. يا ادمون يا ادمون يا عزيزي يا ذا اليد البيضاء واسلم روحه. فلم يقدر الكونت ان يضبط نفسه عند سماعه هذا الكلام بل تساقطت دموع عينيه مدراراً وتبين لمكسيمليان وشقيقته تأثيره العظيم. ثم اخذ برنيطته دون ان يقدر ان يكفكف دموعه وودعهما وخرج باكياً حزيناً على صديقه موريل وعظم حبه له

وبعد ان خرج الكونت من هناك قال مكسيميليان لشقيقته كيف رأيت هذا الكونت العظيم فانه على اعظم جانب من لين الطباع وكرامة الاخلاق. والحب. فقالت صدقت فاني تعلقت بحبه كثيراً دون قصد لاسيما وان هيئته وكلامه يذكراني اني رأيته وسمعته ذات مرة الا اني لم اكن اعرف في اي مكان وبعد ذلك لبس مكسيميليان برنيطته وخرج من بيته قاصداً بيت موسيو دي فيلفور فدخل في غرفة بطرف القصر هناك كانت تنتظره فيها بنت دو فيلفور واسمها فالنتين من زوجته الاولى المتوفاة وكان مكسيمليان يحبها كثيراً وهي ايضاً تحبه وتطلب قربه في كل دقيقة وكان يوملان بالاقتران الا ان امراً عظيماً كان يحول دون ذلك لان دي فيلفور كان يكره مكسيمليان لانه من حزب البونابرتيين كما كان مكسيمليان يكره فيلفور كونه من حزب الملكية غير ان رجاءهما بموسيو نوارتيه والد دي فيلفور الذي كان من

روساء احزاب نابليون كان عظياً الا انه شاخ وعجز ووقع بداء الفالج حتى كان لا يحسن على القيام ولا يقدر التكلم انما كان وعيه باقياً ومقامه في بيته على اصله . وبعد ان اجتمع مكسيمليان بخطيبته وقبلها وقبلته اخذ كل منهما يشرح للآخر مالاقى من جرى بعده ويبين لهما في قلبه من غرامه وهيامه وبينما هما على ذلك نادى فالنتين اخوها وامرها ان تحضر الى القصر وقال لهما قد حضر الينا الكونت دومونتو كريستو وهو الرجل الذي خلصني مع والدتي من الهلاك . فتركت فالنتين حبيبها وسارت الى قاعة الجلوس فوجدت الكونت جالساً فتقدمت اليه وسلمت عليه فترحب بها واجلسها بقربه واخذوا في تبادل الاحاديث والاطراف باحوال المملكة وغرائب الصدف الى ان انتهوا الى ذكر ماوقع على زوجة دو فيلفور وولدها من الخوف حينما كانا في المركبة فاذ ذاك قالت زوجة دي فيلفور ارجوك يا سيدي ان تخبرني عن الشراب الذي شربناه في محلك حينما كنا في تلك الحالة الرديئة فاني لا ازال اتذكره ولا يبرح طعمه من في وبالي لانه فضلاً عن لذته وطيبه فهو من المنعشات المرطبات ولا اظن انه يوجد عند غيرك مثله لاني لم اره قط عند احد . فقال الكونت نعم انه لايوجد عند احد نظيره فاني اعرف تركيب مشروبات كثيرة نافعة ومضرة لايعرفها احد غيري وهذا الشراب اصطنعته لعلمي انه يلزم لوقت ما كالوقت الذي اتيت فيه الى قصري مع ولدك في حالة الخوف وضياع العقل فقالت زوجة دوفيلفور وهل تعرف ياسيدي ايضاً تركيب مشروبات سامة كما انك تعرف تركيب مشروبات غير سامة . فلحظ الكونت ان مرادها تتعلم تركيب مشروب سام لتستعمله . فعلمها عدة تراكيب سامة الا انه قال لها اخيراً اني وان كنت اعرف كل هذه المشروبات السامة انما لم استعملها مرة واحدة ولا اريد ان استعملها فعلى هذا ينبغي اذا علق بفكرك شيء مما ذكرته ان لا تستعمليه حياتك بطولها ارضاء لله تعالى الذي يوصينا بالبعد عن قتل النفس . فوعدته بذلك غير انها كانت مصممة على عمل السم

واستعماله مع بعض اهل بيتها ولاسيا ابنة زوجها فالنتين التي كانت تكره النظر الى وجهها وسيأتي توضيح ذلك في محله . ولما انقضت الجلسة ودعهم الكونت ورجع الى قصره . فدخل على عائدة الرومية . وحياها فلاقته ببشاشة لانها كانت تنتظر قدومه وقبلت يديه فقبلها وجلس عندها يطرب بانغامها الشجية ويبل شوقه بالنظر الى جمال وجهها البديع

وفي مساء ذلك اليوم كان تشخيص رواية في المرسح العام من اجمل الروايات وكان مجتمعاً في قاعة الفرجة جماهير من المراتب والمناصب العالية والامراء وكانت القاعة تجمع ايضاً دو فيلفور وزوجته وموسيو دنكلار واهل بيته ودي مورسرف وزوجته مرسيداس وولده البير وكلهم ينظرون بداءة التشخيص وعند ذلك دخل الكونت دومونتو كريستو وفي يده عائده الرومية وهي تكاد تفضح جمال كل النساء اللواتي كنّ في قاعة التشخيص حتى ان كل الموجودين مالوا بانظارهم اليها والى الكونت متعجبين مما هو عليه من الهيبة والوقار وباهتين في ملابسه العجيبة الغريبة ولا سيا في عبده علي الاسود الذي وقف بباب المرسح بكل وقار ينتظر خروج سيده ومحبوبته ليرجع بخدمتهما وبعد ان استوى الكونت جالساً بجانب عائدة في مكان مناسب بمقامه اتاه البير وقال له يا سيدي اني رسول من قبل زوجة دنكلار وزوجة دي فيلفور لانهما يطلبان ان تشرف الى المكان الذي هما فيه وترغبان في ان تكون بينهما . فقال الكونت اني ارى ماهواهم من ذلك فان جمهور الجالسين في هذا المكان ينظرون اليَّ كأنّي المشخص او اللاعب ولا اعلم لذلك سبباً . فقال البير الا تعلم ياسيدي ان عامة اهل باريس قد عرفت بغناك وعلمت بانعطافك على الفقراء والمظلومين حتى انهم طالما تحدثوا باحاديثك واخبارك في قاعاتهم واجتماعاتهم دون ان يعرفوك والان قد تيسر لهم ان ينظروك فامعنوا فيك متحققين كل ما كانوا يسمعونه عنك من الاخبار فانهم عرفوا انك انقذتني بهيبتك من ايدي اللصوص حينما كنا في رومية وعرفوا بمعروفك مع زوجة

دو فيلفور وابنها لاسيما وقد عرف الجميع انك تقيم هنا نحوسنة فتصرف ستة ملايين فرنك ستقبضها من دنكلار فضلاً عما تقبضه من غير محلات واكثر من ذلك انهم ينظرون الى عائدة الرومية التي معك لانها اجمل من نساء فرنسا دون شك فعند ذلك قال الكونت لعائدة ابقي هنا قليلاً فسأعود اليك ثم تركها وذهب الى المحل المدعو اليه فلاقاه الجميع واحتفلوا به وحيوه بالوقوف فجلس بينهم وجعل يكلمهم وكل منهم يطلب منه ان يقيم بجانبه الّا انه جلس بقرب مرسيداس وزوجها فرنان وجعل اكثر كلامه مع فرنان . ولما طال المطال على عائدة الرومية ولم يرجع الكونت اليها تطاولت لترى مع من هو جالس وحالما وقع نظرها عليه وعلى الجالس معه صاحت وارتمت الى الارض مغشياً عليها . فقام لذلك ضجة كبيرة وغوغاء وفي الحال اسرع علي الاسود واعلم الكونت بذلك فركض اليها واخرج شيئاً من المشروبات التي كان يصحبها دائماً معه فسقاها قليلاً فانتبهت حالاً وجلست مستكنة تنظر اليه بحنو وترمق في الحاضرين . فطلب الكونت الافراج فذهب كل الى مكانه . ثم سألها عن حالها فقالت له اني لا اقدر ان اخبرك بالسبب الموجب لما اصابني دون ان تنفطر مرارتي ويشق كبدي . فكيف تقبل يا ايها الكونت ان تجلس مع هذا الرجل الخبيث المحتال الذي لا اظن انه يوجد على الارض رجل شرير مثله اهلكه الله وجازاه على قباحته بالموت الا تعلم انه خدم عند ابي مدة من السنين وكان مستلماً مهام اشغال ابي وامواله وكان بيده الدخل والخرج حتى انه جمع اموالاً غزيرة واخيراً عمل دسيسة وباعه الى العساكر العثمانية اثناء حرب اثينا وسلمه بالحيلة الى قائدجيوش السلطان محمودفكيف اطيق ان اراه ياسيدي الكونت او بالحري كيف يمكنني ان اشاهدك بقربه وانت عندي اعز من ابي ومن كل معارفي فارجوك ان تذهب بي من هنا ياسيدي لاني ان بقيت هنا ساعة اخرى فاني اموت لا محالة فاني اشعر بجسمي ضعف وتعب حتى لا اكاد اقدر على الحركة فارحمني وابعدني من هنا . فاخذها

الكونت وذهب بها من التياترو الى قصره وهو يطيب بخاطرها ويباسطها ويقول لها لا بد لي من اخذ ثارك فكوني براحة لكن يجب ان تشي لي في الغد هذا الحديث وتوضحيه اكثر لاعرف كيف هذا الرجل قدر على ماذكرتيه ثم ان الكونت وضعها في فراشها وبقي عندها الى ان نامت فتركها وذهب الى غرفته

ولما كان صباح اليوم الثاني نهض من فراشه وفكره يخبط بمعنى ما ذكرته عائدة الرومية عن دومرسوف زوج مرسيداس وقال في نفسه انه تبين لي وجه الانتقام من هذا الشرير فلا بد من الاستقصاء عن صحة هذا الخبر والايقاع به وبعده الحق دنكلار وفيلفور به وفيما هو على ذلك اخبره الخادم باتيان البير ابن مرسيداس فاذن له ان يدخل فدخل اليه خفياء الكونت وامره ان يجلس بجانبه فجلس فرأى في وجهه لوائح الاضطراب فعلم ان لابد لاتيانه من سبب . فقال له ما لي اراك ايها الصديق في اضطراب فان كان لمجيئك هذا من سبب فابده فاني افرج عنك واساعدك بكل ما تريده . قال يا سيدي الكونت انه لاخفاك اني خطبت ابنة دنكلار رغماً عني لانني اكرهها ولا احب ان اراها واعظم داع يدعوني الى تركها هو بغض ابيها عندي الا ان والدي اجبرني الى ذلك وطالما طلبت الخلاص من هذه الخطبة فيمنعني والدي وفي عزمه ان يزفني عليها في هذه الايام ووالدتي ايضاً تكرهها اكثر مني ولذلك قصدت ان اطلعك على هذا الامر املاً بان تساعدني بارائك وتمدني بمشورتك علي التخلص من خطبة بنت دنكلار . فقال الكونت اعلم ياولدي ان موسيو دنكلار هو من اصدقائي واصحابي وكذلك ابوك ايضاً فانه من اعز الناس عندي فكيف يمكنني ان اغضبهما والا فاني قادر على خلاصك حالاً انما لابد من مساعدتك وخلاصك بطريقة مخفية لاني طالما قصدت خلاص المظلومين وردع الظالمين . وبما انه بعد ايام قليلة يقام في قصري ليلة احتفال ورقص فارجوك ان لاتحضر تلك الليلة بين المدعوين فان لي بذلك مآرب تفهمها

فيا بعد . فقال سمعاً وطاعة . ثم ودعه متكلاً عليه بخلاصه من خطبته

ولا يخفى ان الكونت دومونتو كريستو كان كل هذه المدة يبحث عن الغلام بنديتو الشقي الذي كان رباه ارتيشتو خادم الكونت حينما كان موسيو دي فيلفور مزمعاً على دفنه حياً في الارض وقد تقدم ذكر ذلك . وكان سبب ذلك البحث ان الكونت تأكد ان دي فيلفور وزوجة دنكلار متعاشقان متحابان لايفارقان بعضهما فترجح ان هذا الولد لابدان يكون ابناً لدوفيلفور من زوجة دنكلار فعزم ان يكبح به الاثنين . ولا زال في التفتيش عليه سرًا الى ان اهتدى اليه . فدعاه وبش في وجهه وقال له اتعلم يابنديتو ابن من انت قال ماذا يعنيك ذلك . قال انه ورد لي تحرير من الخوري بوسيولي يوصيني بك ويخبرني بانك من عائلة فالكانتي الامراء من ايطاليا وهذا ابوك هنا . ثم احضر الكونت رجلًا كان قد هيأه عنده لهذه الغاية . ثم قال له ينبغي اذًا ان تدعوه من الان وصاعدًا يا ابي وهو يدعوك يا ولدي وبناء على توصية الخوري المذكور اعين لكما كل سنة خمسين الف فرنك بشرط ان تكون منقادًا اليَّ وتطيع هذا الذي يقول عنه الخوري انه ابوك . فلما سمع بنديتو هذا المقال كاد يطير من الفرح وقال هل ذلك صحيح باني من عائلة اشراف ايطاليا وهل اخذ منك كل سنة خمسين الف فرنك . قال الكونت لا ريب في ذلك وها لكما تحويل الان على محل دنكلار فاقبضاه ودائماً يجب ان تحضرا عندي وتتظاهرا بالغنى والشرف وانا اكرمكما ليعرف الناس قدركما ولا بد من اني ازوجك ببنت من اشراف هذه البلاد فاخذ الغلام التحويل وسار في مركبة الكونت وقبضه ومن ذلك الوقت صار بنديتو من الاغنياء والشرفاء وصار الرجل يقول له يا ولدي وهو يقول له يا ابي وسيأتي ذكرهما

ولنرجع الان بالقارئ الى البيت الذي بزاوية بيت دوفيلفور في بستانه فانه كان داخله مكسيمليان ابن موريل وخطيبته وبعد بث غرام وشرح شكوى وهيام قالت فالنتين ودموعها تتساقط كاللآلي على صفحات وجنتيها

ارجوك ياحبيبي ان تساعدني وتمدني برأيك فان ابي ازمع ان يزفني قريباً على فرنند ابن الجنرال كاستل الذي قتل في زمان نابليون وفي زعمه ان يجبرني على ذلك فماذا يصير بي ياترى اذا تم اقتراني بهذا الشاب وبعدت انت عني . وكانت فالنتين واضعة يدها بيده وساندة رأسها على كتفه فلما سمع مكسيمليان كلامها وشاهد بكاها لم يقدر ان يضبط نفسه عن البكاء ثم قال لها لارأي عندي الا بالمفادات بالشرف والناموس او ببذل النفس وارتكاب جريمة القتل . وذلك اما اني اقتل فرنند كاستل واما اني اهرب بك الى غير هذه البلاد وهو الاسهل علينا والاقرب . قالت لايمكن ان يكون ذلك فان شرفي عزيز عليَّ . قال اني اجد طريقة اخرى . قالت وما هي . قال ان نلقي اتكالنا على الكونت دي مونتو كريستو ونطلب منه المساعدة . قالت كيف يمكنك ان تطلع رجلاً غريباً على سرنا . قال لا بأس من ذلك فانه احب اليَّ من ابي فانني ارى في انعطافه على صالحي ما يؤكد لي حبه الي . قال ان البراهين كثيرة واعظم البراهين اني نظرت فرساً من اجود خيول الركب لا اظن لها مثيل بين الجياد فمالت نفسي اليها فسألت عن ثمنها فقيل لي ان ثمنها عشرة آلاف فرنك فتعسر عليَّ دفع المبلغ لانه لايمكنني ان ادفع هكذا مبلغاً ثمن جواد اركبه . فاعرضت عنه وفي قلبي من حبه امر خطير وانا متحسر على عدم اقتداري على ابتياع هذا الفرس وفي مساء ذلك اليوم اجتمعت مع الكونت فسألني عن الفرس كانه كان حاضر معي او عارف ما بقلبي فاخبرته بخبره وانا متعجب من معرفته بذلك وفي مساء ذلك اليوم اجتمع عندي جماعة من الاصحاب ومن جملتهم الكونت فطلبوا ان نلعب بورق الشدة فاجبتهم حياء من الكونت لانني لا اعرف اللعب الا قليلاً الا انني ربحت ١٢ الف فرنك وذلك من الكونت لانه كلما جاء الدور اليَّ يخسر معي حتى خسر كل هذا المبلغ فانظري حبه فانه قصد او يوصل هذا المبلغ لي بهكذا طريقة لانه يعلم ان عزة نفسي لاتدعوني ان اقبل منه هكذا مبلغ على

وفي تلك الساعة سمعت فالنتين صوت خادمتها تناديها فقالت لكسيمليان اذهب الان وسأجتمع بك غداً فنبحث عن الطريقة الموافقة . ثم ودعها وذهب حزيناً كئيباً خائفاً من ضياع محبوبته وذهبت فالنتين الى خادمتها فقالت لها ان جدك يدعوك حالاً فاذهبي اليه فدخلت عليه فوجدته في كآبة وغم زائدين وذلك ان دو فيلفور وزوجته كانا عنده واتفقا امامه على زواج فالنتين بفرنتند ابن الجنرال كاستل وكان نوارتيه يكره ذلك . فلما رآها اشار اليها ان تأتي بالقاموس فاتته به وكان مصطلحا معها ان يكلمها بالقاموس لانه لايقدر على الكلام لداعي الفالج انما كان يحسن الاشارة . فاتته بالقاموس وجعلت تقلب اوراقه من حرف الالف حتى انتهت الى الكاف فاشار لها هنا فجعلت تشير الى مواده حتى وقفت على كلمة كاتب . ففهمت ان مراده كاتب واستنتجت من القرينة ربما كان مراده كاتب شرعي ليكتب وصيته فسألته عن ذلك فاغمض عينيه علامة بان هذا قصده . واذ ذاك دخل ابوها دي فيلفور وفهم كلامهما فتكدر في داخله وقال لابنته لا تدعي كاتباً شرعياً ولا حاكماً فاظهر والده الغيظ واشار الى فالنتين انه لا بد من احضار الكاتب فحالاً بعثت خادمتها فاحضرت كاتباً من المحكمة فلما حضر الكاتب سأل عن سبب حضوره فاخبرته فالنتين بارادة جدها فسأله فلم يردّ عليه جواباً ففهم انه لا يحسن التكلم . فقال كيف تدعوني لكتابة وصية والموصي لا يقدر ان يعبّر عن افكاره . فقال دي فيلفور اني كنت لا احب ان اصدع خاطرك بدعوتك لعلمي ان والدي لا يحسن الكلام لتكون الوصية شرعية ويحق لها الاعتبار فيما بعد . فلما سمع نوارتيه كلام ولده زمجر وهدر ونظر الى فالنتين بغضب ففهمت قصده وقالت اني انا افهم ما يريد جدي ان يتكلم عنه ولذلك اترجم ارادته . فقال دي فيلفور لا تصدق ذلك لان لها بذلك مقاصد خصوصية وتحب ان توهم ان جدها يريد ان يوصي لها

بالوصية . فقالت فالنتين يا ايها الكاتب ان كنت ترتاب في قولي فاني اريك عياناً بحيث يمكنك ان تفهم من جدي كل ارادته فخذ هذا القاموس وقلب في اوراقه واسأله عند كل مادة فتعرف من اشارته . فالتفت الكاتب الى نوارتيه فاشار اليه بذلك ففهم المقصود وقال لابد اذاً من احضار كاتب آخر معي وشاهدين نشهدان باتمام الوصية . ثم سار بعد ذلك ببرهة قليلة حضر ومعه كاتب آخر وشاهدان فاخذ القاموس من فالنتين وعد من حرف الالف حتى انتهى الى الواو فاشار نوارتيه انه المقصود فقرأ الكاتب المواد حتى انتهى الى وصية فاشار بعلامة نعم فحرر الكاتب صورة الوصية الشرعية بحسب معرفته ثم التفت الى نوارتيه وقال له هل تريد ان تعطي كل مالك الى ولدك دوفيلفور اشار كلا هل تمنحه لحفيدك ادوارد . اشار كلا . قال اذن تريد ان تهبه حفيدتك . اشار لا . فتعجب الكاتب واذ ذاك تقدمت زوجة دوفيلفور وقبلت يديه ولاطفته بلين حديثها وقالت له اشفق ياسيدي على حفيدك ولدي واوص له فاظهر منها الضجر . ثم تقدمت فالنتين وقالت له ياجداه قد اتعبت الحاضرين فلمن ارادتك . فاشار الى يدها ففهمت وقالت اظنك ترغب يدي . ففهم الكاتب غايته بوضع يدها للزواج فقال هل تريد ان تكون يد حفيدتك بيد شاب . فاشار نعم . فقال هل اذا تزوجت فالنتين تهبها جميع المال . اشار نعم . فقال دوفيلفور اذا ستتزوج فالنتين بالشاب فرننند فهل تريد ذلك . اشار كلا فقال الكاتب الا تقبل ان تعطي الوصية لفالنتين اذا تزوجت بفرننند . اشار كلا . قال فماذا تفعل اذاً بالمال فاشار الى القاموس فاخذ الكاتب القاموس حسب العادة حتى انتهى الى لفظة فقير فاشار نوارتيه بعينه ففهم الكاتب المقصود فقال له اذاً تزوجت فالنتين بفرننند تكون الاموال التي في نيتك ان توصي بها للفقراء . اشار نعم . قال واذا لم تتزوج فالنتين بفرننند تكون لها . اشار نعم . ولما سمع ولده وزوجة ولده هذا الكلام كادت تنفطر مرائرهما وقصدا ان يغيرا عزمه فلم

يقدرا . وحينئذٍ قال الكاتب ينبغي ان يعين مقدار الوصية وجنسها فهل تبلغ قيمتها ثلثمائة الف فرنك . اشار كلّا . فقال اربعمائة الف فرنك . قال لا قال كم تبلغ وما نوعها . فعند ذلك اشار نوارتيه الى خادمه ان يقرب الى صندوقه الصغير فقربه فامره ان يفتحه ففتحه فوجدوا فيه سنداً على بنك المملكة بتسعمائة الف فرنك وبعد ان نظّم الكاتب الوصية قال لنوارتيه اسمع الآن الوصية واعترف بها امام هؤلاء الشهود لتسجل الشهادة فيها . وهي :

انا صاحب هذه السندات التي قيمتها تسعمائة الف فرنك على بنك المملكة قد اوصيت بها بارادتي وخاطري غير مجبر ولا مضطر الى حفيدتي فالنتين بشرط ان لا تتزوج بفرنند ابن الجنرال كاستل واذا تزوجت به فجميع هذه الاموال تكون اعانة للفقراء تستلمها جمعية الاحسان

ثم قرأ الكاتب على نوارتيه هذه الوصية بحضور الشهود وقال له اما هكذا تريد اشار نعم فعند ذلك وقع الشهود شهادتهم واخذ الكاتبان الوصية لتسجل في سجل المحكمة وتحفظ فيها لحين الحاجة . وفي اثناء ذلك حضر الكونت دي مونتو كريستو ودخل قاعة الجلوس فأتى اليه دي فيلفور وهو بصورة غضب وكدر فسأله عن السبب فاخبره بخبر ابيه والوصية . فقال له ان ذلك مسلَّم لارادة والدك فدع الامور تجري على محورها ولا تهتم بامور لا تعرف نهايتها كيف تكون . وبعد حديث طويل قال الكونت اعلم يا موسيو دي فيلفور اني حضرت الآن بنفسي لادعوك لوليمة اعددتها للاحباب والاصحاب فاطلب اليك ان تشرف فيها مع عائلتك . فاجابه الى ذلك . ثم خرج الكونت من محل دي فيلفور وسار حتى انتهى الى بيت التلغراف فدخل اليه فوجد رجلاً يتلقى الاخبار الواردة من الجهات فسلم عليه ببشاشة . وكانت اذ ذاك اوراق اسبانيا في ارتفاع عظيم جداً ولذلك كان دنكلار قد اشترى منها مبلغاً كبيراً وعرف الكونت باشترائه هذا القدر العظيم فقصد خسارته ولذلك اتى محل التلغراف ليجد وسيلة تساعده على ذلك

فصادف نجاحاً لانه وجد رجلاً كان يعرفه انه في عوز فدنا منه مظهراً تعجبه من حالة التلغراف فاخذ الرجل يطلعه على اسراره وصنعته ولما دار بينهما الحديث قال الكونت للرجل كم تأخذ اجرتك مقابلة لخدمتك في هذا المحل قال اني اقبض في كل سنة الف فرنك . قال ما لك ولهذه الخدمة فاني اعطيك الآن ١٥ الف فرنك فانبهر الرجل وقال لما ذلك يا سيدي وما هو قصدك قال ان هذا لا يعنيك فان مرادي كتابة بعض كلمات واذاعتها وهذا لا يضر عليك فقط ينبغي ان توزعها في المدينة . قال الرجل افعل ما بدا لك فاني مطيع لك ولو عدمت روحي . وكان الرجل قد مالت امياله الى المال وطمع فيه فاستغنى عن هذه الخدمة وطلب النجاح فقبض المال من الكونت وتركه يفعل ما يريد فكتب الكونت صورة التلغراف بهيئة اصلية كأنه وارد من اسبانيا وخرج من المحل وما بعد الا قليلاً حتى انتشر خبر ذلك التلغراف في المدينة وبين التجار وهو :

ان جماعة من الاحزاب المضادة ثاروا على الملك وتعصبوا والحال في خطرٍ . اوراق المملكة في هبوط كثير

فلما وقع هذا التلغراف بيد دنكلار كاد يغشى عليه وبقي مدة لا يعرف يمينه من شماله ثم اسرع الى البورص ليبيع الاوراق خوفاً من ان تشب نار اهلية في اسبانيا فيعدم ما بيده من الاوراق للبيع فلم يقبل احد في شرائها فزاد كرهه فيها وتيقن انها ستهلك لا محالة فقصد بيعها بابخس الاثمان واخيراً باعها فخسر فيها اكثر من مليوني فرنك وكانت هذه هي المرة الاولى ابتدأ فيها الكونت للانتقام من اخصامه . وفي غد ذلك اليوم وردت تلغرافات من اسبانيا وجرائد رسمية وتحارير ولم يكن فيها ما يشير الى ذلك فتأكد كذب التلغراف فمسكت الحكومة الرجل خادم التلغراف وسألته فانكر فسجنته اياماً قليلة وبعد ذلك اطلقت سبيله حيث لم يكن ذلك من اهمية كبرى

الفصل السادس

في وليمة الكونت دي مونتو كريستو وما تبعها من الحوادث

تقدم ان الكونت عزم على عمل وليمة فاخرة دعا اليها الاصحاب والخلان ولما كان الوقت المعين حضر الجميع وكان من جملتهم مكسيمليان ابن موريل ودنكلار وامرأته ودي موسرف وزوجته مرسيداس والبير وغيرهم من معارف الكونت ولما استقر الجلوس بالجميع وانتظمت حلقة الجماعة واخذوا في السرور دخل من الباب رجل مسن ومعه شاب عليه ثياب فاخرة تدل على انه ذو شأن ومقام فلاقاهما الكونت باحتفال خصوصي وقال للحاضرين ان هذا الامير دي فالكانتي من عيال ايطاليا الشهيرة وهذا ولده فتقدم الجميع وسلموا عليهما وترحبوا بهما لا سيما عند ما علموا انهما من الامراء المشاهير وكان اميل الحاضرين الى الشاب الذي هو بنديتو دنكلار فان الكونت مدحه له جداً حتى فضله على كل شاب واخبره ان مراده يتزوج بسيدة من سيدات فرنسا . وقبل ان دعا الكونت الجماعة الى مائدة الطعام سار الى ارتيشتو وسأله ان كان هيأ كل ما يلزم فقال الخادم نعم هيأت كل ما يلزم الا اني اعتذر اليك يا سيدي ان تعفوني من ان احضر بين الجماعة لاني عاينت موسيو دي فيلفور واخاف ان يعرفني فيهلكني على ان نفسي لا تطيق النظر الى وجهه ولا احب ان اراه . فقال الكونت لا تخف من شيء . انما اصبر فترى ما يسرك وانظر الى هؤلاء الجماعة لعلك تعرف ايضاً منهم احداً فامعن ارتيشتو نظره في المدعوين فعرف منهم بنديتو فقال هذا يا سيدي الكونت الولد الذي اخبرتك عنه باني ربيته وهو بنديتو فارجوك ان تسمح لي ان اختفي والا هلكت الليلة لا محالة وظهر المخبي لان الولد ربما اظهر ما في باطن القضية فيتضح الحال ويتكدر الجميع فقال الكونت كن مرتاحاً فاني لا ادعوك فكن حيثما شئت . ثم دعا الكونت الجماعة لشرب المدام واكل الطعام وكان قد

اعد الكونت افخر المآكل والمشارب حتى سر الجميع سروراً لا مزيد عليه وكلهم يشكرونه ويتعجبون من آنيته والتحف الموجودة عنده . ولما اكتفى الجميع من الاكل قاموا الى قاعة اخرى واخذوا في حديث هذا القصر ولاي سبب اشتراه الكونت خارج باريس مع أن عنده قصر عظيم ايضاً في داخل المدينة فضلاً عن انه لا يقيم في باريس الا سنة واحدة . فقال الكونت انه خطر لي في اول الامر حب النزهة فاشتريته آملاً باني اكون مسروراً به غير اني كلما دخلت اليه اشعر بانقباض وكدر لا مزيد عليهما واظن هذا القصر كان مسكناً للعاهرات ومرتكبي الفواحش لا سيما عند دخولي لمخدع قرب هذا المخدع فاني اظن ان هناك ارتكب الفعل الشنيع . فتعجب الجميع من ذلك وارتبك دي فيلفور وزوجة دنكلار وجعل كل منهما ينظر في رفيقه فلحظ منهما الكونت ذلك فقصد تكديرهما فقال للحاضرين فهيا انظروا ذاك المخدع الذي اشرت اليه فسار الجميع في اثره حتى دخلوا المخدع والتزم دي فيلفور وزوجة دنكلار ان يكونا معهما خوفاً من الملاحظة والايهام على ان الاصفرار كان يعلو وجهيهما وقلبهما يخبط من الخوف وكانا قادرين على ضبط نفسيهما . ولما استقر الجميع داخل الغرفة قال الكونت اظن انه فعل القبيح حراماً في هذا المحل وان هذا السرير الموضوع في هذه الزاوية هو لامرأة عاهرة فاجرة وهذه الكراسي المنقلبة تدل على ان الرجل الزاني قد صدم بها عند ما كان قاصداً دفن ولده بالزنا وهو في الحياة اي انه صدم هذه الكراسي عندما كان ذاهباً ليدفن ولداً اتاه بالزنا من تلك العاهرة تحت تلك الشجرات الموجودة في هذا البستان وكل ذلك يظهر من الادلة والقرائن . وبينما هم على ذلك وقعت زوجة دنكلار الى الارض مغشياً عليها فاحتاطوا بها ورشوا عليها الماء فانتبهت مرعوبة وقد خجلت لما حل بها وقصدت ان تستدرك امرها فقالت وهي غير مرعوبة ما تقول . كيف يمكن يا ايها الكونت ان تبرهن على صدق ما تقوله وما هي القرائن الموضحة ذلك . قال اني لما

اشتريت هذا المحل قصدت ان احفر في البستان بنفسي بقصد التسلي والرياضة فعثرت على كفن من الحرير داخله عظام طفل يظهر انه دفن بلهجة دون ترتيب وكان الكونت يتكلم وعيناه شاخصتان بدي فيلفور وزوجة دنكلار حتى تبين لهما انه مطلع على باطن القضية وان مراده اظهار امرها ولهذا كانا في ارتباك لا يوصف حتى ان الحاضرين كانوا متعجبون من حالتهما وهم يجهلون السبب . ثم افتكر الكونت ان ما عمله كافٍ ولذلك غيّر حديثه وبدل اتراحهما وكدرهما وسار بالجميع الى قاعة الجلوس لصرف ما بقي من ذلك الليل . ولما آن اوان النوم انصرف الجميع الى منازلهم بعد ان ودعوا الكونت وشكروه على افضاله الّا اندي فيلفور ذهب متكدر الخاطر وقد تحقق ان الكونت يقصد عداوته فعزم على معاداته والبحث على ايجاد طريقة يكيده بها لانه كان معوداً فعل الشر . وفي آخر من ذهب من قصر الكونت بنديتو ووالده الشيخ وكانت المركبة تنتظرهما خارج القصر فلما دنا بنديتو من المركبة وقد عزم على الصعود اليها واذا برجل مسن قد مسك بثوبه وقال له اهلاً وسهلاً بصديقي القديم وصاحبي الذي لا ازال اتذكره فاشكر الله اني رأيتك في نعم وثروة لاني صرت فقيراً جداً وارغب ان تنعم عليَّ ولا تنساني وتتذكر ما لي عليك من الافضال الجزيلة . فجفل بنديتو منه وقال له مَن انت يا ايها الرجل فاني اجهل امرك وماذا تريد مني . فقال الرجل حقق فيَّ فتعرفني وبما انك الآن صرت من اغنياء باريس وتدعى عند الامراء والدوقات ارجوك ان تعين لي على الاقل مرتباً كل شهر مائة وخمسين فرنكاً اقبضها منك فقال واذا لم ادفع لك هذا المبلغ فماذا تعمل اتريد ان تأخذ مني ذلك بالقهر . فقال الرجل اني اسأل الله ان يحرك قلبك فتشفق عليَّ وعلى نفسك وتجيب سؤالي لاني اقدر بكلمة واحدة الى الحكومة ان اسلب نعمتك والقيك في السجون الا تعلم اني كادروس صديقك ورفيقك في السلب والنهب والقتل فانظر لنفسك الطريق المستقيم وأجب طلبي . فتحرك في بنديتو روح الانتقام

ومد يده الى جيبه ليخرك السلاح فسبقه كادروس واخترط خنجراً كان متأبطه وقال له يا بنديتو لا ينفعك الان المحاولة ولست باقدر مني على الشر فدعنا نبقى اصحاباً واعطني معاوني وهو مبلغ قليل لا يؤثر فيك . فعند ذلك قال له فالكانتي اصعد معي في العربة الى محلي فركب معه وسارت المركبة حتى دخلت المدينة ووقفت في باب دي فالكانتي فنزلوا منها وقبض كادروس المرتب سلفاً وسار بعد ان تعهد له بنديتو ان يدفع له مائة وخمسين فرنك في كل شهر

واما موسيو دنكلار فانه تعلق قلبه ببنديتو معتقداً انه الامير دي فالكانتي وتوهم انه من الاغنياء المشهورين في ايطاليا وكان في كل تلك السهرة يعظمه ويبجله وقبل وداعه طلب اليه ان يزوره في بيته مع والده فاجابه الى ذلك وكان ايضاً تفاوض مع والده بامر زواجه طويلاً وان مراده الوقوف على سيدة من اشراف فرنسا ليزوجه بها فوعده دنكلار بالمساعدة وانه ربما يزوجه بابنته وينع عنها خطيبها البير . الا ان فرحه هذا لم يدم حتى مزج بكدر وغضب لانه كان قد لحظ ما اصاب زوجته وعلم انها تعشق دي فيلفور وانه اثناء غيابه عن فرنسا كانا يجتمعان اكثر الاحيان الا انه كان يسكت عن ذلك لانها هي اصل غناه . وفي تلك الليلة نازعها وشتمها على حالتها وقال لها لا ريب ان كلام الكونت كان موجهاً لكِ ولمسيو دي فيلفور وقد تبين لي ولجميع الحاضرين انكما المقصودان لما اعتراكما في ذلك الوقت اذ كانت لوائح الخجل لا تفارق وجهيكما كل الوقت ولا ريب ان الكونت هو من اعظم اصدقائي فانه يريد ان يوضح لي ما احفظ به شرفي . وقد كفاني ما لحق بي من الخسارة في الورق التي كادت تخرب بيتي وترجعني فقيراً واسباب تلك الخسارة هي مصنعة لا اصل لها ولا اعلم المصدر الذي عمل ذاك التلغراف

وفي الغد ركب دنكلار مركبته وسار قاصداً الكونت دي مونتو كريستو ليطلعه على بعض ما في فكره ولما وصل الى قصره لم يجده فيه انما وجد هناك

الخوري بوسيوني فتلقاه وجلس معه قليلاً ثم خرج الخوري وبقي دنكلار منتظراً الكونت حتى حضر فحياه وجلسا يتحادثان . فقال دنكلار اني اتيت اليك يا سيدي الكونت مستفسراً عن حالة دي فالكانتي ووالديه اللذين كانا بالامس عندك في الوليمة قال لا يمكن ان افيدك عنهما شيئاً محققاً ترتاح اليه الافكار وما اعرفه ان الخوري بوسيوني بعث اليَّ بتوصية بهما وان ادفع لهما مهما طلبا استناداً على تحويل بيدهما وقد حولتهما عليك وصارا يترددان اليَّ فاعاملهما كبقية الاصحاب لا سيما وهما غريبان نظيري في فرنسا . فقال على ما يظهر لي انهما ذات ثروة وشرف قال واني انا اظن ذلك . فقال احب ان اطلعك على ما في افكاري قال الكونت ابدِ ما تريد . فقال انت تعلم ان ابنتي مخطوبة لالبير ابن دي مورسرف وذلك غير راضٍ منه لا سيما وقد وقع في قلبي الآن حب دي فالكانتي ولهذا قد عزمت على فسخ خطبة البير وزواجها بدي فالكانتي حتى ان البير وابنتي لم يتحابا كبقية الخطبا . فما رأيك في ذلك . قال لا ينبغي ان تزوجها برجل غريب لا تعرف اصله ولا مقدار غناه وتترك البير ابن صديقك وصاحبك وهو معدود من اشراف فرنسا . فقال دنكلار من اين يأته الشرف لاني اعرفه في الاصل وقد كان يصطاد السمك في مرسيليا واشتريت منه باكثر من الف مرة ولا تظن ان اسمه دي مورسرف كما هو مشهور في هذه الايام بل اسمه فرنان الصياد ولما دخل اثينا استخدم عند الحاكم اليوناني فخدمه بالغش والرداءة وبعد ان نهب ما نهب من امواله باعه الى الاعداء اثناء الحرب فما هو الا خائن غدار لا يركن اليه ولا بد ان يكون ابنه مثله . قال الكونت اذا كان ذلك محققاً فلا يجب ان تزوج ابنتك بابنه وتخسر الشرف والناموس انما استعلم عن ذلك بواسطة تحرير لاحد اصحابك في بلاد اليونان وبعد ذلك يكون بيدك سند عليه تظهر به خيانته وغدره . فقال دنكلار نعم الرأي وسأرسل من هذا اليوم استعلم عن الكيفية بالتفصيل واطلعك عليها لتتحقق انت ايضاً حالة فرنان وولده وبعد ذلك خرج

مسروراً وفي نيته ارسال تحرير الى اثينا يطلب به التفسير عن حالة دي مورسرف اثناء اقامته هناك

واما دي فيلفور فانه من حينا خرج من الوليمة وهو في قلق واضطراب وفي الغد ارسل خادمه فدعا زوجة دنكلار ولما حضرت عنده انفرد بها واظهر لها عظم كدره وقال اعلمي ان الكونت دعانا بالامس ليظهر حالتنا وبرهان ذلك ما وقع منه واني مرتاب من هذا الكونت ومن حالته حتى يظن انه من غرائب هذا الدهر لانه كان في معنى كلامه كانه يشير الينا اننا نحن اصحاب ذلك الفعل وقال انه وجد لفافة الطفل مع انها مفقودة من زمان لاني عندما قصدت دفن الولد حدث لي حادث منعني عن دفنه. فعند ذلك شهقت زوجة دنكلار وقالت بلهفة هل الان ولدي في قيد الحياة. قال اسمعي عما اصابني تلك الليلة وهو انه لا يخفاك بعد ان ولدت اخذت الولد بلفافة الحرير وتوجهت الى البستان لادفنه هناك ولما حفرت في الارض وعزمت على وضع الولد فاجأني رجل من كورسيكا وهو عدوي من زمن قديم فضربني بخنجر القاني الى الارض وخوفاً من ان يضربني ضربة ثانية جعلت نفسي مائتاً ولما رآني قد عدمت الحياة عمد الى الحفرة فوضعني فيها والقى علي بعضاً من التراب ثم اخذ الطفل وسار وبقيت بعد مسيره برهة وانا اقاسي من عظم تلك الضربة اشد الوجع والالم ثم نهضت بعد ما رفعت ما علي من التراب وسحبت نفسي الى القصر واخفيت ما بي ولم اطلع احداً على ما اصابني خوفاً من الفضيحة والعار وكما لا يخفاك اني بقيت اكثر من تسعة اشهر طريح الفراش الى ان شفي جرحي وتمكنت من الخروج وبعد ذلك بحثت كثيرا عن الولد كي اقف له على خبر او اعرف اين هو وذلك حرصاً على شرفنا لئلا يقال فيما بعد ان هذا ولدنا بالحرام فيلحقنا العار بسببه وقد سالت دير الراهبات عنه فاخبرتني انه وضع عندهم هذا الغلام بضعة ايام ثم عاد فاخذه الذي اتى به وعلى هذا فيكون المولود دون شك حياً واني اظن انه سنعير به ويشتهر امرنا ويعرف

الجميع سرنا٠فلما سمعت زوجة دنلار كلامه لطمت على وجهها وبكت وناحت وامصيبتاه يا دوفيلفور الاريب انك تهاملت في الامر حتى وصلنا الى شفير الفضيحة٠فقال لا ريب ان الكونت مطلع على امر هذا الغلام وعنده اطلاع القضية وانما لااعرف من اين اتصل اليه ذلك وان شاء الله ساحرر رسمياً الى ايطاليا وغيرها ابحث عن هذا الكونت واعرف اصله وفصله فان حالته تريبني جداً ولا اظن انها توافق النظامات وترضي الحكومة فكوني براحة تامة وسنجتمع مرة ثانية فاخبرك ان شاء الله بما يسرك

ثم ذهبت زوجة دنلار وهي تكاد لا تعرف الطريق المؤدية الى بيتها لانها تيقنت بان امرها افتضح وكان قلبها يدلها ان ابنها سيظهر قريباً وتشيع عنها الاخبار الفاسدة٠واما دوفيلفور فانه كتب عدة رسائل الى جهات مختلفة يطلب فيها الاستفسار عن حالة الكونت دي مونتو كريستو فوردت اليه الاجوبة بان لا احد منهم يعرف هذا الكونت ولا سمع به انما جاءته رسالة من موسيو دي بوفيل من مرسيليا يقول له فيها اذا شئت تعرف شيئاً عن هذا الكونت فاسأل الخوري بوسوني المقيم الان بباريس فهو يعرف شيئاً عن احواله وايضاً يعرفه رجل في باريس يدعى اللورد ويلمور فهما يفيدانك عن كل ما تريد٠فلما وصلت هذه الرسالة الى موسيو دوفيلفور بعث بعض انفار الضابطة ليستعلم له عن محل الخوري بوسيوني وبعد البحث وجد ان الخوري ساكناً بقرب منتزه لكسمبور فتخفى دوفيلفور وسار الى ان وصل الى ذاك المحل فلم يجد الخوري هناك فسأل عنه خادمه في اي وقت يعود فقال على ما اظن انه الساعة ٨ مساء يكون هنا هذا اذا لم يكن عنده شغل مهم٠فاخذ دوفيلفور ورقة وكتب فيها

المرجو من جناب الخوري بوسيوني ان ينتظرني في هذا المساء لاجل سؤال وجواب يتعلقان بالحكومة

ولما كان المساء رجع دوفيلور فوجد الخوري ينتظره في قاعة الجلوس وكان

نور خفيف ينير تلك القاعة الواسعة فقبل يده وجلس فجلس الخوري في مكان يقابله وكان بينهما النور حتى ان دوفيلفور كان بالكاد يقدر ان ينظر الى وجه الخوري او يمعن فيه. فقال دوفيلفور اني اريد منك ايها الاب المحترم ان تفيدني عن سوآلات لازمة للحكومة ينبغي الاطلاع عليها من قداستكم. قال اني مستعد لان اخبرك بكل شيء بشرط ان لا يكون مضراً بمصالح وظيفتي الرهبنية لانك تعلم ان الديانة لاتسلم بأباحة الاسرار المودوعة عندنا من اصحابها فقال اني لااطلب منك كشف اسرار عميقة انما اطلب منك ان تفيدني عن حالة الكونت دي مونتو كريستو وتخبرني موضحاً من اين هو ومن اين وصلت اليه هذه الاموال. قال الخوري اني لا اعرف رجلاً اسمه دو مونتو كريستو. ثم افتكر الخوري برهة مطرقاً وبعد ذلك قال اظن ان جنابك تريد ان تسألني عن شخص اسمه زكا واظن انه هو المقصود وقد لقب نفسه بالكونت دومونتو كريستو. فقال ربما يكون هذا لاني اعلم قبل الان ان اسمه زكا ولماذا سمى نفسه بالكونت دو مونتو كريستو قال اظن انه اشترى هذه الجزيره فلقب نفسه نسبة اليها. فقال اذاً يمكنك ان تخبرني عن هذا الرجل هل هو غني وهل لك معرفة سابقة به. قال ليس كالواجب انما اعرف انه غني وان ايراده السنوي مائة وخمسين الف فرنك وهو رجل مالطي في الاصل وكنت العب معه حين الصغر لانه كان جارنا وكان ابوه صديقاً لابي حتى ان للآن لم يكن بيننا تكليف واني لا ادعوه بالكونت بل بزكا فقال اهل كنت حضرتك تعلمه وتهذبه في حين الصغر. قال كلا لانه من البروتستانت فقال اذا كان بروتستانياً كيف يمكنك ان تعاشره قال لا باس من ذلك فان الدين يعلمنا بالاتحاد والحب لا سيما مع الاجانب والحرية والانسانية تدعيان الى ذلك. فقال يمكنك ان تخبرني من اين له كل هذه الاموال حتى صار يعد غنياً بهذا المقدار. قال اظن انه انتظم في سلك العسكرية فحصل الرتب العالية والاموال الوافرة والنياشين العالية. فقال هل تعرف له اصحاباً يعرفوه اكثر مما اشرت. قال لااعرف له اصحاباً في

باريس انا اعرف له عدواً اسمه اللورد ويلمور فقال هل يمكن هذا الانسان ان يصفه لي اكثر مما وصفته حضرتك · قال نعم لانه كان مع زكا في الهند · فقال وهل لك معرفة بهذا اللورد وهل تحبه · قال نعم انني احبه محبة عظيمة الا انه يكره زكا وزكا ايضاً يكرهه · فقال هل يمكنك ان تفيدني ياسيدي الاب عن زكا هل حضر قبل هذه المرة الى باريس · قال لم يحضر قط غير هذه المرة وهو كان يجهل باريس انا انا الذي اهديته الى المحلات التي تعرف بها وباصحابها ولا يزال اذا تعذر عليه امر يستفيد عنه مني · فقال اذاً يا سيدي لم يبق الا سؤال واحد فارجوك المعذرة · قال وما هو · فقال اهل تعرف لماذا اشترى زكا قصراً خارج باريس · قال انه في زعمه ان يعمله مستشفى للمرضى · وبعد ذلك قبل دوفيلفور يد الخوري وذهب الى اللورد ويلمور فسأل عنه فوجده غائباً عن محله فكتب له ورقة ودفعها الى خادمه يطلب اليه ان ينتظره في الغد لسؤال وجواب يتعلق بالحكومة ودفع الورقه للخادم وافهمه المقصود فقال له الخادم ان سيدي لا يفهم الفرنساوية ولهذا اذا كنت تريد منه شيئاً ينبغي ان تكلمه بالانكليزية بواسطة ترجمان · قال انني اعرف الانكليزية قليلاً فلا لزوم الى ترجمان

وفي مساء اليوم الثاني حضر دوفيلفور فدخل على اللورد وجده جالساً في زاوية القاعة وهو يطالع في كتاب فوقف له وسلما على بعضهما بالاشارة · وبعد ان جلس دوفيلفور سأل اللورد عن زكا اذا كان يعرفه · قال نعم انني اعرفه معرفة جيدة وهي ان هذا الرجل المدعو بزكا قد خدم في اول عمره عند بعض امراء الهند وكان لما دخل الهند ابن ١٠ سنين ولما كبر اقيم قائداً على بعض الهنود وانا كنت قائداً على جنود انكليزية فتقابلنا وتصادمنا وفي اثناء ذلك اسر زكا وبعث الى لوندرا ومنها فر وهرب الى اثينا ولما كانت الثورة اليونانية دخل في عساكر اليونان وانتصر في عدة وقائع على العساكر المصرية ونال بذلك الشرف والفخار وبينما هو كان جائلاً ببعض اكام تساليا

عثر على معدن من الفضة فاخفى امره الى ان حازت اليونان استقلالها التام فطلب من الملك اوثون ان يشتري المعدن المذكور يستخرجه فاجابه فاستخرجه وكان هذا هو السبب في غناه وايراده السنوي يبلغ ثلاثة ملايين فرنك ومع ذلك لا يصرف حق الصرف لانه بخيل بالنسبة الى ايراده . وكان اللورد يتكلم بكلام يدل على انه مغتاظ جداً من زكا وانه يكره ان يسمع بذكره . قال دوفيلفور اهل عرفت انه اشترى قصراً خارج باريس قال نعم اني اعرف ذلك وقد كان في ظنه انه يجد فيه معدناً فيستخرجه فحفر كثيراً في بستان ذاك القصر دون نتيجة وما ذلك الا من طمعه وبخله . فقال وما هو السبب الذي دعاك ان تكره زكا . قال هذا امر تعلقت به قديما عن زمن الشبوبية حينما كنا بالهند . فقال اذا كنت تبغضه كل هذا البغض فلم لا تحتال عليه وتهلكه . قال قد بارزته ثلاث مرات الواحدة بالطبنجة والثانية بالسيف والثالثة بالحراب وفي الثلاث انتصر عليّ وعفى عني وقد جرحني في عدة مواضع . ثم ازاح اللورد ويلمور قميصه عن كتفه واراه جرحاً كان فيه من حين الصغر . ثم ودعه دوفيلفور ورجع ان يتوصل الى ما كان يظنه وقد اقتنع وتيقن ان الكونت دومونتو كريستو اسمه زكا . ولم يعلم ان اللورد والخوري هما ادمون

وبعد ذلك بايام قليلة عزم البير ابن مرسيداس ان يحتفل بوليمة خصوصية لاصحابه ولا سيما للكونت دي مونتو كريستو وذلك بطلب والدته فدعا الجميع ولما كان مساء اليوم المعين حضر الجميع ومن جملتهم الكونت وكان الجميع يحيطون به الا دوفيلفور فانه ابتعد عنه وصار كلما اجتمع باحد المدعوين يقول له سراً اننا مغشوشون بهذا الرجل بانه كونت مع ان اسمه الاصلي زكا وهو مالطي انما اشترى جزيرة مونتو كريستو فدعي باسمها . فكان يقول له الاكثر مالنا ولهذا الخبر أليس انه رجل كريم اليد لين الطباع محمود الخصال فذلك يكفيه دون لقب ولا نسب . ولما دخل الجميع الجنينة تقدمت

مرسيداس ومدت ذراعها للكونت فاخذها واعطاها ذراعه وانفردا وصارت تقطف له من الفاكهة والزهور وتناوله وهو يأخذ منها ذلك الا انه كان غير مسرور وكان يظهر عليه ذلك فجعلت مرسيداس تضاحكه وتكلمه وتسليه بكلام لطيف ونوادر مضحكة كانا يحكيانها زمن الخطبة فكان يتعلل بانه منحرف المزاج وان صحته على غير المراد . قالت ليس هو كذلك انما على ما اظن انك تخلقت بالاخلاق الشرقية وتركت الاصطلاحات الاوربية لان من عادات اهل الشرق اذا صاحبوا احداً واكلوا من بيته خبزاً فلا يخونوه قط ويكرهون معاشرة النساء وعليه فانك تكره تجديد الوداد وترغب في قطع حبال الآمال . قال ليس هذا المقصود . قالت هذا مرادك لا سيما وانت متزوج الآن . فقال من اخبرك اني متزوج قالت كل اصحابك يعرفون انك متزوج لانهم يرون عندك بنتاً يونانية ذات بهاء ولطف غريبين . فقال ليس هذه زوجتي انما اشتريتها حينما كنت في القسطنطينية لاني علمت انها نصرانية وانها ابنة احد الاشراف فشفقت عليها واشتريتها لاستخلاصها واكرمها الان كأنها ابنتي واحبها حباً خالصاً اكيداً غير انه كان لي خطيبة في مالطة وكان الحب متمكناً منا كل التمكن ولما كانت الحرب وذهبت املاً باني عندما اعود اقترن بها ولما رجعت وجدتها قد تزوجت برجل هو من الد اعدائي فقاتل الله النساء ما اقل ودهن واكثر غدرهن الا اني ارجو منك المعذرة يا سيدتي لانه ربما لا تكون النساء مثل بعضها الا ان المليح نادر . قالت وحينما رجعت ووجدتها تزوجت غيرك هل سامحتها على ذنبها . قال نعم سامحتها من كل قلبي انما لا ازال اطلب الانتقام من الذين كانوا السبب ببعدي عنها لان حبها لا يزال مقيما في قلبي انما لا اريد اظهاره لانها ليست لي بل لغيري وفي تلك الساعة حضر ولدها البير ومعه بعض الجماعة فقصدت مرسيداس تغير الحديث وقطفت زهرة من الزهور واعطتها الى الكونت فاظهر انه مشغول بالآتين فتركها ولم يلتفت اليها وحينئذٍ قال البير اننا تكدرنا جداً لان

دومارند ابا زوجه دوفيلفور الاولى قدتوفي في بيت دوفيلفور ولهذا صارلابد من ابطال الوليمة لان الكدر شمل الجميع . وكان هذا دومارند جد فالنتين ابو امها المتوفاة وكان حضر الى باريس مع زوجته لاجل ان يوصيا بتركتهما لابنة بنتهما فالنتين ويزوجاها ويحضرا عرسها متوفي قبل تمام المقصود . وفي الحال ذهب دوفيلفور وزوجته وابنته فناحوا وبكوا على المفقود ولا سيما فالنتين فانها كانت تحب جدها حباً اكيداً وبعد ان دفنوا الميت رجعوا الى البيت فوجدوا زوجته وهي جدة فالنتين قد مرضت فدعتهم اليها وامرت باحضار كاتب شرعي لتوصي الى حفيدتها فلم يحضر الكاتب في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني زاد حالها وثقل مرضها فاصرت على احضار الكاتب الشرعي وقالت لهم اكدوا انني لا اقيم اكثر من هذا اليوم بينكم لاني رايت في نومي امراً مهولاً وهو ان خيالاً ابيض دخل من الباب الخفي ودنى من زجاجة الدواء ووضع بها دواء اخر فخفت من ذاك الخيال وقصدت ان اصيح فلم استطع فقصدت ان احرك جسمي واقرع الجرس فهرب ذاك الخيال ولم اعد اراه واظنه خيال بعلي المتوفي وقد جاء لزيارتي وفي نيته ان ياخذني اليه اذ لا يقدر على مفارقتي . فقال الحاضرون لا بأس من ذلك فهو وهم مضى وانقضى وما ذلك الا من تأثيرات المرض . وفي ذلك الوقت حضر طبيب عائلة دوفيلفور فنظر في المريضة واعطاها علاجاً وكرر دون الحصول على نتيجة لانها بعدا ان حضر الكاتب الشرعي واوصت لحفيدتها بموجوداتها غاب وعيها وهي تشير الى فالنتين ان تبعد عنها واذ ذاك وضعوها في غرفة وصار الجميع في حزن عليها ولا سيما فالنتين فانها بكت بكاء مراً ثم ذهبت الى جدها نوارتيه فقبلت يديه واخبرته بحالة جدتها فاشار الى السماء وعزاها بالاشارة ثم خرجت من هناك ونزلت الجنينة وانفردت بنفسها تتنقل بين تلك الرياحين مبلبلة البال حزينة القلب . وبينما هي على ذلك سمعت صوتاً يناديها فمالت بوجهها الى جهة الصوت فنظرت مكسيمليان حبيبها كامنا بين الاشجار الغضة منتظراً سنوح

الفرصة ليتمكن من مقابلتها فانذعرت لما رأته وارتجفت وقالت له ما الذي دعاك ان تحضر في مثل هذا الوقت الى هذا المكان. قال اني لما تأكدت ان الشاب فرننsaid قد حضر الى باريس وفي نية والدك وعائلتك ان يعقدوا الزواج في هذه الليلة الساعة تسعة قصدتك لايجاد طريقة نتخلص بها من ظلم الظالمين ونعيش سعداء مع بعضنا . قالت وما هي الطريقة اهل عندك رأي تقدر ان تنقذنا به من هذه المصيبة الكبرى. قال اتجيبيني الى كل ما ادعوك اليه. قالت نعم اني اطيعك حتى الموت. قال اعلمي انه لم يعد يسمح لنا الوقت اكثر من التاسعة ولذلك ينبغي ان تحضري الساعة الثامنة فاكون قد هيأت كل ما يلزم لنا وأتيت بمركبة فنركب عليها ونهرب من فرنسا ونبعد عن اولئك الذين يصرفون الليل والنهار في الجد والكد ليبعدونا عن بعضنا فنقصد ايطاليا او اميركا او اسبانيا فنصرف زمناً هناك الى ان يكون صفا خاطر والدك فنعود وقد بلغنا المقصود وفزنا بالمراد . فقالت ان هذا لا اقبل به ولا اريد ان يقال عني اني عاصية على والدي فاغضبه واخسر شرفي بين اهلي واقرباني فيرموني باللوم والتنديد فضلاً عن انه ربما ادركنا ابي او وقع بنا البوليس . فقال لا تخافي فاني افدي روحي بين يديك فكل من دنا الينا اعدمته الحياة واحميك بطاقتي وجهدي اذا قدر المحال لانه لاينتبه احد الى هربنا قبل ان نكون فزنا بالنجاة وبعدنا عن هذه البلاد . قالت وكيف تقبل ان تجعلني عرضة للمذمة والعار او كيف يمكنني ان افارق جدي العاجز نوارتيه . قال هذا الرأي الموافق عندي فاعدي لي ما عندك عله يخطر لك ما يكون به فرحنا . قالت ليست عندي طريقة للخلاص فاني في حالة يأس وكدر لاني اعلم اني بواسطة زواجي بفرننند سأعدم الراحة طول حياتي . قال اذا كان الامر كما تعهدين فاعطيني يدك الان لاودعك الوداع الاخير اذ لم يعد يمكني ان اقابلك مرة اخرى حيث لابد من اتمام عملي فقالت على م عولت ولم هذا الكلام اهل عزمت على ايقاع الضرر بفرننند او افتكرت بقتله . قال كلا كيف امد يدي اليه بسوء وهو لم

يؤذني قط قالت اذا على ماذا عولت قال افتكرت ان اصبر الى حين تأتي الساعة المعينة لعقد الزواج عل الله سبحانه وتعالى يأتني بالفرج وتيسير الامور والا فاني عندما ابلغ انك اقترنت بغيري وخرجت من يدي اقتل نفسي وعلى ذلك فلا يعود يمكنك ان تريني ولا اعود ان اسمع اسم فالنتين باذني فيما بعد وهذا آخر عهدي بمعك خاطرك يافالنتين يا حبيبتي فالنتين سوف يطرق اذانك قريباً ان مظلومك مكسيمليان قد تضرم بدم الجور والهجر . ثم دار بوجهه وقصد الذهاب ودموعه كانت تتساقط على خديه موضحة عنه بلسان الصدق انه لابد ان يفعل ما قال ولذلك انجرح له قلب حبيبته فمسكته من يده واوقفته وقالت له يا حبيبي يا مكسيمليان ان كل ما هو عزيز لديّ لقد هان انت وحدك لي ووحدك اطلب وحياتك هي اغلى من حياتي وشرفي وحياة كل عزيز عندي ولهذا فاني اعدك انى الساعة ثمانية ونصف اكون عندك هنا اسلمك نفسي كحبيب ابدي تبذهب بي حيثما تريد فاكفف دموعك الذي جرحت بها قلب فالنتين المعذب بهموم كثيرة . فتهلل وجه مكسيمليان من الفرح وقال لها سترين اني نعم الرفيق ومحبتك تبرهن لك صدق نواياي والان فاني اودعك لاذهب فاحضر ما يلزم احضاره وفي الوقت المعين ينبغي ان تلاقيني هنا

ثم افترقا على هذا الرأي فذهب مكسيمليان واتى بما يحتاجه من اللبس والسلاح والدراهم واتى ايضاً بمركبة مهيأة للسفر فدخل البستان وانتظر فالنتين فلم تحضر فصبر الى ان دقت الساعة التاسعة فضجر واشتعل في قلبه نيران الوساوس والاوهام ولذلك عزم على اقتحام المخاطر وارتكاب الاهوال فطاف في البستان فوجد سلماً فالقاه الى حائط القصر وصعد اليه حتى انتهى الى طاقة هناك فدخل منها على انه لو كان نظره احد لما تيقن الا انه من اللصوص ولما صار في زاوية غرفة مظلمة شعر برجلين يتكلمان سراً بالقرب منه فارتبك وخاف من ان يقفا على حاله الا انه تشجع وكمن منتظراً كيف

يكون منهما وتبينهما فعرف ان احدهما دوفيلفور والآخر الطبيب وسمع الطبيب يقول اسمع يا مسيو دوفلفور وانتبه لنفسك وتحذر من عدوك وافحص عن فاعل هذا الفعل والا وقعت في شرك لا خلاص لك منه فقال دوفيلفو ولما ذلك . قال لاني متيقن ان عمك دومارند لم يمت موتاً طبيعياً انما كان موته مسموماً لا محالة وكذلك امرأته التي توفيت الان فانها شربت السم فماتت فاغتاظ دوفيلفور من كلام الطبيب واظهر على نفسه الكدر . وقال انتم معشر الاطباء اذا تعسر عليكم الدواء وجهلتم الداء تتعللون بعلة فارغة احتراصاً من ظهور عجزكم وجهلكم فمن اين يأتي السم وهل نحن اهلاً لذلك او يقال عنا قبل الان اننا نسعى بقتل النفس . فتكدر الطبيب وقال له انك تتهمني بالميل والتعرض مع اني لم اخبرك الا بالصحيح فاذا شئت فلندع جماعة الاطباء وندعهم يشرحون المائتة ويفحصونها ليتبين لك انها قد ماتت بفعل السم وانما اذا كنت تجهل من يدس السم فهذا لا يعنيني ولذلك قصدت ان انبهك كصديق وخليل لتكون على حذر خوفاً من الوقوع في ورطة وبيلة . فلما سمع دوفيلفور كلام الطبيب تكدر في داخله واطرق الى الارض وقال من يا ترى يقدر ان يفعل ذلك فليس في بيتي عدو نعم اذا كان ذلك اكيداً وعرفته الحكومة فلاريب في اني اكون ضحية البطل وانا بريء . فارجوك ايها الطبيب كتمان هذا الامر واني شاكر فضلك وجميلك بحيث اطلعتني على امر اجهله ودعوتني للبحث والتفتيش على فاعل هذه الجناية والا وقعت في اكبر الاهوال واعظم المصائب . فوعده الطبيب بالكتمان واوصاه بعدم التأهل وعاد من هناك كل هذا ومكسيمليان يسمع كلامهما وقد تأكد عنده وفاة جدة فالنتين مسمومة وعرف ان هذا هو السبب الوحيد الذي اوجبها ان تتأخر عن الحضور ولا تفي بصدق قولها . وبعد ان صبر برهة وهو لا يسمع صوتاً ولا يرى خيالا تقدم بكل خفة الى غرفة كان بابها مغلقاً فدنا منه وصبر ليسمع اذا كان داخله صوت فلم يسمع شيئاً . ثم فتحه وهو ينظر الى داخله ليرى اذا

كانت فالنتين فيها . فرأى مرتبة عالية وعليها جسم مغطى الى حد رأسه وكان النور ضعيفاً جداً حتى كان لا يكاد يقدر ان يعرف داخل الغرفة ثم نظر الى جانب المرتبة فوجد شخصاً راكعاً ملقى براسه اليها وهو يصلي موجهاً بوجهه الى السماء فامعن واصغى فلم يسمع الصوت انما تبين له ان ذاك الشخص هو فتاة وترجح له انها فالنتين لعلمه ان لا احد هناك يفعل ذلك الا فالنتين لكونها انسب الموجودين الى المائتة وكان يتردد في الدخول خوفاً من انه يكون قد اخطأ في ظنه انما لما رأته فالنتين تركت صلاتها ووقفت باهتة ودنت منه وهي ترتجف وقالت له ما هذا يامكسيمليان الم تخف من ان يراك احد فتفضحنا ويشتهر امرنا ولا سيما ان رآك والدي فانه رجل ظالم لا يرثي لحال ولا يشفق على ولد . قال لما رأيتك لا تقومي بايفاء وعدك وكنت قد هيئت جميع لوازم السفر التزمت ان اقتحم المخاطر ولا اعود بالخيبة . وبعد ان دخل الى قربها اخبرها كيف دخل وانه اجهد نفسه بان لا يترك احداً يراه كل هذا وكانت فالنتين ترتجف من الخوف واذ ذاك شعرت بمرور شخص بالقرب من الغرفة فكادت تقع الى الارض وتيقنت ان سيشتهر امرها ويتهمونها بالاعمال القبيحة ولذلك كانت قد فقدت عقلها وخسرت قواها وزاد رجفانها الا ان ذاك الشخص دنا من الغرفة ولم ينظر الى داخلها لكنه لما رأى بابها مفتوحاً اغلقه وسار في طريقه الى غرفته وكان هذا دوفيلفور ولما رأت ذلك فالنتين هدأ روعها نوعاً وقالت لمكسيمليان قد نجونا من خطر عظيم لان هذا والدي ولا ريب في انه اوصل الطبيب الى الخارج وعاد ليدخل غرفته فوجد الباب مفتوحاً فاغلقه دون ان يظن ان يكون داخله امراً مهولاً . فالاجدر بك يا حبيبي ان تخرج بالسرعة من هذا المكان واذا كنت ترتاب فادخل من مكان جدي نوارتيه فلا باس عليك من شي واذا شئت اطلعنا جدي على حالنا لانه يحبني ويحبك لحب ابيك لا محالة لاني طالما رايت وانا صغيرة والدك عنده وكان يأتي اليه ليخابره بخلاص شخص يدعى ادمون دانتاس كان مسجوناً في قلعة شاتوديف .

وحتى الساعة ليس لنا في كل هذا البيت الا جدي على انه وان كان عاجزاً عن القيام والقعود الا انه ينفعنا بآرائه وبهيبته . فاستصوب كلامها فقاما ودخلا على نوارتيه . ولما قربت منه رمت نفسها على قدميه وهي تقبلهما وتقبل يديه وقالت له يا سيدي انت تعلم يقيناً ان والدي مراده ان يجبرني على الاقتران بالشاب فرنند وتعلم ايضاً اني اكره النظر الى وجهه ولا اقبل ان اراه ولذلك قد اتيت بك مستغيثة مستجيرة لتنقذني من تلك المصيبة وتساعدني على الاقتران بشاب طالما احببته واشتهيته وهو مكسيمليان ابن صديقك موريل الواقف امامك الان فارحمني يا جدي وارحمه لانه وان كان قد فقد مابيده من المال الا انه باق على شرف النفس وجودة الاخلاق والكرامة لا سيما وهو من قواد العسكر المشهورين بالاقدام والمروءة وقد اقتحم الخطر ودخل عليَّ مخاطراً بنفسه حباً بي وبان يخلصني من الوقوع من ذاك الوحش فرنند وقد عزم على قتل نفسه اذا امتنعت ان اجيبه الى الهرب ثم حكت له ما كان بينهما وكيفية دخوله القصر . فتبسم جدها من كلامها . ثم اردفت قولها واعلم يا جداه اني لم اعطه يدي ولا اعاهده على حفظ المودة الا بعد ان اقسم ابر الاقسام وعاهدني على انه لا يتركك طول حياته وانه يثبت معي على خدمتك حتى الموت . فاشار اليها نوارتيه ان تخرج فخرجت وجلس مكسيمليان بقربه فاشار اليه ان يتكلم . فقال اعلم يا سيدي اني من حين ما عرفت حفيدتك فالنتين وانا مولع بها ومغرم بمحبتها وقد تعاهدنا على الاقتران والزواج وان نبقى مع بعضنا طول حياتنا بخدمتك غير ان صروف الدهر منعتني لا سيما ان ابنك دوفيلفور يكرهني جداً لاني ابن رجل من الحزب البونابرتي وهذا هو السبب الوحيد الذي يحول بيني وبين الحصول على اعز الناس عندي ولهذا لما علمت انها ستزف قريباً على غيري الزمتها ان تعاهدني على الهرب . فاجابتني بعد ان قالت لي ان تكون انت بصحبتنا اذ لا يمكنها ان تتركك ولولاك لفزنا بالخلاص وبعدنا عن هذه الديار . وبما انك قد عرفت بواطن امرنا فارجوك ان تساعدني

وتنظر الينا بعين حبك والا قدت نفسي الى الخطر وقدمتها ضحية لحبها . فاشار اليه نوارتيه ماذا يريد ان يعمل . قال مرادي ان اقابل فرننند واسأله ان يترك فالنتين واطلعه على كل ما بيننا فان اجاب وتركها كان الفرج والا بارزته وقتلته فاما أن اقتله فيخلو لي الجو واما ان يقتلني فارتاح من عذاب فراقها وبعدها . فاشار نوارتيه كلا . قال افهل اخطفها واهرب بها . اشار كلا . قال اذاً ما هي الطريقة الى اتمام المطلوب . فاشار الى نفسه . فقال اهل يمكنك ان تخلصني يا سيدي وانت لا تحسن الكلام . فاشار مبيناً انه يقدر على خلاصه وان هـذا الامر لا يعنيه . فتعجب مكسيميليان كيف يمكنه ان يساعده ولذلك اعاد عليه القول ثانياً وثالثـاً . فاكد له انه هو المسئول بزواجه فالنتين بشرط ان لا يخطفها ولا يقتل فرننند فاقسم له بذلك ثم طلب منه ان يسمح له بتقبيل اياديه فسمح له فقبل يديه وهو يذرف دموع الذل والانكسار فانجرح له قلب نوارته واشار الى خادمه ان يوصله الى الخـارج فاخذه واخرجه من باب السر وسار مكسيميليان فرحاً مؤملاً بالنجـاح بعد نفسه بالحصول على محبوبته

وفي غد ذلك اليوم اجتمع جماهير من الاقرباء والانسباء والاصحاب قياماً بمأتم المتوفاة ولما كان عصر النهـار اخذت الى المدفن واجري احتفال الدفن بكل لياقة ولما عاد القوم من المقبرة وتفرق كل الى منزله دعا دو فيلفور فرننند بن كاستل وقال له لا يخفاك ان حماتي المتوفاة اوصتني ان اسرع بعقد زفاف فالنتين عليك وانه كان في نيتها ان تقوم بمأدبة الزفاف فلم يمكنها . فقال له فرننند كيف يمكن الان ان نجري الزفاف او نقيم الافراح والعزاء لا يزال مقياً وفالنتين لا تزال حزينة على جدتها المرحومة . قال هذا امر لا يعنيك فان لنا بمرسيليا قصراً جميلاً ومنتزه فيمكنك ان تذهب الى هناك بزوجتك وتقيم فيه وتجري الافراح والهنـاء . فوافقه فرننند على ذلك وفي اليوم التالي اجتمع بعض الاقرباء وكاتب المحكمة والقسيس وامر دوفيلفور ابنته ان

تلبس ثيابها وتستعد لكتابة عقد الزواج حيث ينتهي اقترانها في ذاك النهار فلما سمعت فالنتين كلام ابيها شعرت بفراق روحها وايقنت بانها هالكة لا محالة فاخذت تنوح وطلبت من ابيها ان يوخر ذلك الى يوم اخر لان الحزن كان لا يزال موثراً فيها وانها لا تقدر ان تمسك نفسها لتقف في موقف صعب كهذا . فقال لها لا بد من اتمام عقد الزواج في هذا اليوم لا احب تاخيره ولو مهما جرى فازداد حزنها من ظلم ابيهـا وعلمت انه لا بد ان يجبرها اذا امتنعت او قبلت ولذلك دخلت على جدها واخبرته ان في ذاك النهـار يعقد عقد الزواج وانها ستموت لا محالة فطيب بخاطرها واشار لها ان تنقاد الى ارادة ابيها مهما كانت وانه يتكفل بفساد ذاك العقد . فتعلق قلبها بكلام جدها وتسلت نوعاً وفي الساعة العاشرة دعوها لتدخل الى قاعة الجلوس بحيث تكتب عقـد الزواج ويعقـد الاكليل فلبثت ثيابها ودموعها تنسكب على خديها كالامطار ودخلت القاعة وهي حزينة كئيبة ولذلك لم تنتبه الى احد ولا قامت بما هو متوجب عليهـا بل جلست مستكنة وقد تعجب كل الحاضرين واذ ذاك وقف القسيس ودعا العريس الى الاقرار بقبول العروس امام الشاهدين فاعترف بقبوله العروس من كل خاطره ثم دعا العروس وعزم ان يطلب اليهـا ان تعطي يدها العريس من خاطرها لينتهي عقد الزواج وحينئذ دخل خادم نوارتيه وقال بصوت عالٍ امام الحاضرين . ان سيدي نوارتيه يدعو فرننىد ابن الجنرال كاستل المقتول اليه ولذلك اتيت بطلبه فاعترضه دوفيلفور وقال لايمكن ذهاب احد من هنا الا بعد تمام شغلنا وكتابة عقد الزواج قال اني لا ادع فرننىد هنا بل امرني سيدي انه اذا امتنع ان يذهب اليه اقوده جبراً . فقال انه واجب علي ان اذهب واقبل يديه ولما دخلوا عليه دعا فالنتين فقربت منه فاشار اليها ان تحضر القاموس فاحضرته فاخذت في قلب اوراقه والتفتيش على مواده المطلوبة حتى عرفت كل غايـة جدها فاحضرت صندوقه الصغير واخرجت منه ورقة محكمة اللف ففتحتها واعطتها الى خادم جدها الخصوصي

فاخذها وقال ان مولاي نوارتيه امرني ان ادفع هذه الورقة الى فرنند ليقراها علناً ويعرف السر المنطوي من زمن ليس بقليل . فاخذها فرنند ونظر اليها فوجد عنوانها هكذا

هذه صورة حادثة وقعت في المجمع البونابرتي المنعقد في سان جاك في ٥ شباط سنة ١٨١٥

وبعد ان قرأفرنند هذا العنوان سكت القوم منتظرين ما كان في تلك الواقعة غير ان فرنند وقف باهتاً ثم قال ان في هذا اليوم وهذه السنة قتل والدي كاستل فتعجب دوفيلفور وعزم على المقاطعة ومنع فرنند عن القراءة الا انه امتنع لما راى الجميع يطلبون قراءة الورقة واما فالنتين فانها وقعت بين الرجا واليأس لا تعرف هل تلك الحالة تودي بها الى الخلاص مما هم به او بالعكس ثم اشار نوارتيه باتمام قراءة الورقة الى نهايتها واذا بها ما ملخصه

نحن الموقعون على هذه التذكرة لتحفظ بين اوراق الجمعية نعترف انه في اليوم الرابع من شهر شباط من سنة ١٨١٥ حضرت رسالة من نابليون من جزيرة البا على يد الجمعية السرية يوصي بها الجنرال دو كاستل الذي كان خدمه اكثر من ١١ سنة ان يضم الى احزابه راياً وعملاً وعند ذلك حررت الجمعية ورقة دعوة الى الجنرال المذكور ليحضر اليها في اليوم الخامس من الشهر دون ان يكون في تلك الورقة تعيين محل او شارع او امضا احد ولما عرضت هذه الورقة الى الجنرال قبل بالحضور ولذلك حضر اليه شخص من الجمعية وكان اذ ذاك الساعة التاسعة ليلاً فناداه وقال له اتبعني لاني أرسلت من قبل الجمعية فتبعه . ولما بعد عن محله قال له اني أمرت من رئيس الجمعية ان اربط عينيك واضعك في مركبة مخصوصة واذهب بك اليهم والا فعد من حيث اتيت . فقال الجنرال افعل ما بدا لك فربط عينيه واركبه في مركبة وأتى به على اجتماع العمدة وهناك رفع الرباط عن عينيه ونظر يميناً وشمالاً فوجد جمهوراً كبيراً من احزاب نابليون يحدقون اليه باجمعهم فتعجب لما رأى

كثيراً من معارفه ورجال المملكة كان يظن انهم لا يحبون الامبراطور . واذ ذاك قال له الرئيس اعلم يا دي كاستل ان جلالة الامبراطور نابليون لما يعهده فيك من صدق الخدمة والمحبة والامانة ولا سيا انت في خدمته نحو ١١ سنة بعث اليك بتحرير لتكون مع محبيه واحزابه ولذلك بعثنا فاحضرناك لتطلع على غاياته ونطلب اليك الانضمام الينا . فاجاب الجنرال بجسارة انا لا اريد ان اسمع بذكر ذاك المختلس ولا احب ان انضم الى احزابه ولا اريد ان اعرف احزابه ففهم الرئيس نواياه وتأكد انه ما حضر الى محل الاجتماع الا وفي نيته ان يعرف من هم فيذكرهم للملك فينال بذلك الشرف والفخار . فقال له قد تجاسرت يا دي كاستل وتكلمت بوقاحة غريبة ألا تعلم نفسك في اي محل انت الان فاصغَ لنفسك ولا تقابل الحسنات بالسيئات واسلك سبيل الامانة وارعَ زمام مولاك فقال الجنرال لا يمكني ان اجيب طلبكم او اذكر نابليون في فمي لا سيا واني منذ مدة اقسمت لملكي وولي نعمتي ان لا اخونه وان احفظ له الزمام . ولما رأى الجماعة امتناعه ووقاحته تكدروا منه ووقعت بينهم ضجة قوية وكثير منهم طلب اعدام الجنرال كاستل الا ان الرئيس ردعهم وقال لا نريد ان نغدر بـه او نعامله بقوتنا مع ضعفه . فقال الجنرال وحيث تأكد لكم اني لا اخون ملكي نظيركم فدعوني ارجع من حيث اتيت . قال الرئيس اننا لا نمنعك من الرجوع انما نطلب ان تقسم لنا انك لا تخون جمعيتنا هذه بحضورك بيننا وتذكرها امام احد او انك تذكر احداً منا . فقال دي كاستل او هل تجبروني على كتمان امركم فلا بد لي من اطلاع الملك على امركم واخباره باجتماعكم ثم وضع يده على سيفه . فصاح بـه الرئيس ارجع يدك عن سيفك والا سفكنا دمك في هـذه الدقيقة دون ان يعلم بك احد واقسم اليمين دون مكابرة فلا خروج لك الا باليمين فلما رأى الجنرال كثرة الجمع وتأكد انه لا يخرج الا باليمين قال اعرض عليَّ يمينكم لاقسم لكم . فقال الرئيس قل لي اني اقسم بشرف نفسي اني لا اخبر احداً بخبر هذه

الجمعية ولا اذكرها امام احد واكون كأني لم احضر اليها . فحلف اليمين كما طلب اليه وحينئذٍ ربطوا عينيه وانزلوه المركبة ومعه الرئيس ورجلان آخران وبعد ان بعدوا من هناك وضع يده على رباط عينيه وقصد ان يرفعها فمنعوه . فقال ما هذه الاعمال البربرية دعوني ان افتح عيني واعرف من انتم يا اعداء المملكة فعند ذلك وقفت المركبة . قال الجنرال أهل وصلت الى بيتي . قال الرئيس كلّا انا وصلنا الى مكان النزال ثم امر ان تفك عيناه وبعدئذٍ قال له الرئيس لما اتيت محلنا احترمناك اكراما لخاطر الامبراطور الذي اوصانا بان نحترمك فلم يكن فيك موضع للصنيعة . وقد اهنتنا ونسبت لنا الخيانة وعدم الامانة فامهلناك كي لا يقال اننا عاملناك بقوتنا مع ضعفك وقصدنا ان نعيدك سالما بعد وقاحتك فما اكتفيت بل زدت في الوقاحة والتعدي حتى الزمتنا ان نتيقن انك لا بد من اخبار الملك بخبرنا ولذلك قد حضرت انا رئيس الجمعية لابارزك بعيداً عن محل الجمعية واصحبت هذين الشاهدين لينظرا انصافنا في القتال ويشهدا لنا بمحافظة حقوقه لا سيا وانت حتى الساعة باق على وقاحتك وجسارتك فقال الجنرال لقد اصبت فاني اتمنى هـذا القتال لاوضح لسيدي الملك اني صادق بخدمته محافظ على محبته . ثم نزل الى الارض واستل سيفه وقال هيا ان كنت بطلاً لاغمس سيفي هذا من دمك . فاجابه الرئيس وقد اخذ حربة صغيرة ووقفا في ساحة القتال فطلب الجنرال الى الرئيس ان يبتدر بالضرب فأبى الرئيس وسمح له ان يضرب اولاً ثم ابتدرا سوية وكان الغضب يزداد في الجنرال ولذلك كان يضرب الرئيس باحتدام واخيراً وقع الى الارض من عظم جراح كان جرح بها فنهضه الرئيس وقد اخذته عليه الشفقة واراد ان يمتنع عن قتاله الا ان الجنرال بعد ان استوى جالساً ثانية رجع الى القتال رغماً عن ارادة الرئيس وضربه ضربة قوية لو لم يتدارك منها ذهبت بروحه فاجابه بمثلها فوقعت على جسده فوقع الى الارض فقصد الرئيس انهاضه فلم يقدر لان دمه كان يتدفق كالانابيب واذ ذاك تقدم الشاهدان الموقعان على ذكر

هذه الحادثة فوجداه قد مات فرمياه بالنهر وذلك في ٥ شباط سنة ١٨١٥ وقد حفظت هذه الورقة والتاريخ ليعلم فيما بعد القوم ان احزاب نابليون لم يغدروا بالجنرال ولا اوقعوا به الا بالطريقة القانونية

وما انتهى فرنند الى آخر هذه القطعة الا وقد تفطرت مرارته وهاج الغضب به ولعبت بدماغه يد الانتقام وحركته امياله الى السعي باخذ الثار من قاتل ابيه اذا امكنه فوضع يده على قلبه ليقدر ان يتكلم . وقال اني عرفت سبب موت ابي ولكن لم اعرف من هو ذاك الرئيس وما اسمه فاجابه دي فيلفور أهل ان ابي الابكم يخبرك عن الفاعل وهل يكتب بالقاموس اسماء الرجال مع كثرتها فقم بنا لنرجع فنقضي ما نحن آخذون به ولا تصغ الى ابي فقد اضاعت عقله يد الكبر والخرف فتبسم نوارتيه واشار اليه ان يحضر القاموس فاتته به فالنتين . فوقف فيه على احرف (انا) فاضطرب فرنند وقال انت الرئيس قاتل ابي . اشار نعم . فصاح فرنند كيف يمكني الان ان ابارزك وانت شيخ عاجز او كيف ان اقترن بحفيدتك وجدها قاتل ابي فلا كانت ولا كنتم جميعاً ولا كان من يطلب الدنو منكم ثم خرج نائحاً على والده يذم تلك الساعة التي عرف بها هذا البيت ويلعن الشيخ مع عائلته ولهذا انفض جمع الزفاف والجميع يتعجبون من تلك المصادفة الغريبة وبطل العرس وتكدر دي فيلفور وزوجته وسرت فالنتين ان جدها قد اقام بوعده وانها ستصير سيدة ببلوغ مآربها وزواجها بمكسيمليان

وفي غد ذلك اليوم اتى الكونت دي مونتو كريستو بيت دنكلار فلم يجده فترحبت به زوجته وادخلته قاعة الجلوس وبعد ان استقر قليلاً اخبرته بما صار ببيت دي فيلفور وكيف تبين ان نوارتيه هو قاتل كاستل وكيف بطل الزفاف وخرج فرنند مكدراً . وبينما هما في مثل هذا الحديث اتى فالكانتي ووالده فترحبوا بهما واجلسوهما معهما واذ ذاك اتت بنت دنكلار وسلمت على الجميع وخصوصاً فالكانتي فانها جلست بقربه واخذت تضرب

بالموسيقى وتغني وهو ايضاً يغني مثلها ثم حضر دنكلار فسلم على الكونت والباقين وجلس وقلبه يكاد يطير من الفرح وذلك لما رأى دي فالكانتي جالساً مع ابنته وانهما متوافقان في الغناء. فقال للكونت وكان جالساً بقربه ان هذا الشاب دون شك يليق ان يكون زوجاً لابنتي لانه يوافقها في كل الامور ولا بد من تزويجها وتخليصها من البير فقال الكونت لا اظن انك تقدر على منع البير لانه خطيبها السابق وعائلته ذات اقتدار. فقال دنكلار اني لا اخاف من هؤلاء الارامل فاني اعرفهم اصلاً وفصلاً. ولا خفاك اني حررت سابقاً الى اثينا استعلم عن قضية فرنان وفي هذا اليوم تأتي البوسطة فاتناول الجواب ويظهر ما اطلعتك عليه سابقاً وهو مؤكد ولا يليق بي ان اترك مثل دي فالكانتي صاحب الشرف الرفيع والمال الوافر واتعلق بالبير فانظر اليهما واحكم بالانصاف. فقال الكونت اني ارجو ان لا تترك البير لانه شاب كامل الاوصاف وليس كابيه. لا سيما وهو من وطنك وابناء جنسك. فضحك دنكلار وهز برأسه وحينئذ حضر البير فرأى خطيبته تغني مع فالكانتي فعلم باطن القضية فجلس بين الموجودين دون ان يظهر انه ارتبك من ذلك او اخذته الغيرة عليها لانه كان يكرهها. وبعد ان انتهى المجلس سار كل في طريق الا البير فانه ذهب مع الكونت حتى دخل بيته وهناك قال له اني على اقصى غاية من الامتنان يا سيدي الكونت فاني اراك قد خلصتني من هذه الخطبة بطريقة غريبة. ثم سمع صوت اوتار تضرب من غرفة بجانب الغرفة التي كانا جالسان فيها فسأل الكونت عن ذلك. فقال له هذه عادة الرومية. فقال له ارجوك يا سيدي ان تسمح لي ان اجتمع بها وقتاً قصيراً فاني ارغب ذلك واحب ان اسمع غناءها وصوتها فقال لا بأس من ذلك انما بشرط ان لا تخبر بخبرها بعد ذهابك من عندها وان لا تذكر امامها اسم ابيك. قال وما السبب لذلك. قال لان والدك كان خادماً عند ابيها حينما كان والي جانينا. فتعجب البير من ذلك وقال نعم ان والدي كان عند

والدها في جانينا وهذا سبب ثروته فمن اين قدرت ان تحصل عليها وكيف وقعت بيدك. فقال الكونت اني كنت يوماً ماراً في بعض اسواق القسطنطينية فرأيتها تباع هناك وفهمت انها يونانية نصرانية فسألت عنها فاخبرت انها بنت والي جانينا الذي قتل في حرب الاتراك فشفقت عليها وخفت من ان تقع في يد من لا يعزها ويعرف قدرها فبذلت فيها الثمن الوافر حتى حصلت عليها فعاملتها معاملة الاب ولذلك هي تحبني جداً فاكرر رجائي ان لا تذكر امامها اسم ابيك ولا تخبرها بخبر من هذا القبيل فاقسم البير انه لا يذكر عندها شيئاً من ذلك. فنادى الكونت خادمه وقال له اذهب الى الست عائدة واخبرها ان تستعد لملاقاة احد اصدقائي فانه يريد ان يصرف عندها وقتاً فاخبرها الخادم بذلك. ولما دخل الكونت والبير عليها لاقتهما بالانس والبشاشة ثم جلس كل منهم في ناحية من تلك القاعة التي كانت مزخرفة بالنقوش ومفروشة بالحرير الفاخر. فانبهر البير من جمال غرفتها كما انه انبهر من جمال وجهها ورقة لفظها وكان عليها ثوب من الحرير الاحمر واذ ذاك دنت من الكونت وقبلت يده بأدب وقالت له من هذا الذي اتيت به يا سيدي الكونت قال هو احد اصحابي الاعزاء فعامليه بالرقة واللطف فتقدمت وحيته تحية الصديق الودود حتى كاد يطير عقله من الفرح وجلست بالقرب منه ثم قالت للكونت باليونانية باي لغة تحب ان اكلم صديقك هذا. فقال الكونت لالبير اهل تعرف اللغة اليونانية اجاب كلّا. قال اتريد ان تكلمك بالفرنسوية ام بالايطالية. قال اني اعرف هاتين اللغتين ففهمت عائدة اللغة التي كان يتكلم بها فقالت له اني سررت جداً بتشريفك يا ايها الموسيو لا سيما لما اخبرني مولاي انك من اعز الناس عنده فلا ريب في انك تقبل احترامي هـذا الذي اقدمه لك اكراماً لخاطره واجابة لطلبه. فقال البير لا بل انا الذي تشرفت باتياني اليك وقد صيرتني غريق الطافك حيث سمحت لي ان اكون عندك اسمع در لفظك واشاهد جمال ذاتك. ثم سأل الكونت في ماذا يجب ان يحادثها. فقال له

اسألها عن بلادها واحوالها بشرط المحافظة على الوعد . فقال لها كم كان عمرك حينا فارقت وطنك . قال كان عمري اذ ذاك خمس سنوات . قال كيف رأيت بلادنا . قال بلاد حسنة وجميلة قال ألا تتذكرين بلادك . قالت اني اذكرها واحن اليها دائماً واتذكر ايضاً تلك الاهوال الخطيرة التي اوجبتني ان اخرج منها فتعجب البير من انها كيف تقدر ان تتذكر هكذا امور وهي في سن خمس سنوات . ثم التفت الى الكونت وسأله اذا كان يريد ان تقص عليه خبرها . فطلب اليها الكونت باليونانية ان تخبره بخبرها بشرط ان لا تذكر امامه اسم الضابط الفرنسوي . فاخذت في شرح قصتها فقالت اعلم انه لما ثارت الفتنة في بلاد اليونان وتعصب الاهلون ضد حضرة ساكن الجنان السلطان محمود خان خرجت العساكر التي كانت في الولاية عن طاعة ابي وقد فقد نفوذه وضاعت كلمته لانه كان الوالي من قِبَل الدولة فالتزم ان يترك الولاية في صباح يوم ايقظتني والدتي وهي نائحة باكية فانزعجت وارتعبت وقصدت ان اصيح فزجرتني وامرتني بالسكوت فسكت فاخذتني بين يديها وخرجت بي فوجدت جميع الخدم في ارتباك وهم يحزمون الحزم ويربطون الامتعة فعلمت اننا عازمون على السفر وبعد ذلك وصلنا الى البحر فانزلنا الامتعة ونزلنا في قوارب واقمنا بالقرب من المدينة منتظرين العفو السلطاني وكان والدي قد بعث جنرالاً فرنسوياً كان يعتمد عليه ويحق اليه الركون ليسترحم له بالعفو من جلالة السلطان ووضع والدي جميع امواله وعشرة صناديق من البارود في محلنا واوصى عليها خادماً لنا اسمه سليم وقال له اذا جاء امر بالعفو من جلالته رجعت الى هنا والا فاحرق هذا البارود ليحترق معه المحل باجمعه لاني اكون هالكاً لا محالة مع عائلتي فقال الخادم من اين اعرف انه جاء العفو لسيدي ومن يخبرني به قال ان ارسلت اليك خاتمي فيكون قد جاء العفو والا اذا ارسلت اليك خنجري فافعل ما اوصيتك به واحرق البارود والمحل معاً واقمنا نحن منتظرين اتيان الضابط الفرنسوي امين والدي الى ان كان اليوم

الخامس نظرنا عن بُعد مراكب آتية فاخذ والدي النظارة ونظر فيها فرأى الضابط قد نزل من احدى المراكب الى البر واما والدي فانه هيأ نفسه واستعد لملاقاة الاخطار واما الضابط الفرنسوي فانه دنا من خادمنا سليم فسأله عنا فقال له سليم أهل اتيت بفرمان الامان قال نعم قد اتيت به محفوظاً بالتوثيق فاذهب الى مولاك واخبره بالخبر اليقين واعلمه ان جلالة السلطان قد امنه ادام الله سرير ملكه ووطد اركان دولته . فقال سليم وما البرهان على ذلك . قال هاك خاتم مولاي فانه كان اخبرني ان اتيت بالعفو اظهر لك الخاتم والا اعطيتك الخنجر فتعلمه بذلك ولما رأى سليم العلامة تيقن العفو لا سيما وهو يعهد في الضابط الامانة ويعرف انه امين عند سيده فسر وفرح ولم يعلم ان اظهار هذه العلامة من الضابط مكرٌ وخيانة وبينما الضابط يكلم سليم هجم اربعة رجال على سليم فقتلوه ولما عرف والدي بذلك امر خدمه وحواشيه ان تدافع عن بيته ففعلوا وانتشب القتال ودارت رحى الحرب وكان قد طلع من المراكب قوم آخرون فزاد القتال وانتصر والدي على اعدائه مراراً واهلك منهم جانباً ورماهم بالبحر الا انهم كانوا كثيرين وطاقت المراكب بالقصر وخشي والدي من الهلاك لما رأى ان العسكر في ازدياد الا انه اصيب برصاصتين فمات قتيلاً وتفرقت حواشيه وهجمت الاعداء الى القصر ونهبوا الخزائن وفي اوائلهم الضابط الفرنسوي الخائن وبعد ان انتهوا من هذه المعركة ذهبوا الينا وقبضوا علينا واخذني الضابط المذكور قهراً وانا ابكي وهو لا يشفق على بكائي حتى ادخلونا السرايا فوجدنا رأس ابي معلقاً بها ومكتوب تحته هذا رأس والي جانينا فلما رأته جدتي لم يمكنها ان تتمالك نفسها فصاحت ورمت بنفسها الى الارض وبعد دقائق قليلة قضت نحبها وبقيت انا مع الضابط المذكور وبعد ايام باعني الى تاجر ارمني وهذا التاجر اخذني الى القسطنطينية وباعني لصاحب المراحم والاحسان السلطان محمود خان . فبقيت حتى صار عمري ١٠ سنين واذ ذاك توفي حضرة السلطان فباعوني في السوق فاشتراني مولاي الكونت

وعاملني بكل شفقة واحسان فجزاه الله عني خيراً فهو بلا شك صاحب الفضل والجميل لانني عنده السيدة ولست المملوكة يقدم لي ما عز وهان ويكرمني اكرام البنين فاشكر الله الذي ختم مصائبي وافرج عني وعوض عليَّ والدي فقبح الله ذاك الضابط من خائن ناكث فانه عوضاً ان يطلب لأبي الامان وشى عليه وتعهد بتسليمه . فقال البير لا ريب في ان هذا الرجل يستحق القتل لا محالة

فهذا ما كان من هؤلاء . ولنرجع الى بيت دوفيلنور فانه بعد ان ذهب فرننـد يلعن تلك الساعة التي وصل فيها الى بيت دوفيلفور ويشكر الله الذي لم يتم اقترانه بحفيدة قاتل ابيه نزلت فالنتين الى الجنينة فوجدت مكسيمليان ينتظرها هناك وهو يتقلب على مقالي الجمر وآماله معلقة بين الرجاء واليأس فرأى علائم الفرح مطبوعة على جبهة فالنتين حتى انها من عظم فرحها رمت نفسها عليه دون ان تتكلم بكلمة . فقال لها بلهفة اخبريني يافالنتين هل لم ينته عقد الزواج وهل قدر جدك ان يقوم بوعده وهل لفرحك هذا من سبب موجب يفرحني ايضاً . واذ ذاك شرحت له بالتفصيل ما كان من امر جدها وكيف انه خلصها بعد ان كان قد فرغ رجاؤها وتأكدت انها بعد دقائق قليلة تكون لغيره . فتعجب مكسيمليان من وقوع هذه الحادثة وقال كيف يمكن لرجل عاجز مفلج ان يخلصنا من اعظم الصعوبات . فقالت اذاً اريدك ان تتعهد لي بانك ما بقيت حياً تخدم جدي هذا الضعيف بكل استطاعة . فاقسم لها بذلك ثم ودعها ورجع فرحاً مسروراً يشكر الله على انعامه

ولما دخلت فالنتين على جدها وجدت زوجة ابيها عنده وبعد ان جلست قالت خالتها لجدها يا عماه قد اوصيت باموالك جميعها لحفيدتك لما تأكدت اننا ستزوجها برجل تكرهه وقصدت ان تمنعنا بذلك من اتمام ذاك العهد وها قد تمت غايتك وبطل الزواج وذهب فرننـد خائباً فهل لا تبطل الوصية وتساوي بين ورثتك فنظر اليها نوارتيه متعجباً . ثم اشار باحضار الكاتب الشرعي

لحضر فاخبره بالطريقة الاولى انه ابطل تلك الوصية وانه يوصي بكل ماله وتركته الى فالنتين فكتب الكاتب الوصية حتى كادت تنفطر منها مرارة دو فيلفور وزوجته

وفي تلك الاثناء اتى دومرسرف الى دنكلار وقال ارجوك ياصديقي ان تسمح بزواج ابنتك على ولدي البير لانه قد طالت مدة الخطبة وآن اوان التزوج. فقال دنكلار ليس في نيتي ان ازوج ابنتي ولا والدتها الان تريدان تزوجها فالاوفق ان تصبر على ذلك . فقال دومرسرف لم هذا التطاول اهل في نيتك نكث العهد وقطع حبال الود وقد اخبرني الان الكونت دومونتو كريستو ان في عزمك فسخ الخطبة وترك ولدي وما ذلك الا احتقاراً بنا . فقال ليس في نيتي احتقارك انما لم ارَ بين ابنتي وولدك ما يكون بين الخاطبين من تمكن الحب والوداد واني لا ازال ارى ابنك يطلب البعد عن ابنتي ولا يرغب في ان يجتمع معها او يصرف وقتاً بمعاشرتها ولهذا ارى من المناسب دفع الاسباب فقال دومرسرف لم هذه الاهانة ومن اين تعرف بغض ابني وهو ينتظر بفروغ صبر ان ينتهي عقد الزواج ويجتمع بها . وكان يتكلم وعيناه تقدحان شرار النار . فاجابه دنكلار بتبسم ممزوج بهزء لا يجب يا حضرة الكونت ان تتكدر لاني قلت لك ان الان ليس وقت الزواج لاسيما وابنتي صغيرة وولدك ايضاً لا يزال صغيراً على انه لا مانع يمنع الزواج الا هذا فقط . ثم افترقا على رضى وقد وعد دنكلار دومرسرف المواعيد الكاذبة بينما يكون قد ربط عقد خطبة ابنته على دوفالكانتي

ولما مضى على ذلك اياماً قليلة كتب في احدى جرائد باريس مقالة مآلها الطعن في فرنان وحالته وتفصيل ما وقع له مع والي جانينا وذكر خيانته ولما قرأ دنكلار ذلك شكر الله وقال في نفسه الان قد تبينت وجهاً لفسخ خطبة ابنتي من البير فلا يمكنه بعد هذا ان يدعي الشرف او يفتخر او يرفع له رأس . واما البير ابن دومرسرف فانه بعد ان اطلع على ما هو مكتوب في

الجريدة ذهب الى الكونت صديقه فوجده في البستان فقال له اني اتيت لاستشيرك في امر مهم قال ما هو . قال اني عزمت على محاكمة مدير الجريدة وهو موسيو دوشان صديقي وصديقك وهاك الجريدة انظر ما هو مكتوب فيها فاخذها الكونت وقرأ :

« ان والي تلك الجزيرة قد مات وتشتت شمل عائلته وانتهب ماله وبيته وذلك بخيانة احد حواشيه وهو ضابط فرنسوي اسمه فرنان كان قد استخدمه وامنه على كل ما عنده حتى امنه على روحه وبعثه يستمد له العفو ويبين للسلطان براءته فغدر به ووشى عليه وباعه بيع العدو » .

ولما انتهى الكونت دومونتو كريستو من هذه المقالة قال لالبير ومن اخبرك ان الضابط الفرنسوي هو ابوك لانه يسمى فرنان وابوك اسمه دومرسرف فقال هذا هو ابي لان اسمه في الاصل فرنان ويعرفه كل الناس بهذا الاسم لا سيما وهو كان عند المذكور فيكون كلام الجريدة موجهاً اليه دون شك وعليه قد افتكرت ان احاكمه او بالحري ابارزه وتكون انت ياسيدي الكونت من الشهود . فاجاب الكونت اني اشور عليك يا البير ان لا تتعرض لموسيو دوشان مدير الجريدة بشيء مما ذكرت بل يجب ان تخابره باللطف لانه ربما وقع منه ذلك بالغلط وهو لايعرف ان فرنان والدك او ربما كان هذا الخبر هو صحيح فيمكنك بعد مخابرته ان تتوصل الى الموافق ولا ينبغي ان تعامله بالعدوان قبل ان تفهم منه المقصود . قال ان موسيو دوشان يعرف ان اسم ابي فرنان ولكن لا بد ان اذهب اليه وافهم المقصود وبعد ذلك يدبر الله ما يشاء .

ثم ترك الكونت وذهب الى محل ادارة الجريدة فوجد مديرها دوشان هناك فدعاه الى حدة وجلس معه وبعد التحية قال اني اتعجب منك ياموسيو دوشان كيف نشرت هذه الجملة في جريدتك وقصدت بذلك اهانتنا وكسر شرفنا وناموسنا مع انك مع اعز الاصحاب . فقال دوشان اني اعرف والدك

يدعى دومرسرف وليس فرنان ولو كنت اعلم انه هو نفس فرنان لما نشرت تلك الرسالة . فقال البير حيث علمت الحقيقة الان فارجوك ان تناقض ذلك محافظةً لشرفنا ونفوسنا . فقال دوشان ليس في وسعي المناقضة الا اذا تأكدت كذب الرسالة والا كيف اناقض الواقع فارجوك ان تصبر لاتحقق اليقين فاما اني اناقضه اذا كان كذباً والا فاني ازيد ما كتبته ولا اخاف من احد وذلك مراعاة لصالح الجريدة والرأي العام . فقال البير كيف يمكنك التحقيق ومن اين تعرفه قال يجب ان تصبر عليَّ خمسة عشر يوماً لاسأل من جانبنا وممن يعرف ذلك . قال لا يمكنني ان اصبر كل هذه المدة لاني اراها اطول من سنة . قال اذا كنت لا تصبر فافعل ما بدالك وحيث عاملتني بالقساوة وترغب في العداوة فلست بسائل عنك وعن غضبك . فلما سمع البير كلامه هاج به غضبه وخرج من هناك وهو لا يعرف يمنه من شماله ولا يرى طريقه فصادف مكسيمليان فلم يكلمه من غضبه وسار في طريقه

وكان ابن موريل اذ ذاك في غاية السرور والفرح لانه كان دعاه نوارتيه جد فالنتين فسار اليه وقبل يديه فلاقته فالنتين واجلسته بقرب جدها وقالت له اعلم ان جدي قد دعاك ليراك ويخبرك ان في عزمنا ننتقل الى بيت غير هذا لتزورنا فيه وتعلم انه يرغب فيك ويشتهي قربك فنظر مكسيمليان الى نوارتيه فاشار اليه نعم فخر اذ ذاك عند قدميه وقبلها وغسلها بدمع الفرح وبعد ان ودعها ذهب واقامت فالنتين عند جدها تخدمه واذ ذاك شعر الخادم بوجع رأس فاخبرها بذلك فقالت له هاك الكاس التي على الخزانة فان فيه شراب نافع باق عن جدي فاخذ الخادم الكاس وشرب ما فيه . وفي الحال وقع الى الارض وصاح اني اشعر بما يقطع احشائي وجعل يتقلب ويستغيث وفي تلك الساعة حضر الطبيب وطرق الباب فلم يصغَ اليه احد لان الجميع اشتغلوا بما اصاب الخادم وتعجبوا منه وشفقوا على حالته . وبعد برهة فتحوا الباب فدخل الطبيب ولما نظر الخادم اعطاه علاجاً ولكن دون افادة لانه

كان يصارع الموت . فسأل الطبيب ماذا عمل وماذا اكل فاخبروه انه شرب كاساً من حامض الليمون ممزوجاً بالسكر . فسأل من سقاه اياه فقيل له فالتين . فقال احد الخدم اني انا الذي اصطنعت ما كان في الكاس الى سيدي نوارتيه وليس فيه شيء مميت . قال الطبيب اهل وضعتها في محل قبل ان اتيت بها الى سيدك . قال وضعتها بالمطبخ قال اهل شرب منها غير هذا الخادم . قال لا اعلم انما انا عندما كنت احملها شربت منها لاعرف مقدار السكر فيها . قال وهل باق بالكاس شيء من الشراب المذكور . قال لا اعرف . فذهب الطبيب والخادم لينظر في الكاس فعارضته في طريقه زوجة دوفيلفور وقصدت ان تلهيه وتشغله فلم ينتبه اليها ولا سلم عليها بل ذهب الى ان اخذ الكاس ففحصها وعرف ما فيها واذ ذاك اتى اليه دوفيلفور وسأله عن سبب موت الخادم فقال انه مات بالمرض العادي المعروف في بيتك الذي مات فيه دومارند وزوجته . فلما سمع دوفيلفور هذا الكلام وعرف ان الخادم ايضاً مات مسموماً وقع الى الارض من عظم ما اصابه فلم يشفق عليه الطبيب بل قال له لا بد يا موسيو دوفيلفور من اخبار الحكومة بهذا الخبر واطلاعها ان في بيتك افاعي تفترس ارواح الناس دون شفقة ولا رحمة واني لاتعجب كيف تصفك الناس بالكمال ويركن اليك لانك وكيل الملك وتحامي عن المظلومين وانت تقتل النفوس تعمداً فهل عدت الان تقدر ان تحاولني كما حاولتني في دومارند وزوجته فهناك السم موجوداً في آنيتك وهاك الميت ملقى على الحضيض وقد تأكدت من الفحص يا دوفيلفور ان هذا السم قد وضع في هذه الكاس لابيك نوارتيه ولكن لحسن الحظ لم يشرب منه فاصاب الخادم بالصدفة او ان نوارتيه لم يؤثر فيه لانه اعتاد عليه وشرب منه غير هذه المرة مع الادوية والعلاجات وان كنت تشتبه ذلك فاني احل لك هذا الشراب واخرج لك منه السم . فقال دوفيلفور اني لا اصدق حتى اراه بعيني فاذ ذاك اخذ الطبيب قليلاً من شراب الليمون الباقي في الكاس وصبه على شراب

البنفسج وفي الحال استحال لونه الى الخضرة . فقال الطبيب هاك البرهان وهذا فعل السم فتأكد دوفيلفور صدق كلامه وخرّ على رجليه يقبلها وقال له اعذرني ياسيدي ولا تفضحني فاني لا اعرف لذلك سبباً ولا اعرف من الفاعل . وجعل دوفيلفور يبكي وينوح ويرجو من الطبيب الكتمان . فقال اني اصدق ان لا علم لك بذلك بل دعني اشير الى من يمكنه ان يفعل ذلك واكراماً لك لا اعلم به احداً بل تحترس أنت لنفسك وتعرف من هو العدو في بيتك . انما اذا اصيب احد في بيتك مرة اخرى فلا تدعني والا اكون مضطراً ان اخبر عنك وما سكت عن ذلك الا لعلمي بانك ستفحص عن الفاعل وتقتمه قال كيف تكون طريقة الفحص والكل في بيتي يظهرون العفة ويتبرأون من هذا الامر . قال ان الوقوف على ذلك سهل ولا ريب ان الذي يرث نوارتيه ودومارند وزوجته يكون هو الفاعل . قال ان ابنتي فالنتين هي الوارثة والارجح انها لا ترتكب هذه الجريمة لانها ذات نخوة ومروءة وشرف نفس ودين ولا اعرف بالحقيقة من الفاعل فتركه الطبيب ومضى وفكره وقلبه يدلانه ان ذلك عمل زوجته لعلمه بدهائها ومكرها وخبثها ورداءتها . واما بقية الخدم فانهم بعد ان دفنوا الخادم الميت اتوا زوجة دوفيلفور وقالوا لها ادفعي لنا حسابنا فاننا لا نقبل ان نستخدم في بيت لعبت ايادي الموت في اسياده حتى وصلت الى خدامه فقصدت ان تماطلهم فالحوا عليها فخافت من الفضيحة فصرفت لهم معاشهم وانصرفوا

وفي مساء ذلك اليوم كان دوفالكانتي (بنديتو) في بيت دنكلار يخابره بشأن زواج بنته . فاظهر له دنكلار انه يرغب من كل قلبه ان تكون ابنته زوجة له واتفقا ان دوفالكانتي يقدم عقد الزواج خمساية الف فرنك ويقدم دنكلار مثل هذا المبلغ لابنته على سبيل الجهاز وقال دوفالكانتي اني وان كنت اعلم ان ابنتك هي الوارثة لكل غناك انا لا اطمع في شيء من هذا لان عندي مال كثير يبلغ اكثر من ثلاثة ملايين فرنك وحيث قد احببت

ان اعيش مع والدي في هذه البلاد بعثته الى ايطاليا ليبيع كل املاكه ويأتي بكل ما هو عنده هناك فنضع المال بالبنك واعيش مع والدي وزوجتي من الفائض وهو يكفينا بدون شك وتبقى ابنتك امامك واكون انا بين يديك في كل حياتي فسر دنكلار من كلامه وصار يناديه يا صهري ودوفالكانتي يناديه يا عماه . ثم ودع دوفالكانتي دنكلار وخطيبته وركب عربته ورجع الى بيته ولما دخل قال له الخادم اعلم يا سيدي انه بعد ذهابك بقليل اتى لهنا شخص مسن عليه سمة الشقاوة والشر وهو نفس الرجل الذي لاقانا يوم كنا خارجين من بيت الكونت دي مونتو كريستو وعلى ما اظن ان اسمه كادروس فانتظرك قليلاً ثم ذهب . قال بنديتو الم يقل لك ماذا يريد . قال كلا بل اعطاني هذه الرسالة . فاخذ الرسالة وقرأها واذا فيها هذه الكلمات

ارجوك ياصديقي بنديتو ان تحضر نهار غدالى المحل المعهود ليتم سروري باجتماعك وانال الحظ الوافر واكرر رجائي بان لا تنسى ذلك ولا تترك زيارتي فان الامر ضروري جداً وحضورك يكون الساعة التاسعة قبل الظهر

في الوقت المعين خرج بنديتو من بيته وسار الى كادروس فتلقاه بالترحب واعتبره غاية الاعتبار . وبعد ذلك قال له بنديتو ما سبب هذه الدعوة يا كادروس قال هي لاخبرك ان المائة وخمسين فرنك لم تكفني قط وانت غرقان بالدراهم وعندك الخدم والحشم والقصور ومجالس الكونتيين والامراء فليس ذاك من العدل . وقد بلغني انك خطبت بنت دنكلار . ولهذا ارجوك ان تزيد معاشي والا ابحث الاسرار واخبرت عنك دنكلار ولئن كان يدعى الان بالبارون الا اني اعرفه وقد كان جاري في مرسيليا وسكرنا كثيراً معاً في خمارات عديدة ولهذا يصدقني هذا ولو كان عنده انسانية لكان دعاني في خطبة بنته وانا في عرسي عزمته وحضر وليمتي ولكن حال الزمان واكد يابنديتو ان كل هولاء البارونات والجنراليات اعرفهم جيداً انهم من اللصوص واولاد الحرام ولا سيا دنكلار وفرنان واما انت فقبل ان تصير مثلهم انصفني

وعاملني معاملة الصديق ولا تتركني والا فاقودك الى الحبوس وتفقد عنك هذه النعم والخيرات اهل نسيت انا كنا مسجونين في قلعة طولون مع المجرمين وانا هربنا ولا يزال التفتيش علينا وهل لا تعتقد اذا اخبرت دنكلار باحوالك واعلمته ان لا اب لك لا يعطيك ابنته . فلما سمع بنديتو كلامه لعبت به نار الغضب ولكن اخفى ما بقلبه وقال له ماذا تريد الان . قال ثلاثين الف فرنك اضعها بالبنك واعيش من فائضها وهذا مبلغ لا يصعب دفعه على الامير دوقا الكانتي الايطالي فادفعه خير لك . قال هذا المبلغ كثير قال لابد منه وان كنت لاتدفعه فاخبرني . قال امهلني اياماً قليلة لاحصل عليه . قال اني امهلك قدر ما تريد انما تدفع لي خمسمائة فرنك كل شهر لبينما تدفع لي المبلغ كله . فقبل دوقا الكانتي بهذا الشرط خوفاً من كسر اسمه وضياع خطيئته ونقده خمسة وعشرين ليرة فرنسوية وامره ان يأتيه بخمر ليصرفا الوقت فاجابه واحضر الخمر وجعلا يتعاطيانه وقد اضمر بنديتو الشر لكادروس وقال له لا بد من دفع المطلوب لاني قد وصلت الى ابي وعرفته وكنت قبلاً اجهله وهو رجل جليل . قال من هو الذي تعني عنه . قال هو الكونت دي مونتو كريستو الذي لا يوجد في هذا الزمان اغنى منه ولا اكرم من يده يعطي ولا يسأل كأنه البحر اذا سال فقال كادروس من هو هـذا الكونت واين يسكن وهل بيته في المدينة او خارجها . فقال بنديتو اهل في نيتك ان تسرقه وترجع الى صنعتك القديمة . قال ليس في فكري شيء من هذا فاعلمني بمكان سكنه ولا بأس عليك من شيء . قال ان محله في بستان النزهة خارج باريس . قال وهل يبقى كل ايامه في ذاك القصر . قال يتركه في اكثر الليالي وينام في قصره الآخر داخل المدينة ويذهب معه كل خدمـه حتى لا يبقى في القصر احد . قال هل في ذاك المحل كلاب . قال ليس شيء من ذلك ولكن قـد تأكدت انك مزمع على سرقة هذا الكونت فاخبرني هل تقـدر على ذلك وهو امر صعب قال هذا لا يعنيك انما اريد ان ترسم لي المحل من داخـله

وخارجه وعلى تدبير الامر . قال لايمكنني ان اشترك معك في ذلك ولكن ارسمه لك كما تريد ثم رسمه له بقلم رصاص وافهمه داخله وخارجه فاخذ كادروس الورقة ووطد نفسه على انه يسرق الكونت ليلاً وظن في نفسه بلوغ الآمال . ثم ودعه دوفالكانتي ورجع الى محله ومن هناك حرر رسالة الى الكونت بدون امضاء يقول له فيها

اعلم ياسيدي الكونت ان في هذه الليلة قد عزم احد اللصوص ان يدخل قصرك خارج باريس ويسرق امتعتك وما تصل اليه يديه فاقتضى ان اطلعك على الواقع لتتحذر قبل الوقوع بالخطر

فلما اخذ الكونت الرسالة وعرف ما فيها ظن ان تلك حيلة من اللصوص فلاح له ان يطلع عليها الحكومة الا انه امتنع وقال في نفسه لا بد لي من مجازاتهم بيدي فاني اقدر عليهم وحدي

وفي ذاك الليل امر الكونت كل خدمه ان تنزل الى قصره داخل باريس فذهبوا ولم يبقَ عنده سوى خادمه علي الاسود ولما انقضت السهرة اخذ سلاحه لحشاه رصاصاً وباروداً وجلس منتظراً وكذلك خادمه علي اخذ بلطة كان احضرها معه من مدينة تونس ولا زالا ينتظران الى ان صارت الساعة عشرة فلم يحضر احد فتردد الكونت وظن ان ذلك كذب ومحال وعول على النوم الا انه صبر الى ان صارت ١١ فنظر الى جهة البستان فوجد شخصاً آتياً تحت ذلك الظلام فمسك الكونت فرده وامر خادمه ان يرفع البلطة ودنا من نافذة مطلة على البستان فوجد الشخص يتقدم شيئاً فشيئاً ونظر من ورائه شخصاً آخر لكن بعيداً عنه لا يكلمه فجعل ينظر الى الشخص الاول دون ان يعرفه فرآه قد وضع سلماً وتسلق الحائط حتى ادرك نافذة احدى الغرف التي كان رسم له اياها بنديتو واخبره ان صندوق المال فيها وفي الحال اخرج من جيبه كماشة وجعل يخرج مسامير الشباك حتى فتح منه محلاً لدخوله ثم اخرج فص خاتم ومال به على زجاج الشباك فكسره وبعدئذٍ دخل الى الداخل فوجد

الصندوق مقفلاً فاراد ان يحمله فلم يقدر فعمد على كسره الا انه قبل ذلك دنا من الباب وهزه ليعرف اذا كان مقفلاً فوجده مقفلاً فعاد الى الصندوق واما الكونت فانه لما رآه دخل الغرفة حضر من الدار ونظر من ثقب الباب فوقع نظره على كادروس فعرفه على نور المصباح وفي الحال اسرع الى احدى الغرف فنزع ثيابه ولبس ملابس الخوري بوسيوني وأتى من الباب ففتحه بسرعة ودخل بغتة . فنظر اليه كادروس وفي الحال عرفه فصاح ألست الخوري بوسيوني . قال بلى فما هذا العمل يا كادروس هل لا تكفيك الجوهرة حتى اتخذت اللصوصية مهنةً وعمدت على سرقة الكونت دي مونتو كريستو ولو كان الكونت الليلة هنا لكان دون شك يعدمك الحياة ولكنه قد ذهب الى قصره داخل باريس مع خدمه وبقيت وحدي هنا . فقال ارجوك يا سيدي ان تغفر لي وتسامحني فانت عاملتني في اول معرفتك بي باللين والرفق والآن ارجوك اتمام جميلك معي ومعروفك بمسامحتي لان الضرورة احوجتني واذا اطلعتك على قصتي فانك تعذرني . فقال الخوري لا خوف عليك فاحكِ ما جرى لك واين فقدت الجوهرة فانني اسامحك واشرط عليك عدم العودة الى مثل هذه الافعال القبيحة . فقال حباً وكرامةً ثم دنا كادروس من الكونت وفي ظاهره ان يخبره بقصته ولما قرب منه اخترط خنجراً وضربه به في صدره وقد قصد ان يقضي عليه لما اخبره انه وحده هناك الا انه صادف فشلاً فان الضربة وقعت على المجن لان الكونت كان يلبس دائماً درعاً تحت ملابسه حرصاً من الغدر به . فلما نظر ما فعل كادروس ضربه بيده فالقاه الى الارض ونزع منه الخنجر ووضع رجله على رأسه وقال له الان اسحق رأسك لانك شرير وما علاج الشرير الا الموت . فصاح كادروس وقد اظهر الندامة العفو يا سيدي فقد اخطأت اولاً وثانياً فارحمني لان الله رحوم . فقال لا خلاص لك من تحت رجلي ما لم تطلعني على خبرك وتعلمني عن الذي دلك الى قصر الكونت واوصلك اليه . قال اعلم يا سيدي انك بعد ان اعطيتني الجوهرة

وذهبت لاح لي ربما تكون من الزجاج المصنع فذهبت الى السوق وعرضتها للبيع فاخبروني انها جوهرة وعاهدني باعة الجواهر انه يذهب الى بيتي ويشتريها مني ولسوء حظه حضر في ليلة شتاء وعمل حيلة عليَّ واشتراها مني بمبلغ خمسة واربعين الف فرنك ولكثرة الامطار لم يمكنه ان ينصرف تلك الليلة فطلب ان ينام عندي وفي الليل وسوست اليَّ زوجتي فقتلت الرجل طمعاً بماله واخذت المال والجوهرة وهربت الا ان البحث والتفتيش من الحكومة لم ينقطع حتى مسكوني فاودعوني السجن وترجح لهم اني القاتل فحكموا عليَّ بالسجن المؤبد وارسلوني الى طولون وهناك نفذ ما بقي معي من الدراهم وكان في السجن شاب شرير اسمه بنديتو فتوافقنا وتيسر لنا الفرار بواسطة رجل انكليزي اعطانا اوائل حديدية فهربنا من السجن وأتينا الى هنا ورفيقي هو الذي اهداني الى هذا القصر ورسم لي داخله وخارجه واطلعني على كل ما فيه. فقال الخوري وما صنعة هذا الشاب. قال ليس له صنعة معروفة الا انه يدعي انه دخل في صحبة الكونت دي مونتو كريستو المذكور وعلى قوله انه تبناه واوصى له بجميع تركته بعد موته وافادني ايضاً ان الكونت رتب له اربعة الاف فرنك في الشهر وكل ذلك من الامور العجيبة وافادني ايضاً انه خطب بنت دنكلار وابوها يظن انه من امراء ايطاليا فاغراني بسرقة هذا الصندوق وان نقتسمه بالاسواء وقد سمى نفسه بالامير دي فالكانتي. فقال الخوري حيث الامر كما قلت فاكتب قصة هذا الغلام في ورقة وارسلها الى دنكلار على سبيل الرسالة. فاخذ كادروس ورقة وكتب

اني اخبرك يامسيو دنكلار انك مغشوش بالذي خطب ابنتك وليس هو امير بل لص كبير فانه كان في سجن طولون مسجوناً اذ حكم عليه بالحبس المؤبد وقد هرب منه مع رفيقه كادروس

فقال له الكونت امضها باسمك قال لايمكنني ان امضها وارمي نفسي بيدي فاذا عرفت الحكومة بوجودي ترجعني الى السجن ولا يعود يمكنني

الفرار فيما بعد قال يمكنك ان تذهب الى اسبانيا والبلجيك وانا ارسل لك مصروفك في كل سنة بقدر الحاجة . فقال كادروس اذا امضيت هذه الورقة تصفح عني وتسمح لي بالخروج دون ادنى معارضة . قال نعم اني لا اعارضك ابداً انما يجب ان تخرج من المحل الذي دخلت منه . فامضاها واسرع الى الطاقة وهو لا يصدق بالنجاة ونزل منها حتى انتهى الى ارض البستان وما استقر حتى سمعه الكونت ينادي اني وقعت بيد اللصوص . وذلك ان دوفالكانتي قد تأثره حتى رآه صعد القصر وكان في نيته ان يرميه في يد الكونت ليظهر له صدق الرسالة . وقد قال في نفسه ان تم له التوفيق وسرق الصندوق قتلته واخذته منه والا فيكون وقع في ايدي الكونت فيعدمه الحياة واتخلص منه وعند ما رآه قد عاد دنا منه وضربه بالخنجر في صدره ورأسه وفر هارباً . ولما سمع الكونت صياحه اسرع مع خادمه علي الى معونته فوجداه ملقى على الارض مضرجاً بالدماء وهو على آخر رمق . وفي الحال ارسل الخوري فدعا المدعي العمومي وطبيب الحكومة للفحص عن كادروس وقبل ان حضرا قال الخوري الا تعرف من عمل معك هكذا . قال احضر لي ورقة لاكتب بها قراري قبل موتي ليؤخذ ثاري من عدوي لان الذي فعل معي ذلك هو بنديتو الشرير ولا شك انه دلني على هذا المكان وفي نيته هلاكي وموتي . قال الخوري اني كنت اعرف انه سيصيبك ذلك لاني شاهدت لصاً آخر يتأثرك بينما كنت آتياً من البستان ولذلك اشترط عليك ان ترجع من حيث اتيت . فقال كادروس اذ قد عرفت ذلك فلما غششتني فبالحقيقة انكم زمرة الكهنة مجبولون بالشر تتظاهرون بعمل الخير وليس فيكم من الخير مثقال ذرة فقبحكم الله وقبح اعمالكم . قال قصدت ذلك لما رأيتك غدرت بي وضربتني بالخنجر ولو لم يمانع عني الدرع والا اهلكتني وحيث الآن لا مندوحة من الموت فاستغفر ربك واعترف بكامل ذنوبك لعله يقبلك ويصفح عن آثامك الكثيرة . قال لا اريد استغفر ربي ولا اطلب

صفحاً لا سيا وعنده ابالسة وشياطين مثلكم فاعطني ورقة لاكتب تقريري واخبر عمن ضربني ورام قتلي . فقال الكونت اني اقسم بتربة ابي الذي رافقته يا كادروس طول حياته لابد من اخذ ثارك من عدوك والاقتصاص لك منه . قال من هو ابوك الذي تدعي اني رافقته طول حياته وانا لا اعرف لك اباً ولا اماً . قال الان اعرفك بنفسي فاشكر الله الذي منَّ عليك بموتك بين يدي ثم نزع الخوري قلنسوته وثوبه وقال انظر يا كادروس اذا كنت تعرفني فاحدق به ثم صاح عرفتك يا ادمون هل لا يزال في قيد الحياة . قال اني لم اتركك فانا الخوري الذي اعطيتك الجوهرة اعانة لفاقتك وفقرك وانا الانكليزي الذي دفعت لك الالات لتنجو من سجنك وانا هو الكونت دي مونتو كريستو الذي في زعمك ان تسرقه فرفع كادروس اذ ذاك عينيه نحو السما. وقال اشكرك يا ربي فانك اكرمت عليَّ ان اموت بين يدي صديقي الكريم فاغفر اللهم ذنوبي واقبل نفسي عندك . ثم اتاه ادمون بورقة فكتب على نور المصباح الذي كان احضره الكونت معه عند ما نزل مع علي الى البستان ما يأتي :

اني اتيت لسرقة بيت الكونت دي مونتو كريستو وذلك باتفاق بنديتو الذي كنت مسجوناً معه في سجن طولون وهربنا معاً ولما لم يتيسر لي طريق السرقة رجعت الى البستان لارجع الى بيتي ففاجأني بنديتو المذكور الذي ليس له اب معروف وضربني ضربات متوالية ولذلك اقر ذلك لجانب الحكومة لتأخذ لي بثاري من هذا الشقي

وبعد قليل اسلم روحه بعد ان ادركه المدعي العمومي والطبيب وسألاه عن حاله فاشار لهما بما في الورقة فاخذت جثته ووضعت عند نهر بباريس لتأتي اقاربه ومعارفه فتأخذها وشاعت هذه الاخبار في كل باريس بان كادروس كان قد اتى ليسرق قصر الكونت فقتله رفيق له كان ينتظره في البستان. وعلى ذلك اتى كثيرون من معارف الكونت وسألوه عن الواقع فقال لهم ان ذلك صار بسماح من القضا. والقدر فاني كنت غائباً تلك الليلة عن قصري

خارج باريس ولذلك ابقيت فيه صديقي الخوري بوسيوني للمحافظة حيث الخوري نفسه يرغب دائماً ان يقيم في ذاك القصر . وكان هذا اللص قد انتهز فرصة غيابي وقصد نهب قصري الا ان الله رد كيده في نحره فانه قتله رفيق له وكان الكونت يقول ذلك ليدفع عن نفسه الالتباس ولا سيما ان الحكومة تأكدت ذلك لانها تعرف شقاوة كادروس ووقوعه مراراً في يدها قبل ذلك وهربه من سجن طولون ومما زادها تأكداً ان البوليس وجد مع كادروس مفاتيح وآلات للكسر ولسحب المسامير ومصباحاً مخصوصاً بمهنة اللصوص وعلى ذلك اخذ البوليس بالتفتيش على بنديتو الشقي

كل هذا وموسيو دنكلار مشتغل بتجهيز بنته ومسرور بصهره الجديد وهو من الفرح بمكان رفيع لا يعلم ان صاحب ذلك الفعل هو صهره بنديتو

واما البير دومرسرف فانه ترك خطيبته ولم يعد يفتكر فيها وبات ينتظر نهاية المدة التي وعده موسيو دوشان مدير الجريدة انه يستخبر بهـا عن حالة والده ولما انتهت المدة المعينة اتى الى محل الجريدة فصادف دوشان . فقال له هل عزمت على مناقضة ما كتبت قال لا يمكني المناقضة والخبر اكيـد . قال اذا كنت لا تناقض فلا بد من المبارزة فعين شروطها . فقال لا تجهـل يا البير فاني اعدك من اعظم الاصدقاء واكد اني لما قلت لك ان بعد ١٥ يوماً اجاوبك ذهبت الى جانينا وفحصت عن هذا الامر وقد تأكدته واذا كنت لا تصدق سفري فهاك تذكرة الطريق . ثم دفع اليه التذكرة فتحقق ذهابه الى جانينا فقال له ماذا تبين لك عن والدي . قال اني اخجـل ان اقوله لك ولكن خذ هذه الورقة ففيها صورة ما وقفت عليه . ثم اعطاه ورقة ففتحهـا فوجد مكتوباً فيها :

ان الرجل الفرنسوي الذي كان كاتم اسرار والي جانينا هو الذي خانـه وباعه لعساكر ساكن الجنان السلطان محمود خان بخمسة آلاف ليرا وهو كان سبب موته وبيع بنته وزوجته

وكان على هذه الورقة شهادة اربعة اشخاص من شرفاء المدينة ومصادق عليها من قنصلية فرنسا فيها . فلما قرأ البير هذه الورقة ضاقت الدنيا في عينيه وهانت نفسه عنده وتأكد سقوط شرفه . فقال له دوشان هل علمت الحق الان وتأكد لك ان ما كتبته صحيحاً . قال نعم قال اني لم امتنع عن مبارزتك الا لصداقتك لا خوفاً منك . فقال له البير سامحني واعذرني فان شرفي عزيز عليَّ ولا بد من قتل نفسي والبعد عن هذه الديار هربا من العار . فقال دوشان لا بأس فيها بنا لنذهب الى الكونت دومونتو كريستو ونصرف وقتاً عنده عله يذهب عنك ما لحق بك من هذه الحادثة . ثم اخذه وسار حتى دخلا على الكونت فوجداه متهيئاً للسفر فسلما عليه فترحب بهما وبعد ان جلسا قال لهما اني اراكما عدتما الى الصحبة بعد تلك العداوة . فقال دوشان ان الامر قد هان وعرف كل منا ذنبه مع الآخر ولذلك اتينا نقيم عندك وقتاً لترفع الاحقاد من بيننا ويرجع الحب الى اصله فوجدناك على اهبة السفر فالى اي جهة تقصد . قال اني ازمعت ان اذهب الى نورمنديا فاقيم بها اياماً للنزهة وحيث ان البير متكدر فلا بد لي من اخذه معي ليذهب عنه ما اصابه . وكان البير يتمنى السفر والبعد . فقال اني اذهب معك دون شك . قال اذهب واخبر امك وات عندي في هذا المساء حيث مزمع فيه على السفر . فقال ان والدتي ترغب جداً في ان اكون معك ولذلك سأذهب الى تهيئة لوازمي وارجع اليك. ثم ودعه وسار وكذلك دوشان وكان البير مسروراً بهذا السفر وهو لا يعلم ان ذلك حيلة من الكونت ليبعد هو عن باريس ويبعده معه لمقاصد خصوصية ستذكر . وفي المساء اتى البير الى الكونت وسافرا معاً الى نورمنديا فنزلا في لوكندة شهيرة وصرفا ثلاثة ايام في سرور وافراح وتنزه وفي صباح اليوم الرابع خرج البير من باب غرفته فوجد خادمه آتياً على جواد ينهب الارض نهباً وهو يلهث والعرق قد غسله فارتبك البير من هذا وتيقن ان خادمه ما اتى في مثل ذاك الوقت الا لامر خطير ولذلك وقف باهتاً محيراً حتى قرب منه

الخادم فدفع اليه رسالة فقرأها وفي الحال تغيرت منه الاحوال وذهب الى الكونت استأذن منه بالرجوع الى باريس لداعٍ عظيم كان يعلمه الكونت وفي الحال ركب وعاد مسرعاً حتى وقف بباب محل موسيو دوشان فلاقاه وعليه لوائح الكدر . فقال له ما هو السبب يا صديقي دوشان حتى دعوتني بالسرعة الكلية . قال هو انه بعد سفرك قرأت في احدى الجرائد نبذة هذا ملخصها :

انه منذ اكثر من ١٥ يوماً اعلن ان الرجل الذي خان والي جانينا وباعه بيع العبيد اسمه فرنان . والان قد بلغنا ان هذا فرنان قد غير اسمه فدعا نفسه دومرسرف وهو من وكلاء المملكة ولذلك يجب على الحكومة الفرنسوية الانتباه والحذر من قبول هكذا رجل خائن في دوائرها السياسية

فلما قرأت يا اخي هذه النبذة خفت من ان تصغى الحكومة الى ذلك فذهبت الى مدير الجريدة وسألته لِمَ كتب ذلك الا يخشى اذا كان ذلك كذب يضر به وربما تعطل جريدته . فقال اني لا اخشى من ذلك لان بيدي سند راهن وعندي البراهين القوية فخرجت من هناك وانا في كدر لا يوصف فبلغني ان وكلاء المملكة طلبوا من ابيك ان يظهر براءة نفسه عما اتهم به في الجرائد والا فيكون بالحقيقة خائناً فينبغي رفضه . فقال لهم والدك ان كل ما نسب اليَّ هو زور وبهتان فعلته الاعداء اللئام ولذلك قررت الوكلاء تعيين عمدة خصوصية لفحص هذه المسئلة حتى اذا تبرأ ابوك من تهمه باخذ مضبطة بيده ووعد والدك انه يظهر للعمدة سنداً مشيراً الى براءته ثم انصرف لاحضار السند وشاع هذا الخبر حتى عرف به الرفيع والوضيع وتعينت لجنة الفحص واجلت الى غير يوم وهو اليوم الثاني من سفرك

الفصل السابع

في قيام لجنة التحقيق وظهور عائدة اليونانية ووقوع العداوة بين الكونت والبير

وكان دوشان يتكلم والبير يسمع وقلبه يتقطع وقد كاد من الغيظ ان يختنق . ثم دام دوشان في حديثه . فقال ولما كان اليوم التالي اجتمعت اللجنة المعينة وجلس الرئيس في صدرها واجتمعت الوكلاء والاعيان وكثير من الاهالي وكتبة الجرائد وكنت من جملة الحاضرين وكان عـدد المحققين ١٢ نفساً من الوكلاء والباقون اقاموا للسمع فقط ولما انتظمت الجلسة افتتح الرئيس الكلام مع والدك بقوله اعلم يا دومرسرف ان الجرائد قد اشارت اليك بانك خائن وبينت سبباً لخيانتك وهو انك بعثت من قبل مولاك والي جانينا لتطلب له العفو من جلالة السلطان محمود العثماني . فذهبت الى القسطنطينية ونسبت الى الوالي تهمة العصيان وتعهدت بتسليمه واتيت بالعساكر فدخلت بيت سيدك وقتلته وبعت زوجته وبنته بيع الجوار فهل ذلك صحيح او بيدك ما يدحض ذلك فقال والدك ان بيدي اوراق وشهادات تبين لمعاليك كذب هذه الاشاعة ثم دفع للرئيس اوراقاً لا نعلم ما فيها فدخل الاعضاء الى غرفة المذاكرة ففحصوا الاوراق مدة ثم عادوا الى الجلسة وبيدهم مضبطة اعلنوا انهم اعطوا قراراً بتبرئة والدك ومآل القرار انه تبين من الاوراق التي بيد الموسيو دومرسرف انه لم يخن والي جانينا بل سعى في خلاصه بكل جهده ولما لم يقدر على ذلك خاطر بنفسه حتى قدر ان يخلص زوجته ملكة وابنته عائدة . ثم اخذ كل من الاعضاء يمضي المضبطة بالتتابع حتى انتهى الدور الى الرئيس فنظر في المضبطة ثم قال لوالدك انك قلت انك خلصت زوجة الوالي وبنته فاين هما الان وهل يمكنك ان تأتي بشهادة منهما . قل

لايمكن ذلك لتأكدي موتها . فامعن الرئيس برهة ثم قال انه موجود في هذا المكان من يقيم عليك الحجة ويثبت خيانتك فارتجف ابوك وقال اذا كان يوجد من هو كذلك فليحضر امامي ويقدم بوجهي دليله . واذ ذاك وقعت غوغاء بين الحاضرين فقرع الرئيس الجرس فرجعت الحال الى السكينة والهدوء . ثم قال الرئيس هو شخص مقيم خارج الباب وقد اعطاني هذا هذا العرضحال كي اقرأه علناً ليعرف به الجميع وهو :

المعروض الى لجنة وكلاء فرنسا المحترمين ان فرنان الذي اسمه دومرسرف ينكر خيانته لمولاه والي جانينا فاسترحم صدور امركم بدخولي لاقدم البرهان عليه بوجهه وابين للجنتكم الموقرة انه خانه وباع حريمه الى حضرة جلالة السلطان محمود خان

فلما قرأ الرئيس هذا العرضحال التفت الى دومرسرف فوجده في اضطراب وقد علا وجهه الاصفرار ونظر الحاضرون الى جهة الباب منتظرين دخول الشخص المذكور واذ ذاك أمر رئيس الوكلاء مباشر المجلس ان يأذن مقدم العرضحال بالدخول وبينما القوم محدقون اذ دخلت عائدة اليونانية وهي تحت ملاية من الحرير تغطيها من رأسها الى قدمها والروائح العطرية تفوح من ثيابها الديباجية وقد انبهر من حسنها كل من حضر في ذلك المحضر . واما والدك فقد كاد ان يذوب في ثيابه وتأكد انه افتضح لا محالة . ولما وقفت عائدة تجاه الرئيس قال لها انت مقدمة هذا العرضحال . قالت نعم ياسيدي قال وما هو البرهان الذي تقدميه علي باني خان والي جانينا وبعت حريمه وقد قصد الرئيس بذلك ان يغالطها . فقال حاشاك ياسيدي من ذلك فاني اقصد فرنان الجالس في هذه الناحية . ثم اشارت الى والدك . فالتفت اليه الرئيس وقال له ما تقول في من يدعي عليك بوجهك الان . قال لا اعرف هذه البنت ولا نظرتها قبل الان . فقالت انا اعرفك يا فرنان بانك ارتكبت اقبح الاعمال وبعت الوالي بعد ان ركن اليك وشتت حريمه ونهبت امواله .

فقال لها الرئيس هل عندك على ذلك البرهان قالت واي برهان اصدق مني وانا عائدة بنت الوالي المعدوم وقد باعني هذا الخائن الى مولاي المرحوم السلطان محمود خان . فقال الرئيس وما الذي يثبت لنا انك بنت الوالي المذكور قالت ان بيدي اوراق معموديتي وغير اوراق مما يؤكد ذلك فضلاً عن ان فطنتكم ونظركم فيّ وفي حالتي يؤكد ان لكم ذلك وحالة فرنان تبين لكم انه خان والدي وفعل ما فعل والدليل الاكبر ان في يده اليمنى جرح من تلك الوقعة فاذا نظرتم فيه تتأكدون وان كان يزعم اني قد هلكت فان الله لايتغافل عن المظلومين ولا يترك الايتام فقال الرئيس قد قلت قبلاً ان فرنان باعك الى السلطان محمود ونحن نراك هنا فمن الذي اتى بك من القسطنطينية الى باريس قالت لما باعني هذا الخائن الى ذاك السلطان المعظم بقيت بين جواريه في عز وانعام الى ان وافاه الاجل وانتقل الى الجنان فباعوني بعد ذلك بايام في السوق فاشتراني رجل ارمني والارمني باعني الى الوالد الحنون والاب الشفوق الكونت دي مونتو كريستو وهذا اتى الى باريس فاتيت معه ولا ازال عنده اعامل بالاكرام والانعام فقال وهل ان الكونت هو الذي بعثك لتظهري لنا نفسك . قالت كلا فان سيدي الكونت قد ذهب من يومين الى نورمنديا وتركني في البيت وقد سمعت الخدم يتحدثون بحديث فرنان فاستعلمت منهم فاخبروني بما نشر عن دومرسرف هذا في الجرائد واخبروني ان حضرة وكلاء المملكة الذين يعتبرونه شريفاً مثلهم قصدوا محاكمته ليبرئوه او يطردوه من بينهم فقصدت اطلاعكم على الحقيقة لتكونوا على يقين ولو كان سيدي الكونت موجوداً لما سمح لي ان احضر في مثل هذه الجلسة . واذ ذاك دخل كلامها في اذهان الحاضرين وحل محل الصدق . وقبل ان ينهوا الحكم خرج ابوك من المجلس وعلائم الخجل والكآبة مرسومة على وجهه حتى خيل للحاضرين ان عمله هذا وخروجه وسكوته دليل اعترافه بكل ما تدعيه عائدة اليونانية . ولما ظهر لي ان

اباك لحق به العار ورفض من مجلس الوكلاء وتحدث بامره الرفيع والوضيع بعثت اليك لتحضر حالاً وتنظر في تدبير هذا الامر الخطير

فلما سمع البير كلام دوشان صديقه اطم على وجهه وصاح من ملء رأسه هذه هي المصيبة الكبرى هذا هو العار العظيم . اين الموت فليعجل عليَّ لاتخلص من الافتضاح فياليت اعرف من هو ذاك العدو الذي اوصلنا الى شفير العار والمذلة فالويل له . فقال دوشان الا تعرف يا البير عدواً لابيك . قال ان اعداء ابي كثيرون كما ان اصحابه كثيرون فان كنت تعرف او تسمع بان له عدواً ابنه . قال اني لما كنت في جانينا هذه المرة لافحص عن ابيك كما كنت وعدتك وذلك بمدة ١٥ يوماً سألت بعض ذوات جانينا مستفهماً عن حالة ابيك فاخبرني انه اتاه كتاب من موسيو دنكلار يطلب به الاستفهام عن ذلك ولهذا لا بد من ان يكون دنكلار هو السبب في اشاعة هذه الاخبار وهو الذي استعلم من اهل جانينا لغاياته الذاتية . فضرب البير برجله الى الارض وقال صدقت يا موسيو دوشان فان اصل هذه الاشاعات كلها لا بد ان يكون دنكلار لاني اعلم انه عدو الد فلهذا لابد من قتاله فاما ان يقتلني واما ان اعدمه الحياة فهيَّا يا صديقي سر معي اليه . فسارا ولما دخلا على دنكلار لاقاهما بالبشاشة والترحاب فقال له البير دع عنك المكر والخداع وعين مكاناً ووقتاً للبراز فلا بد لي من هدر دمك واعدام اسمك فقال دنكلار لاي سبب نتقاتل ونحن اخوان وما بيننا قط عداوة . قال كيف لايكون بيننا عداوة وانت الذي كنت السبب في كسر شرفنا واضاعة ناموسنا وسالت من جانينا عن ابي . قال نعم ولي بذلك الحق الاكبر لانك مزمع ان تأخذ بنتي ولهذا لا بد لي من السوءال والفحص وقد بعثت استعلم عن ابيك من جانينا باشارة صديقك الكونت دو مونتو كريستو لانه هو الذي نبهني الى ذلك . على اني لم اظهر انا هذا الخبر بل هو في جواب ابقيته عندي ولا اعلم من اشاعه . فقال دوشان قد ثبت عندي ان العدو هو

الكونت لا ريب فقم بنا لنذهب اليه . وبينا كانا في الطريق قال البير لدوشان اني كنت لا اتصور ان الكونت يكون عدوي وذلك من الصعب غير اني بعد التبصر والتفكر تبين لي من اعماله انه هو اصل هذه الاشاعات لاني كنت عنده ذات يوم فطلبت الدخول على جاريته فاشرط عليَّ ان لا اذكر اسم ابي لانها بنت والي جانينا وكان عنده علم بكل ذلك ومما زادني وضوحاً انه لمكره وخبثه اصحبني معه في سفرته بعد ان ترك عائدة وعلمها ماذا تفعل كي لا اشتبه ان له اطلاع بذلك وكي تشيع هذه الاخبار في باريس وانا معه في غير جهة . قال عليك بالصبر لتعرف جرثومة العداوة فلما وصلا بيت الكونت وجدا الخادم عند بابه فسألاه اذا كان حضر الكونت من السفر قال نعم حضر وهو الان في الحمام يزيل اوساخ السفر وبعده يأتي فراشه ليأخذ راحته بالنوم وقد امرني بعدم مقابلة احد في هذا اليوم . قال البير ان الامر مهم ففي اي وقت يمكن مقابلته . قال يمكنك تقابله في التياترو هذه الليلة والا فاصبر الى الغد فرجعا وفي المساء دخلا التياترو ومعهما جماعة من الاصحاب والخلان فسار البير الى الغرفة التي يعرف ان الكونت يقيم فيها ولما رآه الكونت وقف له احتراماً وقال له اهلاً بصديقي البير الامل ان تكون بصحة جيدة وقد زال عنك ما لحق بك من الكدر والغيظ . فقال دع عنك هذا الكلام يا مرائي وعين وقتاً للقتال فلا بد منه . فقال اتطلب القتال في التياترو فهدئ روعك واجلس اظهر لي السبب . قال اترك المداهنة فالقتال يطلب في اي مكان فعين لي وقتاً ومكاناً للبراز . فقال الكونت انسيت من انا الا تعلم مالي عليك من الافضال وهل لا تعلم ايضاً اني قادر عليك في كل وقت ومهما عملت فارجع الى نفسك ولا تقودها الى الخطر . قال نعم اني وان كنت اعرف باسك انما كنت اجهل مكرك وخداعك حتى ثبت لي الان انك من اخبث الرجال واشرها . وكان البير يتكلم بصوت اعلى مسموع من الجميع وعلائم الغيظ والحدة تلوح على وجهه فاجابه الكونت

بصوت عال ايضاً على رسلك يامكابر فعلى ما اظن ان اهل باريس ليسوا بهذه العوائد المتوحشة يا ابن دومرسرف واذ ذاك وقعت ضجة كبيرة بين تلك الجماهير عند سماعهم هذا الكلام لاسيما دومرسرف صار مرذولاً من الجميع فزاد هذا غيظ البير ولم يعرف ماذا يتكلم فشتمه الكونت وعيّره بقبائح ابيه ودفعه الى الخارج وهو جالس فاخذه موسيو دوشان واجلسه في مكانه . وكان ذلك وسيلة كبرى ذكرت جمهور الموجودين بحوادث دي مرسرف حتى ان الذي لم يكن قد بلغه ما كان من امره عرفه تلك الليلة وبعد ذلك بقليل اتى موسيو دوشان وجلس عند الكونت هنيهة . ثم قال له ارجوك ان تخبرني لماذا فعلت ذلك وكيف اشهرته وممن استخبرت من جانينا ومن الذي اقنته يكتب الاخبار هناك وما هي الغاية من ذلك . فاجابه الكونت ان هذا امر لا يعنيك ولست انا من الاولاد لأفشي لك سري فاذهب الى صاحبك البير واخبره ان يستعد للقتال الساعة ١٠ قبل الظهر ويختر لنفسه اقوى سلاح فاني قد وطدت نفسي على هلاكه بعد ان كنت اوده واحترمه غاية الاحترام . ثم اعرض عن دوشان والتفت الى عائدة اليونانية وهو يضحك دون ان يظهر على وجهه خوف او اضطراب حتى ان عائدة لم تعرف ما هو فيه لجهلها ما هو بينهما وكان موجوداً مع الكونت مكسيمليان ابن موريل فسأله عن السبب قال ان لذلك سبب لا يمكن اظهاره على اني مخلص الود لالبير وهو يجب ان يحامي عن ابيه الخائن . فسكت مكسيمليان وانفضت التياترو وذهب كلٌ الى محله وكان البير لم يذهب بعد الى بيته ولا رأى والدته . فلما دخل سلّم عليها فقبلته فنظرت في وجهه علائم الغضب وهو يكاد يختنق حتى انه كان من غيظه لا يقدر على اخراج الكلام فارتبكت مرسيداس من ذلك وسألته عن السبب فلم يجب فاعادت عليه . فقال اني اسألك يا اماه هل بيننا وبين الكونت عداوة او هل العداوة بين دي مرسرف والكونت فقط . فارتجفت والدته من كلامه ولاح لها انه مغتاظ من الكونت . فقالت له لا عداوة بيننا فما

الداعي لذلك وهو من اعز الناس عندنا . قال اني لا اجهل انكِ تحبينه وطالما عرفته منكِ وسترين الى ان ينتهي الحال بيننا ثم اعرض وذهب الى غرفته وترك والدته في اضطراب

واما الكونت فانه نهض في اليوم الثاني وامر خادمه ان يأتيه باسلحته ليختار منها الاجود فأتاه بما كان يعرفه انه لا يخطي المرمى وكان قد اوصى مكسيمليان ان يأتي اليه مع صهره عمانوئيل ليكونا شاهداه في القتال فاقام ينتظرهما وفي تلك الساعة فتح الباب ودخل ارتيشتو الخادم ومعه امرأة ملثمة فاوصلها الى سيده وخرج . فقال الكونت من انتِ ايتها الامرأة وما تريدين . فلم تجبه بل نظرت يميناً ويساراً لترى هل احد هناك ولما لم ترَ احداً قالت له بصوت مرتجف يا صديقي ادمون كيف تطاوعك نفسك في ان تقتل ولدي وليس لي سواه . فارتعد الكونت عند ذكر ادمون . وقال اي ادمون هنا يا ست دي مرسرف . قالت هو انت ياحبيبي ثم رفعت عن وجهها اللثام وقالت يا ادمون دانتاس اهل تتذكر مرسيداس فانظر كيف هي الان والى ماذا اوصلتها الايام . قال نعم اعرفها واعرف انها ماتت فرحمها الله . قالت لما تتجاهل وانت تعرف انها هي الان امامك كما اني انا ايضاً عرفتك ولم يخفَ عليَّ امرك ولو غبت عني خمسين سنة لان شخصك نصب عيني . قال ومن اخبرك اني سأقتل ولدك . قالت قد تأكدت ما دار بينكما في مرسح التياترو وقلبي يخبرني بذلك لان قلب الوالدة لا يغفل عن ادراك اعمال البنين قال بعد ان عرفت ما كان منه افتقبلين ان يرذلني في محفل كذاك المحفل ولا سيما ان الله عادل لا يترك مظلوماً ولا يغفل عن ظالم فقد حلَّ وقت الانتقام ففرنان خان وغدر فلا بد من احراق قلبه قبل موته فقالت دع عنك ما هو ليس من متعلقاتك فان الله وحده هو القادر على الانتقام وقصاص العبيد قال ان هذه القضية تتعلق بدي مرسرف وعائلة اليونان ولذلك لا مدخل لي بها انما انا اقسمت ان انتقم من فرنان الصياد ابن عم مرسيداس خطيبتي ساكنة الكاتلان فقالت ما هو

ذنب فرنان يا ادمون انا الذي اخطأت ضدك ولم انتظرك حين خروجك من السجن انما لا خفاك انه طال بعادك حتى سئمت نفسي من الوحدة ولم يكن عندي من يسعفني فالتزمت ان اسلم نفسي الى ابن عمي كونه احق بي من غيره فها انا بين يديك خذ بثارك مني وافعل بي ما تريد . فقال تذكرين انه طال بعادي فهل تدرين لما كان ذلك . قالت لكونك كنت مسجوناً . قال وهل تدرين سبب سجني . قالت لا اعلم انا الذي سمعته كونك من احزاب نابليون . قال حيث تجهلين ذلك فانا اطلعك عليه لتحكمي بيننا وتعذريني فيما بعد وهو انه اتفق دنكلار وفرنان على هلاكي فكتبا عرضحالاً وبعثاه الى وكيل الملك يتهماني باني من حزب البونابرتيين وذلك كله لاجلك فبعث وكيل الملك ليلة عرسي فاخذني وسجنني ظلماً وعدواناً وهاك العرضحال فخذيه واطلعي على ما به فاخذت العرضحال وقرأته ولما انتهت قالت اني لا اكاد امسك نفسي عن الغيظ فهذا الذي سبب سجنك ومن اين وصل لك هذا العرضحال . قال قد جملت نفسي وكيلاً لبيت الخواجات تومسون واتيت محل وكيل القلمة واحتلت بتخليص ما يلزمني من الاوراق وقد دفعت ثمن هذه الورقة مائتي الف فرنك لاني بسببها اقمت ١٤ سنة في السجن حتى اني كنت اظن اني اموت فيـه وقد قطعت الرجاء من الخلاص ونذرت قسماً اعظم الاقسام اني اذا تخلصت من سجني لاوقعن باعدائي واخذ ثاري منهم وكان فكري كل هـذه المدة عندك وعند والدي الذي مات جوعاً وكنت لا ارجو الخلاص الا وفي فكري انك تنتظرين خروجي ولم يخطر لي قط انك تتزوجين بفرنان الخائن الكذاب فاشكر الله الذي بمساعدته اخرجني من سجني وقدرني على الانتقام واخذ الثار . فقالت ومن اين تتأكد ان فرنان له دخل في مسألة هذا العرض . قال كيف لم يكن له دخل وقد اتفقا على ذلك في الخمارة وكتب دنكلار العرض واوصله فرنان الى البوسطة وليس هذه اول خيانته فانني اعرفه حينما كان مع العسكر الفرنسوي في حرب الانكليز فانه ذهب الى العدو واطلعه على الحقائق

وتدبيرات معسكره وخان دولته وايضاً فانــه اسباني الاصل وحارب ضد الاسبانيين وكذلك خان جنسيته ولما كان كاتم اسرار والي جانينا وبعثه مولاه يسأل له العفو عكس ما آل مأموريته ونسب لولي نعمته الخيانة وتعهد بتسليمه بالحيلة مع ان مولاه بريء من كل هذه التهم فكل هذا يا مرسيداس لم يكن برهاناً على خيانته فلذلك لا بد من الانتقام والسعي في هلاكه فقالت اسألك العفو يا ادمون ورمت نفسها على رجليه تقلبهما فتأثر من كلامها وقال لها انهضي يا ست مرسيداس . فقالت له لا لا تصغى لرجائي هل لا استحق ان اكون معدودة الخاطر عندك وانت حبيبي ولا ازال احفظ ودك وارعى عهدك وطالما تضرعت الى الله ان يطلقك من سجنك صارفة الليالي بطولها منتصبة على ركبتي وطالما ايضاً قبلت يدي ابيك عنك وانا اغسلهما بدموع الحزن ولم انفك عن خدمته حتى عند موته اهداني البركة ولم يكن عنده غيري وانت تعلم لولا ضعف حالي وضيق معاشي وقطع رجائي لما اخترت الزواج مطلقاً فارحمني يا ادمون ارحمني وان كنت لا تزال مصراً على الانتقام فانتقم من المذنبين فها انا وها فرنان بين يديك فانتقم وخذ بثارك منا ولكن لا ذنب ولا علم لولدي بكل هذه الحوادث وحاشاك ان تأخذ البري بجريمة المذنب وانا اعرف انك بطل بالحقيقة وليس لولدي قدرة الثبات امامك فشفق ادمون عليها ودفق الدمع من عينيه عند استماعه كلامها حيث ذكرته بكل ما مضى وعرف انها معذورة فقال لها ان كان لا يهون عليك قتل ولدك فانا لا اتعمد قتله واذا كان لا بد من القتال فأكدي يا مرسيداس اني سأقتل نفسي وارجع ابنك سالماً اليك فقالت لا لا يا حبيبي فان حياتك عندي ثمينة جــداً كحياة ولدي واعز من حياته فاذا كنت ازمعت ان تقتل نفسك فاقتلني قبل كي لا اسمع فيما بعد انك تعذبت او قتلت لاجلي مرة ثانية فقال لا بد لي من قتل نفسي والخلاص من يميني الذي اقسمته قالت اذاً اقتل ولدي يا ادمون وابقَ انت بالحياة فاني وان كنت خطيبي اتخذك عوضه واشكر الله الذي لم ينزع من قلبك مراعاتي

وكرامتي لاني وان كنت قد فقدت جمالي الاول لم افقد منزلتي عندك فالحمد لله الذي رفعك من درجة النوتية الى درجة الامراء وانعم عليك بجزيل كرمه واخيراً اطلب اليك ان تسمح لي لاني اخمدت نار غضبك على البير فلا بد من اخماد ناره وانقياده اليك ثم ودعته وذهبت

واما الكونت فبقي في حيرة وارتباك وهو يلعن تلك الساعة التي اصرَّ فيها على الانتقام وندم على يمينه السابق وقال في نفسه ما لي ولهؤلاء الاوغاد لاعاملهم نظير اعمالهم القبيحة واين تعرف الكرامة اذا كانت فقدت مني على ان قلبي ربما لا يطيعني للانتقام فانني من كلام امرأة قد اضعت كل ذلك الحقد ورقَّ قلبي ولان حتى اني وعدت بقتل نفسي فلا كانت هذه الدنيا ولا كان بؤسها ونعيمها فهي للشر والفساد والله مرجع الامور

الفصل الثامن

في الاستعداد للمبارزة ورجوع الحب بين الكونت والبير

وبعد ان جرى ما جرى على الكونت تذكر عائدة اليونانية فقام من مخدعه وعزم ان يذهب اليها فوجدها عند الباب نائمة الى الارض لانها كانت قد شعرت بفراق الكونت على غير داعٍ فأتت ولما لم تستحسن الدخول خوفاً من تصديع خاطره اقامت عند باب مخدعه لئلا يخرج فلا تراه ولما رآها نائمة رفعها الى مخدعها واذ ذاك تذكر ان يوصي باموالهِ لانه وطد نفسه على قتل نفسه وما كتبه في تحرير الوصية هو :

انا الموقع اسمي على سند هـذه الوصية اوصي وانا بصحة عقل وجسم لمكسيمليان ابن المرحوم الخواجا موريل بعشرين مليون فرنك تشترك معه اخته جوليا بها وجل ارادتي وقصدي ان يتزوج بعائدة اليونانية واني اهب لعائدة المذكورة ايضاً جميع ما املكه في هذه البلاد وفي لوندرا والنمسا من العقارات ونحوها واهبها ايضاً ستين مليون فرنك موضوعة بموجب سندات في

بنوكة متفرقة وليس لعائدة من مشارك في ذلك ولا معارض وللبيان حررت هذه الوصية (الامضاء)

الكونت دي مونتو كريستو

واذ ذاك انتبهت عائدة وخطفت الورقة من يده وقرأت ما فيها فصاحت من ملء رأسها الى اين يا سيدي الى اين قال الى سفر طويل لا رجوع منه قالت لا اقبل ان ابعد عنك فخذني معك فلا احد يحلو لي اذا كنت بعيداً عني وماذا تنفعني الاموال والاملاك اذا كنت لا اشاهد وجهك في كل صباح ثم مزقت الورقة وقالت اعذرني يا سيدي فلا اقبل هذه الوصية فاني مزمعة ان لا افارقك حتى الموت وبعد الموت ايضاً وبعد ذلك حضر ابن موريل وصهره عمانوئيل فوجدا الكونت ينتظرهما وبعد المفاوضة قال مكسيمليان اني ذهبت الى شاهدي البير لاسألهما عن السلاح الذي يجب ان تتقاتلا به فقالا يجب ان يكون القتال بالرصاص فحاولت منع ذلك وان يكون بالسيوف او الحراب فلم يقبلا وذلك حباً بك لاني اتيقن انك اقدر منه وفي غير الرصاص تبان المقدرة فقال الكونت اني اشكر فضلك فهكذا تكون الاصحاب والا فلا على ان القتال بالرصاص احب اليّ من غيره وسأريك ثم الصق الكونت ورقة بالحائط ونقط عليها اربع نقط ووقف بعيداً عنها محط مرمى الرصاص واطلق عياره فاصاب المقصود وهكذا حتى الاربع نقط وحينئذٍ قال مكسيمليان صدقت يا سيدي الكونت فالآن لم اعد اخاف عليك غير اني التمس اليك ان لا تقتل ذلك الولد الوحيد فان جهله وغيرته على شرفه حملاه على معاداتك فقال الكونت صدقت فقد وطدت نفسي ان لا اضربه بل اقتل نفسي واخلصه وكان مكسيمليان لم يعلم ما كان بين الكونت ومرسيداس ولذلك تعجب من كلامه وقال له هل طرأ طارئ عليك او عدمت عقلك ايها الكونت قال لا شيء مما ذكرت انما جاءني الوحي في المنام فقال لي كفاك ما عليك من العمر الان فاعد نفسك للرحيل واستعد لملاقاة مولاك

وفي تلك الساعة اتى الخادم ودعاهم للركوب لان الوقت المعين قد دنى فركبوا المركبة وساروا الى الساحة المعينة فوجدوا شاهدي البير هناك ولم يكن بينهما وهما فرنند وشخص آخر فنزل الكونت وصاحباه وهو يبتسم كأنه في وليمة فرح ولم يكن يعرف احد ما في فكره وفي تلك الساعة حضر البير معفراً بالغبار فنزل عن جواده ونظر الى ما حوله دون ان يحيي احداً بل دنا من الكونت ورفع برنيطته عن رأسه وركع بين يديه واظهر على نفسه الذل والانكسار فقال له شاهداه اننا هيأنا استعدادات القتال فقم واحفظ لنفسك شرفها فقال ارجوكم جميعاً ان تبعدوا عني فاني احب ان اكلم الكونت كلمة سرية ولا اعرض نفسي للخطر فقال مكسيمليان ليس الآن وقت اسرار يا البير فاحكِ ما انت حاكيه علناً فاننا شهود عليك واذ ذاك قال البير اعلم ياسيدي الكونت اني ما طلبت مبارزتك الا وكان فكري انك المعتدي على دي مرسرف وانك اهنته وكسرت شرفه وحيث تأكدت الان انك تقصد اهانة فرنان الصياد ابن عم مرسيداس لا دي مرسرف فلذلك اكون قد تعديت على حقوقي معك ولم اسلك سبيل الامانة على الجميل والمعروف الذي اوليتنيهما وليس من حقي طلب القتال بعد ان ظهر لي كل ما كنت اجهله وها انا بين يديك ذليل النفس التمس العفو والسماح وارجو المعذرة وان تعاملني بحلمك وكرامة اخلاقك فلما سمع الحاضرون منه هذا الكلام اخذتهم الحيرة وتعجبوا من كلامه وتذلله وكان اكثرهم تعجباً الكونت لانـه بهت برهة دون ان يبدي حركة او يتكلم بكلمة وهو يفكر بامر مرسيداس التي بحكمتها حفظت حياة ابنها وحياته ثم قال البير ان كان ما قدمته لديك ليس كافٍ للعفو فاعطني يدك يا سيدي الكونت لاقبلها وللوقت رفعه الكونت وصافحه وبعدئذٍ قال البير للحاضرين ارجوكم يا اسيادي ان تعلنوا تذللي هذا امام الرفيع والوضيع وتبينوا انه هو المقتدر وانا الضعيف وما ذلك الا لما له عليَّ من الفضل واني انا المعتدي وقد الزمته الى القتال متوهماً انه عدونا وبالحقيقة

هو صديق صدوق وعدوه فرنان الصياد لا دي مرسرف والبادئ بالشر لا بد ان يجني ثمرة شره ومن كلامه هذا تأكد الكونت ان والدته اطلعته على باطن الامور واخبرته بقصة ابيه معه من البداءة الى النهاية فلم يهن عليه ذلك وبعد وقوع الصلح ورفع الاحقاد رجع كل الى محله

اما البير فسار مسرعاً الى بيته فرأى والده ينتظر عودته فلما رآه دنا منه وسأله عن حاله فلم يجبه بل دخل مخدعه واغلق الباب واخذ يهيئ لوازم السفر فجمع ثيابه وبعض دراهم قليلة كانت معه ثم خرج الى والدته فوجدها قد جمعت ثيابها وهيأت احتياجاتها فقال لها ما ذلك يا اماه قالت قد عزمت ان اسافر معك واتبعك اينما سرت فلا اقامة لي بعد هذه الاحوال مع ابيك فقال ان في ذلك صعوبة عظيمة لان الدراهم معي قليلة لا تكفينا لايام قليلة وعزة نفسي لا تطاوعني ان امد يدي الى شيء من حوائج ابي وامواله قالت لا بد من السفر معك ولو ذقت الفقر والفاقة فان غايتي البعد عن ابيك والقرب منك اينما كنت والله هو الذي يساعدنا في معيشتنا قال اذا كان لا بد من ذلك فاسرعي لاني لما دخلت نظرني ابي وكان في فكره ان يكلمني ويطيل الحديث معي فاظهرت الغضب فركب مركبته وسار واظنه يعود حالاً فالعجلة في السفر تدفع عنه العوائق قالت اني حاضرة للرحيل فأتِ بالمركبة لنركب وفي الحال اتى البير بمركبة ونقل امتعته وامتعة والدته وعزم على الركوب فيها واذ ذاك اتاه ارتيشتو واعطاه تحريراً ففتحه وقرأه ثم التفت الى الخادم فلم يره فاعطى التحرير الى والدته فاخذته واذا هو مكتوب فيه :

اعلم يا صديقي البير انه من مدة ٢٤ سنة كان لي خطيبة ذات جمال باهر ولطف وظرف فأتيت ذات يوم ومعي مائة وخمسون ليرة قصدت ان ادفعها لها فلم اجدها فوضعت الدراهم في قارورة ودفنتها في الجنينة الكائنة في البيت الذي كان يسكن فيه والدي تحت التينة التي زرعها حين ولادتي ووالدتك مرسيداس تعرف تلك التينة وقد جلست مراراً تحتها تستظل بظلها من حرارة

الشمس ولهبات الحاسدين وحيث غبت عن بيتي لم اعد اقدر ان اصل الى تلك الدراهم ولما رجعت الى مرسيليا تفقدت القارورة فوجدتها كما هي وبما انها تذكار جميل لم يطاوعني قلبي على حملها فابقيتها مكانها حيث لم اكن احتاجها فهي الآن اعانة لسفرك وكان في نيتي ان اهبك ثلاثة ملايين فرنك اكراماً لك ولوالدتك انا اعرف ان عفة نفسيكما لا تطاوعكما على قبولها انا هذه حقها منذ القديم فارجوك قبولها ولا تتعجب من معرفتي بسفرك والسلام يصحبك اينما كنت (الامضا

الكونت دي مونتو كريستو

فلما قرأت مرسيداس الرسالة قالت نعم اني اقبل هذه الدراهم فقط وهي تكفينا لنستأجر محلاً في بعض الاديرة وكان السبب في معرفة الكونت بسفرها هو انه بعد ان ذهب البير ارسل خلفه خادمه ارتيشتو ينظر ما يكون من امره وكان لارتيشتو مودة مع خادم البير فدنا منه وسأله ان يفحص له ماذا سمع فاخبره انه ازمع على السفر مع والدته وانه ذهب ليأتي بمركبة فعاد واخبر مولاه فكتب حالاً تلك الرسالة وارسلها لها وبعد ذلك دخل على عائدة اليونانية فقبلت يده وقبلها في رأسها وجلس عندها يروض باله ويتسلى عما كان فيه ولم يستقر الا القليل حتى اتاه الخادم واخبره ان دي مرسرف بالباب فصاحت عائدة هل لم ننته بعد من الاصحاب ولا سيما اولاد الحرام فقال لها الكونت لا تخافي واصبري ترى ثم ذهب الى دي مرسرف وكان سبب حضوره الى الكونت هو انه لما رأى ولده رجع سالماً ظن انه قتل الكونت فسأله فلم يجبه وبعد ان دخل مخدعه سأل خادمه ماذا عمل سيدك مع الكونت قال لم يبارزه قط بل حينما وصل اليه سجد بين يديه والتمس منه السماح فلما سمع كلامه طار عقله وفي الحال ركب مركبته وسار الى الكونت وبعد التحيات قال له اعلم ان ابني له الحق في قتالك لانك كنت السبب في خرابنا وكسر اسمنا وطردي من بين رجال المملكة قال نعم انه كان صمم على

القتال الا انه لم يتم بيننا قتال قال لماذا هل طلبت منه السماح قال كلا بل هو سجد امامي معترفاً باقدامي مقراً بفضلي عليه ومساعدتي اياه عالماً بانه يوجد شخص آخر هو المسؤول بوقوع كل هذه الحوادث وهو وحده المذنب قال من هو ذاك الذي تعني عنه قال هو والده دي مرسرف قال كيف ابني يعلم ان والده المذنب قال هذا لا اعرفه فاسأله عنه قال الحق معك وما اتيتك مستفهماً بل جئت اطلب قتالك قال حباً وكرامة فهيا نتقاتل الآن ولا يلزمنا شهود لاننا نعرف بعضنا منذ الصغر قال دي مرسرف انا لا اعرفك ولا رأيتك عمري الا في هذه الايام قال الكونت هل لا تظن اني اعرف فرنان الصياد ساكن الكاتلان الخائن الذي اعرف له عشرين خيانة فهيا الى المبارزة لتعلم مَن انا قال ألم يكفك اشهار اسمي وخراب بيتي حتى تروم هلاكي ايضاً ولا تظن انني مشتبه في امرك وانت تارةً تعمل انكليزياً وطوراً كاهناً والاخرى كونتاً فاظهر لي ما اسمك الحقيقي حتى اذا قاتلتك اعرف من اقاتل قال الان تعرف اسمي وشخصي فاصبر قليلاً هنا ثم ذهب الكونت الى مخدع آخر فلبس ثيابه النوتية والبرنيطة واتى الى فرنان وقال له انظر يا خائن يا خداع وفي الحال عرفه وصاح انت ادمون انت ادمون ونهض راكعاً وقد غاب وعيه وفقد قسماً من عقله ثم نزل المركبة وسار وقلبه يرتجف وشخص ادمون لا يفارقه كيفما مال حتى انتهى الى بيته فدخله فوجده خالياً من كل انيس وجليس فسأل الخادم عن زوجته وابنه قال له سافرا ليقيما في بعض الاديرة وقد اوصياني ان ابلغك انك لا تراهما فيما بعد وانكما ستجتمعان في اليوم الاخير فزاد هذا قلق افكاره وهيجان دمه وضاقت الدنيا في وجهه ولم يعد يعرف كيف يسير وحركه دنو اجله الى الانتقام من نفسه فاخذ طبنجة ووضعها في جوفه فاطلقها ووقع الى الارض قتيلاً يختبط بدمه وهكذا قد انتهت حياته على هذه الصورة بعد ان شاهد خراب بيته وفقد زوجته وولده الوحيد وعرف ايضاً عدوه انه قدر عليه واخذ منه ثاره

الفصل التاسع

في ما وقع لفالنتين وما جرى لدي فيلفور ودي فالكنتي ودنكلار

ولنرجع الى مكسيمليان ابن موريل صديق الكونت الذي كان لا يود من كل اولئك الأ فانه بعد ان فارق الكونت في ذاك النهار ذهب الى نوارتيه ليشاهد خطيبته حسب العادة ويجتمع بها عند جدها ولما وصل اليه قبل يديه وسلم عليها وجلس برهة فوجد فالنتين منحرفة المزاج دون ان تعرف السبب واذ ذاك اعلمتها الخادمة باتيان زوجة دنكلار وابنتها فاستاذنت من خطيبها ووعدته انها تعود بعد قليل وسارت فسلمت على زوجة دنكلار وجلست بين الموجودين ثم دار بينهما حديث زواج بنت دنكلار فاخذت والدتها تمدح دي فالكانتي وتصفه بالكرم والغنى والشرف وقالت في اخر الكلام ان يوم الزواج قريب فادعوك يا مدام دي فيلفور مع ابنتك ليتم فرحنا بكما فقالت بنتها اني ارى والدي والدتي يمدحان هـذا الشاب مع اني لا ارى فيه شيئاً من ذلك وقلبي لا يميل اليه ونفسي تطلب البعد عنه وطالما قلت لهما اني لا ارغب في الزواج فصنعتي التصوير ويمكنني ان اعيش منها واستغني عن كل ما هو لابي ولغيره واشكر الله الذي تخلصت من البير ابن فرنان الخائن الذي اشتهر بين كل قاص ودان واساله ان يخلصني من هـذا ايضاً فهو السميع المجيب فقالت اهـل تظنين ان البير لحقه ما لحق بابيه من العار فقالت نعم وهو نفسه عرف هذا ولاجله طلب قتال الكونت دي مونتو كريستو صديقه الاول قال كلاً فان تلك افعال شخصية وقعت من دي مرسرف على نفسه ولما عرف البير صحة الواقع طلب السماح من الكونت فسمح له وبعد ذلك لم نعد نعرف ماذا صـار وبينما كانت فالنتين تتكلم شعرت بالم ووجع شديدين فاستاذنت وذهبت مسرعة الى خطيبها الا انها لما لحقت باب الغرفة وقعت الى

الارض فقصدت النهوض فوقعت ثانية فاسرع اليها مكسيمليان ورفعها بين يديه فوجدها في حالة رديئة فنادى الخادم فاخذها الى سريرها وهناك زاد عليها الحال ولم تعد تعي فقام لذلك ضجة وغوغاء وحضرَ دي فيلفور فوجد ابنته في هذه الحالة فصفق على يديه وضرب وجهه وخرج مسرعاً الى الطبيب بنفسه وعند ما قرب منه قال له ادركني ايها الطبيب فان ابنتي التي اتهمتها بارتكاب جريمة القتل ها هي قد وقعت في تلك العلة نفسها فادركها وخلصها فالان بالحقيقة قد عرفت عدوي فالويل ثم الويل قال الطبيب نعم اني كنت اظن ان فالنتين هي التي تدبر السم ولذلك اذهب بنا لاطلب منها السماح ولما نظر الطبيب الابنة تاكد فقدها الا انه اعطاها علاجاً نافعاً وصرف عنايته في مداراتها وامر ان يوتى لها بالعلاجات واوصى دي فيلفور ان يأتي بالدواء بنفسه ولا يسلمه لاحد ولا يسلم الورقة الا للصيدلاني فقط وفي تلك الساعة دخلت خالتها نائحة باكية وهي تقول ارجوك يا سيدى الطبيب ان لا تتركها فانها زهرة بيتنا وعزيزتنا فاذا اصابها شيء لا بد من ان نموت معها فلا كان صاحب هذا الفعل ولا كان من يسعى بالشر فالى متى هذا التهامل ولم يبق في البيت عندنا احد وكانت تتكلم ودموعها تسكب على خديها كانها لم تكن هي نفسها القاتلة وكان موسيو نوارتيه يعرف منها ذلك وقد هم الى قتلها الا انه لعجزه لم يقدر ان يصل اليها واذ ذاك دخل عليه الطبيب منتظراً عودة دي فيلفور فاشار اليه ان يقرب منه فقرب ثم اشار له انه يعرف الفاعل وانه وضع له السم فلم يوثر فيه فقال الطبيب لا بد من مداركة هذا الامر انما السعي في خلاص فالنتين هو من اعظم الاشياء الله يطيل في اجلها واذ ذاك اتى دي فيلفور بالدواء فذهب الطبيب وسقاه بنفسه الى فالنتين واقام عندها واما مكسيمليان فانه كبر عليه هذا المصاب ولم يعد يعرف ماذا يصنع ولكثرة الازدحام لم يمكنه ان يبقى هناك فخرج هائماً على وجهه قاصداً الكونت دي مونتو كريستو يطلعه على الواقع ويستمد رايه فلما وصل اليه لم يعي كيف

يسلم عليه فعرف الكونت منه ذلك وقال له لما انت في هذه الحالة يا مكسيمليان هل فقد احد من عائلتك فاني اراك باكياً قال له يا ليت فقد احد من عائلتي ولا وقعت في هذه المصيبة الكبرى قال اذاً ماذا دهاك قال بما انك صديقي وعزيزي لا اخفي عنك شيئاً فاطلعك على ما اصابني علك تفرج كربتي وتنظر لي وجهاً اتخلص به قال الكونت قل ولا تخف فاني اساعدك واقدم لك حتى روحي قال اعلم يا سيدي اني دخلت ذات ليلة الى احدى البيوت مختفياً فسمعت شخصين يتكلمان على انفراد دون ان يرياني وهما الطبيب وصاحب البيت وسمعت الطبيب يقول له يجب ان تحترس لنفسك فيما قد مات عندك بالسم اثنان واذا لم تحترس وقعت في اسوإ الاحوال وبعد ذلك بايام مات شخص ثالث بالسم في ذلك البيت والان قد سم الرابع واشرف على الموت فلهذا اتيتك مستجيراً علك تعرف دواء ينقذ هذا الشخص الاخير قال الكونت لما تخفي عني صاحب ذاك البيت وهو موسيو دي فيلفور والاشخاص الذين ماتوا هم دومارند وزوجته والخادم والآن فالنتين وهذا قد صار اشهر من نار على علم قال مكسيمليان ارجوك يا سيدي مساعدتي بخلاص فالنتين قال لما تطلب خلاصها وهي ليست من اقربائك ولا بينك وبينها علاقة قال ان بيني وبينها علاقة كبرى فهي اعز من كل اقربائي ومن كل من اعزّ فهي خطيبتي وشريكة حياتي قال الكونت اني لا ارغب ان تتدنس بالتقرب من ذاك البيت الملوث بالشر والفساد فرمى مكسيمليان نفسه على اقدام الكونت وقال له انظر اليَّ يا مولاي ففالنتين ليست كاهل ذلك البيت وقد عاهدتها وعاهدت جدها على الامانة ودي فيلفور حتى الساعة لا يعرف حبي لها ولو عرفه لمنعني فارجوك خلاصي وخلاصها فرفعه الكونت وقبله بين عينيه وقال له لولا انك ابن موريل لما ساعدتك انما اذهب الى بيتك ونم آمناً فاني اخلص لك خطيبتك وازوجك بها فكرر عليه فوعده بالفرج ثم انصرف مكسيمليان معلقاً اماله بمواعد الكونت لعلمه انه يقدر على ما

يقول وفي مساء ذلك اليوم وجد الخوري بوسيوني مستأجراً بيتاً ملاصقاً لبيت دي فيلفور دون ان يعلم احد ما هي الغاية فلندع الكونت او الخوري يسعى بانفاذ مقاصده ونرجع الى موسيو دنكلار فانه لما قرب يوم زفاف ابنته على دي فالكانتي دعاها اليه فلم تحضر فارسل خادمه اليها بان تحضر عنده حالاً فابت واقامت في مخدعها فذهب اليها وسالها عن امرها قالت ارجوك يا ابتاه ان ترحمني فاني لا اقبل ان يتم زواجي على هذا الرجل الغريب ولا ارغب في غيره ولو كان من العائلة الملكية لاني لا ارضى في ان املك حريتي لانسان قط قال لما لم تقولي من اول الامر لما رهنت قولي مع خطيب قط قالت طالما عرفت غايتي وفهمت ان نفسي تكره الزواج سيما في اولئك الاوباش وانت تتغاضى عن ذلك قال اتريدين ان تجعليني اضحوكة بين الناس قالت ان القول في ذلك لي فاذا صار مانع فيكون مني ولذلك لا يلحق بك عار وانت قد عينت لي خمسمائة الف فرنك فهذا القدر يكفيني فانظه لمعيشتي قال اني لم ارغب ان ازوجك بالامير دي فالكانتي الا وفي نيتي ان اعيد محلي كما كان لاني قد اصبحت على نية الافلاس ولم يعد احد من الناس يؤمنني بعد ان شاهدوا خسائري وما لحق بي من الضربات المتوالية وحيث اعهد ان هذا الامير هو من الاغنياء فيمكني بعد زواجك ان اضع امواله واموالي فيستقيم حالي وترجع لي الامنية كما كانت وقد تعهد دي فالكانتي ان يقدم لي ثلاثة ملايين فرنك فنضم اليها الخمسمائة الف فرنك وهذه اعانة كافية قالت اهل في نيتك ان تاخذ ما اعطيتني اياه قال حاشا بل هو على اسمك وان كان معنا قالت اذا كنت تطلب الغنى بواسطة هذا الزواج فافعل ما بدالك ولو قدمت نفسي ضحية لنجاحك لكن اشرط عليك ان تطلق لي الحرية بعد الزواج افعل ما يريده مني حب الشرف والحرية قال لك بعد ذلك الارادة المطلقة وفي ذلك اليوم ذهب دي فالكانتي الى الكونت دي مونتو كريستو ودعاه الى حضور عقد الزواج وطلب اليه ان يكون نائباً عنه في كتابة العقد فقال

الكونت لا يمكني ذلك لاني لم اعرفك قبل الآن قط وانما هي المعاملة التي اعاملك اياها هي اسناداً لتحرير من الخودي بوسيوني واكراماً لخاطره فقال دي فالكانتي وقد اظهر الذل والانكسار قد فهمت انه لا يمكنك ذلك انما اطلب اليك ان تخبرني متى يرسل لي والدي الدراهم قال اظن ان والدك صرف املاكه وكل امتعته وعلى ما هو مؤكد عندي الان انه في الطريق قال ارجوك اذاً او تحضر وليمة الزفاف ليزيد بوجودك شرفي ويعرف الحاضرون انني من اصدقائك واحبائك قال هذا لا بد منه لان حمك دنكلار دعاني الى ذلك فتركه دي فالكانتي وسار ودعا جماهير من الذوات وارباب المناصب العالية ولما كانت الساعة التاسعة غص المجلس بالحضور وكانت قاعات قصر دنكلار تضيء بالشموع وقد صفت الاواني وغنت الاغاني ودارت الافراح واشتغل كل من الموجودين يتعاطى كؤوس الفرح وفي تلك الساعة تسابقت الخدم الى دنكلار واخبروه بقدوم الكونت دي مونتو كريستو فخرج الى ملتقاه وترحب به ولما دخل قام له الجميع اعتباراً ووقاراً وسلم عليه كل بمفرده وبعد ذلك جعل يحادثهم بكل حديث شهي مطرب ويقدم لهم الاخبار السياسية الجديدة نحواً من نصف ساعة حتى كان الجمع برمته باهتاً من فصاحته وبلاغته وفي ذلك الوقت حضر كاتبو عقد الزفاف فجلسوا بين القوم ثم كتب عقد الزواج وعرضت على الجمهور ليوقعوا عليها شهادتهم وبينما القوم مهتمون باتمام هذا العقد بفرح اخذ من الجميع من كل ماخذ سالت احدى الموجودات كيف لم يحضر دي فيلفور فاجاب الكونت بصوت عال سمعه الجميع ان موسيو دي فيلفور مشغل بمسئلة السرقة التي وقعت في بيتي حيث ان اللص قتل وقبل موته عرف الحكومة المحلية بقاتله ولذا اهتم دي فيلفور مع البوليس بالقبض على القاتل قبل تمكنه من الفرار لانهم عرفوه حق المعرفة ولما انتهى الكونت من كلامه سمع ضجة خارج القصر وتبين ان البوليس وانفار الضابطة قد احاطت بالقصر ودخل منهم نفران بعد ان

اوقف رئيسهم شخصين على كل باب وتقدم النفران مع الرئيس فقالوا اين دي فالكانتي فان الحكومة تطلبه لدعوى مقدمة عليه فلما سمع دنكلار هذا الكلام كاد يغشى عليه واراد ان يسأل البوليس عن السبب فلم يقدر على الكلام ولا عرف كيف يتكلم واما جمهور الحاضرين فانهم وجهوا انظارهم الى الانفار منتظرين النهاية وقد وقعت عليهم السكتة وبعد ذلك ببرهة تقدم الكونت دي مونتو كريستو وقال لرئيس البوليس ماذا تريدون من جناب الامير قال اعلم يا سيدي انه ليس بامير ولا بسيد وانكم مغشوشون به لانه من اكبر اللصوص المشهورين سفاك للدماء شرير وقد ثبت انه هو قاتل كادروس اللص الذي قتل اول امس حال هجومه على بيت رجل مشهور بالكرامة يدعى الكونت دي مونتو كريستو وكان هذا الذي تدعونه اميراً مسجوناً مع كادروس المقتول في سجن طولون محكوم عليهما بالسجن المؤبد فلشقاوتهما كسرا نوافذ السجن وهربا وبعد التحري تأكد لنا انه دعي باسم دي فالكانتي وانه مزمع في هذه الليلة على الزواج فاين هو الآن واخذ البوليس بالتفتيش على بنديتو فلم يقفوا له على اثر لانه كان عند سماعه كلام الكونت شعر في داخله بقلق واضطراب وتصور في ذهنه ان هذه الحالة التي هو فيها واجتماعه بهكذا جمهور يظهر امره وربما حضر تلك الليلة احد رجال الحكومة فيعرفه ويكشف امره فاستغنم الفرصة وهرب وما انتهى الى طريق البيت حتى التقى بالضابطية فاختفى الى ان وجد سبيلاً للفرار فنجا بنفسه ولما لم يجده البوليس رجعوا عن البيت وبعد ذلك انصرف الجمع المدعو لوليمة الزفاف يتحدثون بهذه الحادثة الغريبة العجيبة وكلهم يندد في دنكلار ويهينه كيف رغب في زواج بنته بهذا الرجل الغريب الخبيث اللص المحتال دون ان يعرف اصله وفرعه اما بنت دنكلار فبغضها لوقوع هذا الزواج جعلها ان لا تشعر بعظم هذا العار الذي وقع عليها وعلى عائلتها بل ذهبت الى مخدعها ومعها خادمتها ففتحت صناديقها واخرجت ثيابها

وجعلتها بقجاً فقالت خادمتها الى اين يامولاتي قالت الم اقل لك انني بعد الزواج سارحل عن هذه الديار تاركة ابي في فرحه الجديد مع صهره يتمتعان باموالها وحيث ان وقوع هذا الحادث كان اكبر سبب يوضح عذري فلابد من الرحيل والهرب دون ان يراني احد قالت الخادمة كيف نتمكن من الهرب ونحن امرأتان وليس لنا مسعف ولا مساعد قالت اني اعرف لذلك سبيلاً ثم اخذت مقصاً فقصت شعرها ولبست ثياب رجل وبدلت تلك الهيئة اللطيفة بهيئة اخرى ووضعت ما عندها من الدراهم والجواهر وقيمتها نحو ٥٠ الف فرنك في صندوقها وامرت خادمتها ان تتبعها وكان اذ ذاك قد تنصف الليل فخرجتا الى محل المركبات فركبتا في مركبة وسارتا الى مرسيليا ومنها الى بروكسل في بلاد البلجيك وهناك قالت بنت دنكلار لخادمتها ان ما معنا من الدراهم يكفينا لزمن فضلاً عما احصله من تعليم فن الموسيقى والتصوير فيمكننا ان نعيش بعيداً عن اولئك الاوباش واني اشكر الله الذي خلصني من دي فالكانتي فاني كنت اكره الاول فما لبثت حتى وقعت بالاخر

واما دي فالكانتي (بنديتو) فانه كما اشرنا قد هرب من بيت دنكلار ولم يكن يعرف في اي طريق يذهب وقد سدت في وجهه المذاهب واخيراً خطر له ان يهرب الى احدى القرى المجاورة باريس ويختبئ فيها لبينما يرى ماذا ينتهي اليه الامر فصادف مركبة فارغة فركبها وسارت به بكل سرعة وقد اشرط على سائقها ان يسرع به فيعطيه ٥٠ فرنكاً لان اصحابه ينتظره هناك ولما نزل من المركبة لم يجد في القرية محلاً يختبئ فيه فاستأجر جواداً وركبه وسار ركضاً حتى انتهى الى مدينة كمبين عند اقبال الظهر فسار الى اللوكندة وطلب من صاحبها ان يعطيه غرفة نمرة ٣ لان مراده ان يقيم فيها بضعة ايام فقال له صاحب اللوكندة ان بها اثنان من باريس وهما شاب وبنت فاذا شئت غيرها فخذ فاخذ مفتاح غرفة ثانية وفي نيته ان يقيم تلك الليلة وفي الصباح يسير عن تلك المدينة ويتخذ طريق بروكسل الا انه لشدة تعبه غرق في النوم

ولم يستيقظ الا لحين الضحى ولما استيقظ وعرف ذلك طار عقله واحتار في امره وارتبك ارتباكاً عظيماً فانه نظر من نافذة الغرفة فوجد جماعة من البوليس والضابطية قد وقفوا بباب اللوكندة وترجح عنده انهم يطلبونه الا انه كان يطمن نفسه ويفتكر انه ربما كانوا ضيوفاً في تلك اللوكندة او ربما اتوا لغاية اخرى لانهم من اين عرفوا انه هناك وبعد ان لبس ثيابه نظر ثانية ليعلم في اي جهة سار البوليس فوجد خمسة انفار واقفين في الباب وسمع ضجة داخل اللوكندة فتيقن انهم آتون بطلبه فاستعد على الدفاع وان لا يسلم نفسه لهم الا انه خاف من ذلك لما وجد كثرتهم ثم خطر له ان يدخل في مدخنة الغرفة ويختبئ فيها الى ان يذهب البوليس ومن هناك يذهب الى حيث يشاء وفي الحال اخذ دفتر اللوكندة وكتب عليه الى صاحبها ما معناه

اعلم يا سيدي اني اتيت مستعجلاً ولذلك لم يكن معي بارة واحدة ادفعها لك مقابلة لما لك علي من اجرة الغرفة هذه الليلة وعليه قد سرت دون ان اراك خجلاً منك وقد وضعت اليك دبوس الذهب رهناً عندك فابقه لبينما اعود فاسترده منك وادفع لك حقك

ثم وضع الدفتر والدبوس على المائدة وتسلق المدخنة وفي تلك الاثناء دخل البوليس الغرفة فلم يجدوه ووجدوا الدفتر والدبوس الا ان البوليس لم يصدقوا انه هرب بل خطر في بالهم انه داخل الداخون ولذلك اتوا بقليل من القش اليابس ووضعوه في فم الداخون واشعلوه ليتحققوا عدم وجوده فلما علم بنديتو خاف من الحريق فصعد الى اعلى الداخون وخرج منه الى داخون اخر افتكر ان يبقى فيه وبعدئذ ينزل منه فينجو ولما دخل الداخون الثاني وصار في وسطه زلقت رجله فسقط الى الارض في غرفة نمره ٣ فسمع عند سقوطه صوت قوي وارتعب الشاب واخته النازلان في تلك الغرفة وصاحت البنت من خوفها ولما رأى بنديتو ذلك خاف من الفضيحة فصمم على قتلها واخماد صوتيهما الا انه خاف ربما ادركه قبل تمكنه الفرار من جماعة البوليس

ولذلك تقدم من البنت فعرفها وقال لها الست خادمة دنكلار قالت بلى وانت الست دي فالكانتي الاص المحتال وسفاك الدماء فرمى بنفسه على قدميها وقال ارجوك كتم امري فان الحكومة تطلبني ومتى وقعت في يدها لا ريب تحكم في اعدامي فاسترا عليّ الى نصف ساعة وبعد اسير الى حيث اتخلص من الموت . قالت الخادمة لا يمكنك ان تبقى هنا فاذا اردت السلامة فاصعد في الداخون وارجع من حيث اتيت . كل هذا والشاب الذي هو بنت دنكلار وقد تقدم انها لبست ملابس الرجال واقفة باهتة فيه تتعجب من امره خائفة من انه يعرفها فيوقع بها او يوصل اليه الاذى لكنه عزم على الصعود من الداخون الى السطح لبينما يخلو المكان من الطالبين الا انه قبل تمكنه من ذلك هجمت الانفار على الغرفة المذكورة ودخلوها عنوة وقبضوا عليه وكتفوه لانهم سمعوا الصياح فاسرعوا الى هناك وقادوه الى السجن ثم ارسلوه الى باريس

واما زوجة دنكلار فانها عند ما شاهدت ما صار في بيتها وان صهرها قد هرب تكدرت غاية الكدر لانها كانت تحب دي فالكانتي وترضاه وفي اليوم الثاني ذهبت الحبيت دي فيلفور تطلب اليه ان يرفق في حال دي فالكانتي وكان سبب هذا حبها له على غير ارادتها لانه كان ابنها منه وهي لا تعلم ذلك بل كان ينعطف اليه قلبها غصباً عنها ولما وصلت الى بيت دي فيلفور طرقت الباب فاعترضها الخادم فامرته ان يفتح الباب . فقال لا يمكنني ذلك لان مولاي قد امرني ان لا افتح لاحد لانه في اضطراب لاسباب داخلية في عائلته فالحت عليه ان يفتح الباب فلم يجبها فقالت اذهب اذاً الى سيدك واخبره ان زوجة دنكلار تطلب مواجهتك نحو خمس دقائق فبار اليه واخبره فخرج من مخدعه وامره ان يأذن لها بالدخول فدخلت فلاقاها واعتذر لها عما فعل الخادم معها ثم انفرد بها وسألها عن سبب حضورها قالت اني اتيت مستجيرة بك من امر وقع في بيتي . قال اني اعلمه وهو لا يتعلق بكم . قالت اقسم عليك

بالحب القديم الذي بيننا ان تساعد صهري دي فالكانتي وتظهر براءته واذا وقع في اليد ان تطلق سبيله لانه يحب بنتي وانا احبه رغماً عن ارادتي ولا اعلم السبب لذلك وانه اذا تبرأ يرجع اليه شرفه وتزوجه بنتنا . قال ان ذلك لا يمكن لان المقتول يشير الى انه هو الذي قتله وانه شريكه في اللصوصية وانه هرب من سجن طولون وكل ذلك يشير الى وجوب اعدامه . قالت اظن ان المطلوب غيره وليس هو فان هذه الصفات ليست صفاته قال هو نفسه دون شك حيث تقرر لنا من الخوري بوسيوني علمه وصفاته من حين الشبوبية وانه دعا نفسه دى فالكانتي ولاذ بالكونت دى مونتو كريستو زاعماً انه امير واخذ منه مقداراً وافراً من الدراهم وكما غش الكونت غشكم ايضاً حتى زوجتموه بنتكم . قالت ان قلبي لا يطاوعني على تصديق هذا الخبر بل لابد من وجود اعداء له فعلوا معه ذلك فاكرر رجائي بغض النظر عنه ومساعدته . فقال لا يمكن ذلك ولا يسلم به النظام والشريعة ولا اقدر عليه فانه سيحاكم في المحكمة الكبرى . قالت ارجوك ان لا تريد فضيحتنا فضيحة فانت تقدر على كل شي وامور كثيرة اعظم من هذه وقعت منك قال لا سبيل الى ذلك فلا تكثري من الكلام وهذا اخر جوابي والسلام

فغضبت زوجة دنكلار من كلامه وقالت له كيف اذا قصدت ان تنقض الشرع والنظام لا تسأل عن المحكمة ولا الحكام وكيف لما قتل في بيتك دومارند وزوجته والخادم تغاضيت ولم تسأل عن القاتل . قال حتى الساعة اجهله ولو عرفته لانتقمت منه ولا بد لي من ذلك وان كان من احب الناس اليَّ . قالت وهل الان لا تريد ان تخلص هذا الشاب اكراماً لخاطري . قال لم يعد في وسعي ذلك فاني بعثت بالتلغرافات الى كل قرية وبلد في فرنسا للقبض عليه ولا بد ان يكون وقع باليد ولهذا صار خلاصه من المستحيل . ولم ينته دى فيلفور من كلامه حتى دخل عليه خادم التلغراف وبيده نسخة تلغراف فدفعها اليه فقرأها واذا بها انه قبض على دى فالكانتي وسيرسل محفوظاً .

فاطلع زوجة دنكلار علي الكتابة فلما علمت ذلك نهضت غضبى وتهددت دي فيلفور بالانتقام وذهبت الى بيتها وهي لا تعرف اليمين من الشمال فلم يبال دي فيلفور بكلامها وتهديدها ولما وصلت الى البيت دخلت مخدع بنتها فلم ترها فسألت عنها فلم يفدها احد فتكدرت فوق كدرها وعلمت انها تركت البيت وبعدت عنه ولم تعلم انها سارت من نصف الليل وانها صارت على طريق البلجيك

الفصل العاشر

في موت فالنتين وما حصل لخطيبها مكسيمليان ومساعدة الكونت دي مونتو كريستو

سبقت الاشارة الى ما اصاب فالنتين بنت دي فيلفور من السم وان خطيبها مكسيمليان ذهب الى الكونت فوعده بانقاذها وتعهد له ان يزوجه بها فلبس الكونت ملابس الخوري بوسيوني واقام في البيت الذى استأجره بجانب بيت دي فيلفور وكانت فالنتين في حالة مخطرة وكان يشتد عليها المرض ولولا اهتمام الكونت بها لماتت حالاً وكانت في النهار تقاسي اوجاعاً وآلاماً وفي الليل ترى اشباحاً وخيالات مرعبة ولهذا وضع لها والدها احدى النساء تقيم عندها طالما كانت مستيقظة وعندما تنام تتركها لتأخذ الراحة ففي ليلة من تلك الليالي بعد ان خرجت الامرأة من عندها استيقظت اثر حلم مرعب اذ لاح لها ان باب مكتبها قد تحرك فظنت ان ذلك من قبيل التخيل التي كانت قد اعتادت عليه لا سيما في وقت وجود الحمى عليها الا انها بعد ذلك نظرت باب المكتبة قد فتح ودخل منه شخص فارتعبت ولولم يطرق ذهنها ان نظرها كاذب لصاحت من الخوف فكانت تتردد بين صدق هذا المرأى وكذبه ولما لم يعد يمكنها التكذيب ظنت انه خطيبها تحدقت به فمال اليها حتى تأكدت

انه ليس هو فصممت على ان تتناول قليلاً من الدواء علها تتمكن من النوم فلا ترى احداً وحالما رمت يدها وقعت على جسم محسوس فلم يبق عندها شبهة في انه بشر فاخمدت نفسها وسكنت حركتها انما نظرها لا زال موجهاً اليه فوجدته قد دنا من الكاس الذي فيها الدواء وكبه وصب فيها دواء اخر ثم بعد ذلك قال لها لما تاكد انها مستيقظة اشربي يا بنتي فلا باس عليك من شيء. فهمت ان تصرخ فاشار اليها ان لا تنفعل فعرفته اذ ذاك من صوته وهيئته وقالت له الست انت الكونت دي مونتو كريستو قال نعم فلا تجزعي ولا ترتاعي فان لي اربع ليال اصرف الليل بلا نوم لاجلك وحفظاً لنفسك من الموت وما ذلك الا ليحظى بك مكسيمليان ابن صديقي موريل . فلما سمعت فالنتين ذكر خطيبها شعرت براحة غير اعتيادية في جسمها الا ان الخجل لم يخف فوق وجهها وقالت هل ان خطيبي وحبيبي مكسيمليان اخبرك بقصتي قال نعم قد قص علي قصته وقال لي انه ان اصابك امر يموت لا محالة فوعدته بانقاذك من الهلاك قالت كيف تقدر ان تنقذني وانت لست بطبيب قال اني طبيب ماهر وما اعرفه من العلاجات والعقاقير لا يعرفه احذق اطباء هذه البلاد قالت كيف تقول ان لك اربع ليال ساهر لاجلي ولم ارك الا في هذه الليلة فقط . قال اني كل ليلة ادخل من هذا الباب لانه يؤدي الى بيت ملاصق لهذا البيت استأجرته من نحو اربعة ايام واني كنت اصرف الليل ساهراً لاجل المحافظة عليك ولانظر من سيدخل اليك حتى اني لم اتغافل عن كل ما يقدم اليك من العلاجات فان وجدته سالماً تركته والا ارقته ووضعت مكانه شراباً نافعاً ودخولي دائماً من هذه المكتبة كما دخلت الان ولولا اني ارقت السم مراراً لكنت مندرجة في الاكفان من بداءة مرضك . قالت قد تجاوزت الحد يا حضرة الكونت فما هو السم ومن اين يأتي وليس عدو في بيتنا يفعله قال سترين بعينيك وتعرفين صدقي الان فخذي هذا الدواء واشكري الله الذي سهل لي سبيل الوصول اليك لارفع عنك الاذى ثم اخرج الكونت من

جيبه زجاجة فيها شراب احمر صب منه مقداراً فوق قليل من السكر ودفعه اليها فاخذته ووضعت الكاس على فمها وقصدت ان تشرب منها لكنها ارجعتها وقد خافت من ان يكون فيه ما يؤذيها فعرف الكونت منها ذلك فاخذ الكاس من يدها وشرب امامها فشربت الباقي وقالت مثل هذا كنت اشرب كل ليلة قال هو بعينه فاني اضعه لاجل حفظ صحتك وكما اخبرتك اني ارى السم في الكاس فاصبه واضع من هذا الشراب فيها قالت اني عندما اشرب هذا الدواء اشعر براحة في كل جسمي قال اني اعرف ذلك ولاجله قد كابدت مشقات السهر واجهدت نفسي في التغلب على النعاس خوفاً من ان اغفل فتشربين السم قالت قلت انك ترى في الكاس السم فهل رأيت من يضعه قال اني اعرفه ورأيته مراراً بعيني قالت لا يمكن ان احداً يتجاسر على وضع السم في زجاجة الدواء وانا في بيت ابي وما كلامك هذا الا لغايات فارجوك يا ايها الكونت ان تتركني وتذهب فاني كدت اصدق كلامك لو لا تيقني ان لا عدو في بيتنا قال اني اتعجب كيف تنكرين قولي وقد شاهدت ما وقع بجدك دوءارند وزوجته والخادم وجدك نوارتيه الذي لم يؤثر فيه السم لاعتياده اياه قالت ان هذا مشتبه فيه فانه وان كان قد شاع هذا الخبر في بيتنا الا انه غير محقق فاذا شئت ان تقنعني فارني بعيني قال الم تري في كل ليلة شخصاً يدخل عليك قالت ارى تخيلات كثيرة في كل ليلة وذلك اوهام لا اصل لها قال اذا كنت تجهلين من يطلب موتك فسترين قريباً قالت من اين اراه قال ها قد انتصف الليل وقرب ميعاد حضوره فلا تنامي وحدقي به فتعرفينه بشرط ان تتظاهري انك نائمة ولا تبدي حركة مطلقاً فاخذت فالنتين يد الكونت وشكرته وقالت له ارجوك ان تختفي فاني اسمع صوت حركة مشي واظن الشخص المعهود قد اتى فقال اني اذهب الان فاحرصي ان تنامي ثم خرج من المكتبة ووقف خلف الباب وبقيت في فراشها وهي تضطرب خوفاً من ان يدركها ذلك العدو وربما اذا وجدها لم تمت بفعل السم

اماتها بالسلاح وهذا الفكر قد اضعف عزائمها وزادها خوفاً ولولا تيقنها بان الكونت قريب منها وانه يسرع لاغاثتها لتيقنت موتها لا محالة ومع كل هذا كانت لا تعرف كيف ينتهي بها الامر ولم يمض الا دقائق قليلة حتى سمعت صوت الباب فتجلدت واخمدت نفسها وجعلت ذاتها كانها نائمة وكانت الحمى قوية عليها فدق لها الكونت على المكتبة دقة خفيفة ليوقظها اذا كانت نائمة وفي تلك الدقيقة دخلت خالتها وتقدمت رويداً رويداً حتى قربت منها ورفعت الغطاء عنها لترى اذا كانت نائمة ونادت بصوت واطٍ فالنتين فالنتين فلم تجبها فتيقنت انها نائمة فاخذت اذ ذاك قدح الشراب وصبت فيه شراباً آخر كان معها وعادت وحينئذ فهمت عدوتها وتاكدت لديها ان خالتها تريد ان تميتها كما اماتت غيرها وقبل ان خرجت من الباب نظرت اليها فالنتين فوجدت بيدها خنجراً فثبت عندها انها لو ظهر منها ادنى حركة لقتلتها كي لا تنفضح بعد ذلك لانها اذا رأتها لا بد ان تخبر عنها وبعد ان ذهبت زوجة دي فيلفور وقفلت الباب دخل الكونت وقال لفالنتين هل تأكدت ذاك الذي كنت اخبرك عنه انه يدس لك السم وصارف جهده في هلاكك قالت عرفته يقيناً وتاكدته عياناً فماذا ينبغي ان افعل هل يليق ان انتقل الى غير هذا المحل واتخلص من الموت واني بذلك معذورة قال لا يمكن ذلك لان عدوك لا ينثنك عن عناده ولا بد له من ايصال الاذى اليك ولو ذهبت الى غير بلد قالت تفعل هذه الفعال وتسعى في موتي وانا لم اغضبها قط ولا ازال اظهر لها حبي وطاعتي قال لانك ذات ثروة وايرادك السنوي مائة الف فرنك قالت ان هذا المال ليس هو منهم بل هو ميراث ابائي واجدادي قال ولاجل ذلك تطلب هلاكك وبه يتحول المال الى ابنها الوحيد الذي ليس له ما يصيبه من ميراث ابيه القليل قالت هل ان والدي يعلم بهذه الفعال قال كلا الا انه كان من الواجب عليه ان يبحث عنه منذ مات جدك وزوجته ولو بحث لعرف الحقيقة ويمكنه لو فعل معك كما فعلت انا لنظر زوجته عياناً وحيث ان الجميع

اعداوك فلا بد من انقاذك قالت ها انا بين يديك وقد سلمت نفسي اليك وجل قصدي ان اعيش لاقوم بخدمة جدي نوارتيه وافي حق المحبة لحبيبي مكسيمليان . قال ولاجلهما قصدت خلاصك لان الاول اخي بالعهد لكونه بونابرتي الميل نظيري والآخر اعز الناس عندي لانه ابن صديقي موريل صاحب اليد البيضاء والجميل معي فلا تخافي ابداً من احد ولو فقدت نفسك وسمعك وذوقك او تنبهت من النوم ووجدت نفسك في غير هذا المكان في المقبرة او في غيرها فضعي هذا الامر في رأسك وحافظي على عقلك واكدي اني لك اب شفوق لا اضيع دقيقة يمكنك بها الوصول الى حبيبك وحبيبي فبكت فالنتين من كلامه وقالت بالحقيقة لم ار بنتاً قليلة الحظ نظيري لاقت كل عذابات الدنيا واحتملت حتى الموت ومع ذلك لا تعرف اذا كانت تقدر ان تصل الى حبيبها املا قال اذا شئت ان لا تتعذبي فلا تنالين ما ترغبين الا تعلمين ان القلب الضعيف لا يحصل على الظريف فاذا كنت لا ترغبين في البعاد من هذا البيت فانشي عمل خالتك قالت لا ارغب ذلك ولو احتملت الموت فافعل ما تريد فاني اركن اليك اركان البنت العاقلة الى الاب الشفوق . قال قد ثبت لدي الان انك قد خلصت من الموت ولم يبق الا انتشالك من هذا البيت الجهنمي . وفي الحال اخرج علبة من عبه وتناول حبة من معجون فيها وقال ابلعي هذه الحبة فانها الطريق لخلاصك فتناولتها منه وازدردتها وهي تثني على الكونت وما استقرت في جوفها حتى غرقت بنوم ثقيل وتغير لونها واصفر وجهها وغارت عيناها وتقلصت شفتاها وخمدت انفاسها وصارت كانها مائتة من فعل السم . فلله در هذا الكونت من رجل قد جمع بين المعرفة والحكمة والغنى والشجاعة والمقدرة والكرم وما ذلك الا من عطايا الله سبحانه وتعالى الذي بعث له في السجن رجلاً عالماً طبيباً ماهراً وهو الخوري فاريا فعلمه كل علومه وسهل له بعد خروجه من السجن اسباب الثروة حتى عدَّ من مشاهير العالم . وبعد ان نظر الكونت ان الحبة فعلت بفالنتين ما فعلت اخذ الكاس

وصب نصف الشراب الذي وضعته خالتها فيها في المدخنة كي لا يظن الا انها شربت من الكاس فماتت ، ولما كان آخر الليل فتح الباب ودخلت خالتها لترى اذا كانت شربت من السم فوجدتها على تلك الحالة فتيقنت موتها فقربت من الكاس فرأت فيها قليلاً من الشراب فصبته ونظفت الكاس ومسحتها بمنديل كي لا يرى الطبيب اثراً للسم فيعرف انها ماتت به كل هذا وهي ترجف وترتعد وقلبها يخفق لانها وان كانت قد فرحت بموتها الا انها كانت تعلم انها ارتكبت امراً خطيراً وما تعهده من حب زوجها لفالنتين جعلها تتيقن انه لا بد ان ينتقم منها فندمت على فعلها حيث لا ينفعها الندم وفيما هي على ذلك طفئ المصباح فزاد ارتباكها وخوفها وكادت تفقد عقلها لانها تيقنت ان شخصاً اطفأه ومن عظم ما حل بها خارت عزائمها ووقعت الى الارض ولم تعد تساعدها قوائمها على النهوض فزحفت على يديها ورجليها الى ان ادركت فراشها ولحقها من ذلك رجفان وبعده حمى شديدة

ولما اصبح الصباح اتت المرأة المعينة لخدمة فالنتين فظنتها نائمة فنامت بقربها ولم ترد ان تكلمها وفي الساعة الثامنة استيقظت فوجدتها لا تزال على ما هي فتعجبت من طول نومها فدنت منها ورفعت الغطاء عن وجهها واذا بها مائتة فصاحت ولطمت على وجهها ونادت بموتها وفي تلك الدقيقة حضر الطبيب فسمع كلامها فتعجب وقال كيف ماتت فاني فارقتها وهي في راحة تامة وقد قاربت الشفاء . وقبل ان يدنو منها حضر والدها وهو يصيح وينادي بالثبور . ولما جسها الطبيب وتأكد موتها قال هذا من اعجب العجائب فالويل لهذه العائلة فانها لا تبالي بقصاص الحكومة ولا تراعي شروط الانسانية ولا تخاف خالق البرية فصاح دي فيلفور الويل لي انا المتهامل فقد قادني عدم الاعتناء الى فقد اعز الناس عندي ثم امر الخدم ان ياتوه بزوجته فاتت متجاهلة ووقفت مستخبرة عن هذا الامر ولما اخبرت بموت فالنتين بكت وناحت واما الطبيب فانه تقدم من كاس الشراب فوجد فيها بقية من الشراب الممزوج بالسم فاخذ

قدر ذرة وذاقها بلسانه ليعرف قوة فعله فتعجبت زوجــة دي فيلفور من اين اتى الشراب الى الكاس مع انها صبت كل ما فيها ومسحتها بالمنديل ولم تعلم ان الكونت رماها بشر اعمـالها واذ ذاك قال الطبيب قد فهمت الآن تركيب هـذا الدواء وقوته ووقع الخوف في قلب الخدم فمنهم من هرب ومنهم من قام منتظراً دفن المائتة ولم ينصرف الى حاله وبينما هم في ارتباك واذا بمكسيمليان قد دخل صائحاً نائحاً يلطم على وجهه ويصفق بيديه ويقول هل ماتت حبيبتي ذهب رجائي قطعت آمالي واحسرتاه عليك يا فالنتين خلفت لي الحزن وفي ظنك اني اعيش بعدك لاحتمله فمن قريب اذهب اليك اصبري عليَّ فقط لاخذ الثار من عدوك ثم رمى بنفسه عليها يقبلها خالعاً ثوب الخجل فاندهل الجميع من عمله ولا سيا دي فيلفور فانه لم يعهدان بين مكسيمليان وبنته روابط حب ومودة وقد اثر فيه كلامه وزاده حزناً الا انه غضب من قوله آخذ لك بالثار فصاح به قائلاً لما ايها الجسور تدخل بيتي وتتعدى حقوق الاداب وتتكلم بكلام خارج عن الانسانية اذهب من بيتي فقد كفاني ما دهاني فلم ينتبه ابن موريل الى كلامه بل زاد في تعداده حتى ظن الطبيب والجميع انه مجنون لا محالة ثم ذهب مكسيمليان الى نوارتيه جد فالنتين واعلمه بموت فالنتين وانهضه على كرسيه واتى به الى المخدع الذي فيه جسدها فلما نظرها نوارتيه بكى ثم التفت الى ابنه مشيراً ولسان حاله يقول له انظر الان ثمرة اعمـالك الى اين اتت بك واما ابن موريل فلم ينفك عن البكاء وهو يقول لنوارتيه انظر ياسيدي كيف صار بخطيبتي ومالكتي غدرت بها ايدي اللئام اهلكوها ظلماً وعدواناً لا بد لي من اخذ ثارها قبل ان اسير اليها عاهدتها وعاهدتني على دوام الحب فهـا انا قائم لعهدي بعد قليل ساقيم بجانبها وكان ابن موريل يعدد هذا التعداد والحاضرون يبكون من كلامه وقد تاكدوا انه خطيب فالنتين فرثوا لحاله ولاسيا دي فيلفور اذثبت لديه انه يحب بنته وان بنته كانت تحبه وانهما تعاهدا على الزواج ولهذا ساله السماح

وقال له فهمت الان انك احق من الجميع بالحزن لانك خطيبها وانها حبيبتك فارجوك المعذرة عما سبق مني في حقك فاني كنت اجهل امرك ولا اعرف ما بينك وبين فالنتين وها الان قد ماتت وتركت لنا لوعة لا تنقضي بكرور السنين وقد ذهبت كل امالك التي كنت ترجوها فاسأل الله ان يرحمها برحمته واشفق على نفسك وكن صبوراً فاجابه لا صبر لي بعدها فما قريب نجتمع معاً ولكن حيث قاكد عندي انها ماتت مسمومة فلا بد لي من معرفة عدوها قبل الاجتماع واكد ان كلامك هذا وخداعك لا يلين غضبي ولا يشفي مرضي بل يزيدني ناراً على ناري ولو انها ماتت موتاً طبيعياً لكانت تلك اعمال القضاء والقدر فقال دي فيلفور دعني في مصيبتي فقد كفاني ثقل هذه المصيبة فقال كيف ادعك وانت وكيل الملك الم يقمك محامياً على حقوق الشعب لحفظ الراحة العامة وللبحث عن كل جانٍ ومرتكب الم يكن من وظيفتك التفتيش على هذا القاتل وتسليمه الى ايدي الشرع والنظام واما نوارتيه فكان ينظر الى ابنه وحركات عينيه تدل على انه كان يقول لولده لقد اصاب مكسيمليان في قوله فقال دي فيلفور وهو في حالة ذل يشير الى مكسيمليان والطبيب بالرحمة اني لا ارى يا قوم عدواً في بيتي انما الموت الذي وقع فيه هو فعل الاقدار فاعترضه مكسيمليان وقال له اني مستعد لان اثبت ان كل من مات في بيتك مات مسموماً ويشهد بصدق قولي هذا الطبيب الذي وقف على تركيب السم مراراً ويعرف من مات منه وان انكر فاني اذكره واذكرك باليوم الذي كنتما فيه على انفراد تحت الظلام اي في الليلة التي ماتت فيها جدة فالنتين وكنتما تظنان ان لا احد يسمعكما مع اني كنت بجانبكما وقد سمعت كل ما تكلمتماه ولا بد لي من ان اعرضه للحكومة وابين لها افعال وكيل ملكها لانه لو لم يكن لك في هذا الموت مآرب ومقاصد لما كنت تسكت عنه وقد تكرر مراراً فلحق دي فيلفور من كلامه خوف عظيم وحسب لذلك الف حساب واما مكسمليان فانه وجه كلامه الى جسم فالنتين فقال واسفاه يا فالنتين

اتذهبين لا وداع ولا سلام لكن قسماً بحبك انني ساتبعك انا بعد اخذ ثارك واهلاك عدوك ثم رمى بجسمه عليها يقبلها وقد بل دمعه مرتبتها فرثى له الطبيب وقال لدى فيلفور اعذرني يا سيدي اذا قلت لك اني مجبور ان انقاد الى تنفيذ ارادة هذا الشاب ولا يمكنني الانكار ولئن كنت لي من اعظم الاحباب ولا بد ان الحكومة تعاقبني حيث تهاونت ولم اطلعها على القضية من حين المبتدا فرفع دي فيلفور عينيه الى السما وطلب مساعدة الله كونه مرتكباً من تلك الاسباب التي اخذت قسماً من عقله وصيرته اشبه بالمجانين لا يعرف كيف يتصرف ليتخلص من اللوم والتنديد . واما مكسيمليان فانه قال الى نوارتيه اتقدر ان تعرف ياسيدي من هو صاحب ذلك الفعل . اشار بعينيه نعم ثم اشار الى ولده لكي يقرب منه وان لا يبقى احد من الحاضرين ولما خلا المكان بهما اعلمه بصاحبة هذا الفعل الذميم . وبعد ذلك قال دي فيلفور ارجوك ايها الطبيب وانت يا مكسيمليان ان تكتما امري لاني قد عرفت يقيناً من امات بنتي وقد وطدت نفسي على هلاكه وان كان من الاعزاء . فقال مكسيمليان ان كل هذا لا يعنيني وجل غايتي ان انتقم من قاتلها بنفسي وقد قسمت على ذلك . ثم خرج وهو في حالة يأس وكدر وهام لا يعرف طريقه . واما الطبيب فانه غاب واحضر طبيب الحكومة الرسمي فنظر فالنتين المائتة واعطى تقريراً بثبوت موتها ثم سال دي فيلفور طبيبه ان يدعو جاره الخوري بوسيوني ليحضر دفن المائتة فسار اليه الطبيب وطلب اليه ان يأتي بيت دي فيلفور فقال له انني عزمت على المسير قبل ان تأتي لتدعوني حيث بلغني موت فالنتين فان الجار ملزوم بالقيام بكل ما تدعوه اليه واجبات الجوار ثم دخلا معاً وبعد ان قدم الخوري فروض التعزية لدي فيلفور دخل الغرفة الموجودة فيها فالنتين فصلى عليها ثم قفل الابواب وسار من داخل الغرفة الى غرفة نوارتيه فاجتمع به وتكلما سراً كلاماً طويلاً يتعلق بزوجة ابنه وحفيدته ثم ذهب الى محله وفي الساعة الحادية عشرة من اليوم الثاني اتى

الطبيب والاقارب والاصحاب لينقلوا جسم المائتة الى القبر . وكان البعض ينتظرون ان يروا الكونت في ذلك المأتم ولم يعلموا ان الكونت قبل ذلك الوقت بقليل ذهب الى محل البارون دنكلار فوجده في هموم واكدار فبعد التحية والسلام قال له دنكلار لما يا سيدي الكونت من حينا اصابتنا تلك المصيبة لم تأت بيتنا على انك من اعز الاصدقاء والمحبين ومن بعد ذهابك في نفس الليلة سافرت بنتي الوحيدة . فاجابه الكونت ان من كان مثلك شهير الاسم بين الخاص والعام لا تؤثر فيه مثل هذه الحوادث فكم من الامور الصعبة قد مرت عليك وانقضت وكيف تشغل نفسك بمثل هذه الاحوال محلك التجاري والمالي يحتاج الى ادارة واسعة وتدبير حسن . الا تعلم يا ايها البارون دنكلار ان عموم اهالي باريس تعتقد فيك الغنى المفرط والصدق والامانة واكبر بنوك هذه البلاد يرغب ان يكون له علاقة بمحلك الشهير . فزاد هذا الكلام كبرياء دنكلار وتوهم في نفسه فوق ما يظن فقال صدقت يا سيدي الكونت فاني مشغل بامور كثيرة ولاسيما واني قد امضيت الآن اربعة تحاويل على بنوك متفرقة كل منها بمليون فرنك . فقال الكونت ان هذا من العجب كيف يكون كل هذا في يوم واحد فارني هذه التحاويل على من فدفعها الى الكونت واذا قد كتب بها هكذا (تحويل على بنك فرنسا) المرجو من جناب مدير البنك ان يدفع المبلغ المرقوم اعلاه وقدره مليون فرنك الى ناقل هذا التحويل وقيدوه بحسابنا (الامضاء) دنكلار . فقال الكونت حيث جرت هذه التحاويل فارجو ان تسمح لي في قبضها من اصل المبلغ المحول عليك به من محل الخواجات تومسون واعطيك به وصلاي بستة ملايين فرنك ويكون الباقي لي نحو مائة الف فرنك فلما سمع دنكلار هذا الكلام وقع في حيرة وجعل يزدرد في ريقه ثم قال للكونت ان هذا لا يمكنني الان لاني محول بهذا المبلغ الى الفقراء كونه امانة عندي لجمعية الاحسان وعلى ما اظن ان موسيو دي بوفيل وكيل الجمعية يحضر قريباً ليقبض

هذا المبلغ. قال اذا كان لا يمكنك ذلك لا باس انا ما اعهده وما يعهده محل تومسون ان محلك لا يعسر عن دفع ملايين من الليرات في يوم واحد لا سيما وانا مزمع ان اعطيك وصلاً على المحل المذكور لتقبض المبلغ منه اي وقت شئت فخجل دنكلار من كلامه ووسوس له شيطان الطمع ان يضيع هذا المال على الفقراء ويهرب من باريس ولذلك قال للكونت اني اقبل بان اعطيك التحاويل بشرط ان تعطيني وصلاً لاقبضه من محل الخواجات تومسون الشهير انا يبقى لك عليّ غير هذه التحاويل مائة الف فرنك قال اعطيك وصلاً بستة ملايين فرنك والذي يبقى وهو مائة الف فرنك اهبك اياها مقابلة لفائض المال فلم يصدق دنكلار كلامه بل قال له صحيحاً ما تقول قال اني لا اقصد المزح ولا سيما في امور جدية نظير هذه وفي الحال وضع الكونت التحاويل في جيبه واعطاه وصلاً بكامل المبلغ يحوله به على محل تومسون فما صدق ان اخذ الوصل في يده حتى كاد يطير من الفرح وقد تأكد انه ربح مائة الف فرنك عدا عن المال الموضوع امانة لجمعية الاحسان واما الكونت فانه ودع دنكلار وذهب وما بعد الا القليل عن بيت دنكلار حتى صادف موسيو دي بوفيل آتياً الى هناك بطلب التحاويل فحياه وسار واما دي بوفيل فانه دخل على دنكلار وطلب اليه ان يسلمه الدراهم فقال له هي الان في البنك ولا يمكني ان احول عليه الان فارجوك ان تمهلني . قال لما هذه المحاولة فان الجمعية في احتياج الى التوزيع فارجوك الدفع حالاً فاني لا اريد ان اصبر قال ارجوك يا ايها الموسيو التأني فاني في هذه الساعة حولت على البنك بمبلغ يفوق المبلغ الذي لكم في محلي وذلك الى الكونت دي مونتو كريستو وان كنت لا تصدق فهاك الوصل المأخوذ منه . فاخذ بوفيل الوصل ولما قرأه تاكد صدقه فقال له دنكلار واذا كنت لا تريد ان تمهلني فخذ هذا الوصل فهو يزيد عن مال الفقراء وما ذلك الا لحفظ شرف محلي بين اصحاب البنكات لاني لو حولت بيوم واحد بعشرة ملايين فرنك لارتبك الجميع من محلي وظنوا

به السوء فقنع دي بوفيل من كلامه وقال له اذاً ساعود اليك بعد مدة فارجو ان تكون مستعداً للدفع اذ لا يمكن المماطلة اكثر من ذلك وربما تكلمت بنا اصحاب الاحسان فوعده بذلك . ثم قال دي بوفيل اني اسالك عن هذا الكونت هل هو غني بهذا المقدار حتى يحول عليك بملايين من الفرنكات قال اني لا اعرف مقدار غناه وخلاصة ما اعرفه عنه انه محول علي من محل الخواجات تومسون تحويلاً غير محدود ومثله على محل لافيت وعلى بنك روتشيل قال اذا كان غنياً بهذا المقدار فلا بد من الذهاب اليه عله يهب للفقراء شيئاً . ثم ودعه وخرج ودنكلار يقول له مسكين يا بوفيل اتظن اني مجنون حتى ادفع لك هكذا مبلغ واذا دفعته فاذا يبقى عندي واخيراً وطد نفسه على السفر الى رومية لقبض تحويل الكونت وفي فكره ان لا يعود فيما بعد الى فرنسا واخذ من ذلك الحين يهيئ ما يلزمه للسفر ويجمع امواله وينهي اشغاله

ولنرجع في الحديث الى بيت دي فيلفور فانه بعد ان اكتمل الجمع رفعت المائتة على مركبة مخصصة للاموات وسارت من خلفها جماهير من الناس في مركباتهم وعددها اكثر من خمسمائة مركبة وفيما هم سائرون ادركهم الكونت دي مونتو كريستو وسار معهم حتى انتهوا الى المقبرة فنزل الجميع لدفن الجسم في التراب فهناك اخذ الكونت يفحص عن صديقه مكسيمليان فلم ير له في البداءة اثراً الا انه اخيراً وجده وهو مبتعد عن الناس مستتر بقبر عال فجعل يراقبه الى ان دفنت المائتة وذهب الجمهور ولم يبق احد واذ ذاك نهض ابن موريل واتى جهة مدفن فالنتين وجعل يبكي وينتحب ويصيح من فؤاد كواه الهوى وعذبه الفراق . فدنا منه الكونت ووضع يده على عاتقه فالتفت اليه فعرفه فقال له دعني ياسيدي الكونت فانك تهاملت في مساعدتي فلم يجبه الكونت بل مسك يديه وقد خاف ان يقتل نفسه ويتبع عروسه . فاعاد عليه وقال له ارجوك بتربة ابائك ان تبتعد عني وتدعني ابكي هذه الدرة اليتيمة التي فقدتها علّي ابرّد بالبكاء هيجان قلبي . فحينئذٍ تركه الكونت وبعد

عنه وعيناه لا تزالان ترقباه وبعد برهة قام مكسيمليان من مكانه ومشى في الطريق هائماً ولهاً حزيناً كئيباً فتبعه الكونت وهو يتاسف على حالته حتى انتهى الى البيت ودخله فدخل وراءه فصادف جوليا شقيقته فقال لها هذا اخوك قالت نعم وعلى ما اظن انه متكدر ودخل الغرفة لينام فتركها الكونت وقرب من باب الغرفة التي فيها مكسيمليان فلم يسمع له صوت ولذلك لم يقدر على الاصطبار وخاف من انه يهلك نفسه فدق الجرس فلم يجبه احد فعمد الى النافذة وضرب الزجاج فكسره ودخل عنوة فقام فكسيمليان غضباناً ولما رأى انه الكونت تعجب من عمله ولم يقدر ان يلفظ كلمة الا انه تكدر من دخوله عليه فسأله الكونت ماذا كنت تعمل وحدك اجاب لا شيء. قال لما هذا القلم في يدك وهذه الطبنجة على المائدة قال اني قصدت السفر ولذلك عزمت ان احرر لاصحابي واهلي بمكان سفري كي يعرف الجميع منتهى مسيري فاخذ الكونت الورقة التي كان يحرر فيها رغماً عن ارادة مكسيمليان فاذا هو مكتوب فيها

« اني انا المحرر اسمي ادناه قد قتلت نفسي بيدي لاسباب تتعلق بي وحدي لا يمكنني شرحها ولا اريد ان يطلع عليها احد ولذلك لا يطالب احد بدمي »

فصاح به الكونت صياح الزاجر اهل اصبت بالجنون فدع عنك اوهامك الباطلة وعش بالهناء معي واترك الامور لتدبير العناية فاني لم اسع فيما انا ساع به الا لاجلك ولا اتيت مهتماً بك الا وحفظ حياتك يهمني ولي حق التسلط عليك فاجابه بحنق دع عنك المحال يا هذا الكونت فلا يهم امري احداً ولا احد يقدر ان يتسلط عليَّ لا سيما وقد خنت قولك واخلفت وعدك الم تقل لي حينما استشرتك بما اصاب فالنتين انك تساعدني وانك لا تدعها تموت فهوذا قد كذبت في كلامك وغششتني وما ذلك الا لكون عائلتها من اعدائك والبرهان انك قلت لي انك لا تريد ان اتدنس بالقرب من تلك العائلة فدعني

واذهب عني وماذا يعنيك مني ثم مال مكسيمليان الى الطبنجة لياخذها فهجم عليه الكونت وقبض على يديه حتى لم يعد يقدر ان يحركهما وقال له بحنق اثبت ايها المجنون فانه لا يهون عليّ ان ارى ابن موريل قتيلاً وهو صديقي قال مالك ووالدي ومن اين تعرفه ذاك قضى سعيداً وتركني اتعذب بعده قال لا يمكن ان تتعذب وانا حي فاني ابوك واشفق من ابيك الا تعلم انه صديقي فانا الذي خلصته من الموت ومن كسر الاسم وانتشلته من الخراب انا الذي اعطيت اباك الكيس الحرير الاحمر مملوءاً من الذهب وبه الحجر الكريم والتحاويل بواسطة شقيقتك جوليا وقد ارسلت اليها الكتاب بامضاء السندباد البحري وانا الذي عوضت على والدك مركبه فرعون بعد الغرق وقد بعثت رجلاً من قبلي مع ملاحيه الى الهند فاتوا بمركب نظير الاولى مشحونة بالدودة الثمينة وانا ايضاً ذاك الرجل الانكليزي الذي ادعيت اني مرسل من قبل الخواجات تومسون واشتريت كل التحاويل والكامبيالات التي كانت على ابيك فارجعتها لمعملته بالقبض منه فبحق كل هذا المعروف ان ترجع الى نفسك وتترك لي تدبير امرك وطالما اشغلت نفسي بك وقد حملتك الوف مرات على يدي وانت صغير وان كنت تشتبه في ذلك فانا هو ادمون دانتاس احد خدمكم القديم قد اوصلتني ايدي الزمان ان اكافئكم على معروفكم فكان الكونت يتكلم ومكسيمليان محدق به ومتعجب منه . ولما انتهى صاح بصوت عال جداً هيا بنا يا جوليا يا شقيقتي يا صهري عمانوئيل يا بناوب هلمّ فانظروا ذاك الذي مات ابي متحسراً على نظرة منه ثم ركض الى الباب فوجد الجميع قد اسرعوا متحيرين لايعرفون سبباً لهذا الصياح . فلما قربوا منه قال هيا اسجدوا لهذا الرجل الكريم الذي صرفنا العمر في التفتيش عليه وهو صاحب الجميل والمعروف الذي منع محلنا من الخراب وابعد عن ابي الموت وحفظ لنا اسماً عظيماً ممدوحاً بين الاقران فهو الانكليزي وكيل محل الخواجات تومسون وهو السندباد البحري وهو باعث الكيس الاحمر والجوهرة النفيسة واذا شئتم ان

تعرفوه بالتمام فهو . . . فقاطعه الكونت واصار اليه ان لا يذكر اسمه الاصلي . فقالت جوليا نعم هو هو نفسه وقد اخبرتك يا مكسيمليان من اول مرة رأيته اني اتذكر انه معروف عندنا قبل ذلك واني سمعت كلامه قبل تلك المرة فاشكر الله على انعامه حيث اوصلنا اليه وعرفناه ولا ريب ان قلبي الذي كان يميل اليه دائماً كان ينبهني انه يجب علينا حبه وخدمته . ثم تقدمت وقبلت يداه ومثلها فعل عمانوئيل والجميع وهم يصفقون من الفرح . ثم اتت جوليا بالكيس وقالت هذا يا سيدي التذكار الجميل . قال نعم ان هذا الكيس كان لا يثمن قبل ان ارجع اليكم فكم بالحري بعد ذلك فهو دون شك وسيلة كبرى للخير وهو افضل من كثير من الناس الذين اعتادوا فعل الشر والفساد ثم طلب الكونت ان يخلو بمكسيمليان فلما انفردا قال له اريد منك يا صديقي وابن صديقي ان تعاهدني ان لا تضر بنفسك بل تصبر الى حين المنتهى وعليّ ان اجمعك بمحبوبتك التي تظن انها ماتت فقال ماهذا يا سيدي اهل تقدر تحيي العظام ففالنتين ماتت وبعيني شاهدت جسدها منفصلاً عن الروح وامامي دفنت ووضع فوقها التراب قال اقسم لك يا مكسيمليان بمحبة ابيك وما له عليّ من الايادي الجميلة اني اعدك ان بعد ثلاثين يوماً تجتمع بفالنتين وتنال منها ما انت طالبه قال اني اكاد لا اصدق يا سيدي الكونت واذا علقت نفسي بالمحال اخاف من ان تهلكني الوساوس واتعذب من نفسي . قال اني اكرر عليك ذلك واعدك وعداً صادقاً انك بعد ثلاثين يوماً تجتمع بفالنتين ويصفو لك الزمان ولا تتعجب من هذا الامر فسوف تعلمه ولو لا تيقني بحياتها لما وعدتك هذا الوعد وانت تعلم اني لا صديق لي بين كل هؤلاء الجماعة المنافقين الآن فيجب ان تصبر ثلاثين يوماً فاذا لم أفِ لك بقولي فافعل ما شئت بنفسك وعند ذلك اقسم مكسيمليان انه يستكن ثلاثين يوماً فاذا لم تحضر فالنتين فحينئذٍ يقتل نفسه فضمه الكونت الى صدره وقبّل له لا بد من اطفاء نارك فاذهب معي الان الى البيت فان عائلة اليونانية مزمعة

على السفر فاحب ان تقيم عندي في مخدعها وان لا تبعد عني ولا دقيقة حتى يمضي هذا الاسبوع وبعد ذلك نسافر في اثر عائدة لنصرف هذه المدة ثم ذهبا الى القصر وقاما معاً

الفصل الحادي عشر

في سفر دنكلار وما كان من امر مرسيداس وولدها البير ومحاكمة بندتيو ونهاية اخذ الثار من دي فيلفور

تقدم الكلام عما وقع في دنكلار من التأخير وانه قرب من الافلاس ولم يبق عنده الا دراهم قليلة لنفسه والمبلغ الموضوع امانة للفقراء الذي اخذه منه الكونت ولما راى انه قرب على الافلاس عزم على الفرار الى رومية وانه ياخذ التحاويل بامضاء الكونت على محل الخواجات تومسون ولم يعلم ان الكونت صارف الجهد في ارجاعه الى الفقر والفاقة وكل ما لحق به من الاضرار ناتج عن تدبيراته ولما وطد نفسه على السفر وانتهى من كامل ما يلزمه كتب كتاباً الى زوجته وهو :

الى قرينتي المحترمة

انه لا خفاك ما لحق بي من الخسائر في هذه السنة حتى لم يعد يمكنني ان ادفع مما هو مستحق علي من الديون درهماً واحداً وقد استحق الان مقدار خمسة ملايين فرنك وهي المطلوبة مني الى موسيو بوفيل وكيل الفقراء وقد دفعت هذا المبلغ الى الكونت دي مونتو كريستو وبات دي بوفيل ينتظر قبضه وحيث لم يكن في وسعي دفعه عزمت على السفر اذ لم يعد لي مقام في هذه البلاد لا سيما بعد ذهاب بنتي التي ربما لا اعود اراها فيما بعد واني اطلقت لك الحرية التامة التي دون شك توافق غاياتك وقد كفى ما كان من تكدير العيش بيننا في كل ايامنا الماضية واني كنت قد تزوجت بك وانت لست بهذا المقدار غنية انما ما سلبتيه مني بالاحتيال يكفيك لان تعيشي به سعيدة فاما

ان تتبعي ابنتك واما ان تتبعي اهواء نفسك والسلام   الامضاء

زوجك دنكلار

ثم بعد ان مضى التحرير وضعه على المائدة في مخدعه وركب المركبة وسافر تحت الظلام . وفي الصباح نهضت زوجة فاخذت الكتاب وقرأت ما فيه فلم يؤثر فيها بعد زوجها كما انها لم يؤثر فيها فراق بنتها وكان جل اهتمامها موجه الى ان تعرف ماسيصير ببنديتو وكانت واضعة دراهم في احدى المحلات فاخذتها وابقتها عندها وصبرت لتحضر محاكمة بنديتو صهرها الجديد وكان كل قلبها وفكرها عنده وهي غير عالمة انه ولدها بالزنا

قلنا ان مرسيداس سافرت مع ولدها البير لتبعد عن زوجها ايضاً ولما وصلت الى مرسيليا اقامت اياماً حتى فرغ منها المال فدعت ولدها اليها وقالت له ان المال معنا قليل فقال لها انسيت المائة وخمسين ليرا التي سمح لك الكونت بها قالت الان اذهب الى الجنينة فاذا وجدتها احضرها قال وانا ايضاً يمكنني ان اعطيك الفي فرنك قالت من اين اتاك هذا القدر قال اني ذهبت الى دار الحكومة فوجدت رجلاً يطلب ان يقدم عنه بدلاً للعسكرية فاعرضت عليه نفسي فوافقت المراد فاتفقت معه على الفي فرنك قبضت منها الفاً معجلاً والالف الباقي مؤجلا . فتكدرت والدته وقالت له كيف ياولدي تتركني وحدي تعيسة منكودة الحظ ليس من يسليني قال هكذا حكمت يد العناية الالهية . ثم اقامت في مرسيليا في بعض الاديرة ودخل ولدها في السلك العسكري وسافر من هناك الى الجزائر . وكان الكونت متحسراً على ما اصابها لانه كان يقول في نفسه ما ذنب هذين الشخصين فانهما تعذبا بجريرة ذاك الشقي فرنان الذي اماتته شقاوته وبقي الكونت لا يغفل عن السؤال عنهما والوقوف على اخبارها ولم يتهامل ايضاً عن ايصال مساعدته اليهما

ولا يغفل القارئ ان بنديتو الذي يدعى دي فالكانتي قد قبض عليه وارسل الى سجن باريس ليحاكم هناك على قتله كادروس فكان في بداءة دخوله في

السجن يتظاهر بانه من الامراء الايطاليين وكان يتوهم انه لا بد من ان ياتي رجل شهير يخلصه من سجنه ولذلك كان غير متقدر من سجنه ولا خائف انما لم يكن في جيبه دراهم ففي ذات يوم اتى مامور السجن وساله ان يسلفه عشرين فرنكاً فابى واعرض عنه فالتفت الى المسجونين وقال لهم ان هذا الرجل يجهل قدري ولم يعرف اني الامير دي فالكانتي فضحكوا عليه وقال له احدهم يجب ان تنفق علينا ايها الامير لاننا كلنا هنا عائلة واحدة وقال له اخر ان لم تهبنا شيئاً من مالك اشبعناك ضرباً واجبرناك الى ذلك فلما راى منهم ذلك عرف انه لا يقدر ان يقيم بينهم بهذا الاسم ولذلك قال لهم بالحقيقة انكم مجانين نظير السجان الا تعلمون اني انا بنديتو مجهول الام والاب وقد سجنت وتخلصت وما تظاهرت بهذا الاسم الا لاخفي نفسي كي لا تعرفني الحكومة ولكي تتسهل لي اسباب النصب على ان لا بارة معي الم تروني طلبت عشرين فرنكاً من السجان وما قصدي الا لانصب عليه فعرف الجميع انه اشر منهم فسكتوا عنه وصار بينهم كواحد منهم وبينما كان ذات يوم جالساً اتاه خادم السجن وقال له ان رجلاً يطلبك فتحقق حينئذ ما كان يؤمله من خلاصه على يد رجل شريف وهو الكونت صاحبنا فنهض مع السجان واتى المحل المعد للمقابلة وهناك وجد ارتيشتو فقال له كيف صحتك يا بنديتو وظن انه اتى لينتقم منه ويقيم دعواه عليه فقال من اتى بك هنا يا ارتيشتو فقال له لا تخف فاني اتيت لخلاصك من هذا السجن فتهلل وجه بنديتو بالفرح وسكن روعه وقال له هل عرفت والدي الحقيقي وهل تقدر ان تطمني ابن من انا قال سوف اعلمك بكل شيء. انما الان قد احضرت امراً الى مامور السجن لينقلك من سجن المجرمين الى مكان اخر تحصل منه على الراحة ويمكن جميع اصحابك ان يزوروك ويقيموا عندك لينما تجري المحاكمة وتتسهل لك طرق الخلاص ففرح بنديتو بهذه البشارة وتيقن الخلاص واذ ذاك شرح له ما فعل معه الكونت دي مونتو كريستو وكيف دعاه بالامير دي فالكانتي ووهبه

اموالا عديدة حتى انه عزم على الزواج باعظم غنيات فرنسا وذلك بتعريف الخوري بوسيوني وقال له في اخر الكلام اني اتعجب كيف ان الكونت بعد هذه المعاملة الحسنة يتغافل عني عند الضيقة ولم يساعدني قال ان الكونت لا يتغافل عنك لو لم تعامله بالخيانة وتنكر جميله قال وبما عاملته فقال قد حركت بعض اللصوص على سرقة بيته ولم يكفك حتى قتلت اللص داخل بيته لتوهم الحكومة انه هو القاتل وقد جحدت جميله كما جحدت جميلي وما لي عليك من حقوق التربية ومع كل ذلك فانه يوجد من يهتم بامرك ويسال عنك غير الكونت وفي تلك الساعة حضر خادم السجن واعلن بفراغ الوقت المسموح فيه مقابلة المسجونين فالتزم ارتيشتو ان يبتعد عن بنديتو ووعده انه يعود اليه في اليوم الثاني ولما كان اليوم التالي في الوقت نفسه حضر ارتيشتو فاجتمع ببنديتو على انفراد واطلعه على بواطن القضية وظواهرها مما سياتي في محله ثم ودعه وذهب وكان اليوم الثاني هو اليوم المعين لمحاكمة بنديتو العلنية اذ تجتمع القضاة والشهود وكثير من المتفرجين وكتبة الجرائد وتقام الدعوى من وكيل الملك موسيو دي فيلفور الذي كان قد صمم من كل نيته على انه يحمل المحكمة على الحكم باعدامه لانه حكم عليه قبلًا بالسجن المؤبد ففر الا انه قبل ان يذهب دي فيلفور الى مجلس المحاكمة دخل على ابيه فوجده مقطباً غضوباً فقال له اني اعلم يا ابي ان غضبك هذا لعدم قيامي بالاقتصاص من ذاك المذنب فرف له بعينه وقال لا بد لي من القيام به الان لاني اخاف ان تهاملت نقع في مصيبة اكبر ثم ترك والده وذهب الى مخدعه وما استقر حتى اتاه الخادم بالاكل فقال له من بعثك به الان قال ان سيدتي امرتني ان اتيك بالاكل لعلمها انك ستذهب الى المحكمة قبل وقت الغذاء وامرتني ايضاً ان استاذن منك ان تسمح لها لتذهب الى المحكمة وتحضر محاكمة دي فالكانتي قال لا بد لي قبل ذهابي من مواجهتها وبعد ان فرغ من الاكل نهض الى غرفتها فوجد ابنها عندها فامره ان يخرج فاخرجه رغماً وقفل

الباب عليه وعليها فارتابت من ذلك وكاد يغشى عليها وحسبت لذلك الف حساب ولما وقف محاذيها قال لها اين تضعين السم قالت واي سم هنا ومالك تتكلم كلام من اضاعوا عقولهم قال اتظنين اني اجهل فعلك وقد قتلت دومارند وزوجته والخادم ولم يكنك ذلك حتى قتلت ايضاً ابنتي فالنتين وهي في شرخ الصبا وحيث تأكد عندي ان موتها كان بتدبيرك فلا بد من ان الحقك بها وهذا من العدل فان القاتل يقتل قالت ان كنت انت بعلي تنسب اليَّ هذا الفعل وتتهمني بما لا يمكن فعله فلمن اشتكي امري قال لست الان بعلك بل اكلمك نظير وكيل الملك المسئول بالدعاوى العمومية فلا بد ان انفذ حكم الشريعة فيك قالت ارجوك ان ترفق بي وترحمني ولا تظلمني لان لا علم لي بكل ما تقوله قال وهل ما برحت مصرت على الانكار فلا بد لي من موتك لا كالمجرمين لانك زوجتي قالت بحق المحبة التي بيننا ان تترك عنك هذه الاوهام ولا تحرمني من القيام بتربية ابني الوحيد قال لا بد من الموت على اي حالة كانت واني اخاف ان تميتي ولنك كما امت غيره وجل قصدي اعدامك سراً كي لا يقول احد ان زوجة وكيل الملك قد ارتكبت جرماً خطيراً ولا يعلم بموتك احد فرمت بنفسها على رجليه وهي ترجوه السماح فرفسها وقال اني ذاهب الان الى المحكمة فان عدت ووجدتك فلا بد من تسليمك الى ايدي الحكومة ثم خرج غير ملتفت الى بكائها ونواحها ولما قرب من المحكمة وجدها غاصة بالجماهير المختلفة ومن كثرة الازدحام ضاق المقام حتى وقف كثير من القوم خارج ابواب المحكمة والجميع يتحدثون بامر دي فالكانتي وقبح اعماله ولما دخل دي فيلفور قام له الجميع وقوفاً ثم جلس على كرسيه المخصصة وفي الحال قرع الجرس فسكتت الغوغاء فامر الرئيس ان يوتى ببنديتو ليحضر مع المحامي الذي تعين للمدافعة عنه ولما دخل المحكمة نظر الى تلك الجماهير يميناً وشمالاً وهو يتبسم ويضحك غير مكترث بما سيحل به ثم جلس على كرسي بقرب كاتب الضبط وجلس بقربه

المحامي فتح الرئيس الجلسة وطلب من المدعي العمومي تقديم دعواه وما هي البراهين التي يقدر ان يقدمها على المدعى عليه وفي الحال اخرج المدعي العمومي ورقة كتب عليها دعواه فقرأها بسماع الجميع موجهاً دعواه الى بنديتو مستنداً على اسبقيات بنديتو وعلى قول كادروس المقتول وعلى هربه ومسكه في اللوكندة من داخل داخون اللوكندة وعلى هربه ايضاً من سجن طولون واختفائه تحت اسم الامير دي فالكانتي . ولما انتهى دي فيلفور من ذلك دفع ورقة الدعوى الى الكاتب لتحفظ في جريدة الضبط . ثم طلب الرئيس الى بنديتو ان يدافع عن نفسه فاجاب اني لست المقصود فسأله الرئيس ما اسمك ولقبك قال اني اعجب منك ايها الرئيس كيف تجهل اسمي ولقبي فتعجب الرئيس والجميع من جسارته وقال له كم سنة عمرك قال عمري ٢١ سنة لاني ولدت في الليلة الثامنة والعشرين من شهر ايلول سنة ١٨١٧ فحرك كلامه هذا حواس دي فيلفور ورفع رأسه ناظراً اليه فقال له الرئيس اين ولدت قال في قصر قرب باريس يدعى اوتل قال وما هي صنعتك قال كنت في بادئ عمري نصاباً ثم امتهنت اللصوصية ثم اتخذت صنعة سفك الدماء . فلما قال ذلك ضج الاعضاء والحاضرون وهم يتعجبون من جسارته وعدم اكتراثه وخوفه واما موسيو دي فيلفور فقد علا وجهه الاصفرار وجعل قلبه يخفق وقد سال العرق من جبينه وكان كمن يريد ان يتكلم فلم يقدر فقال له بنديتو هل يريد سيدي وكيل الملك ان يبدي رأياً فلم يجبه بشيء . وبعد ان رجع الهدوء والسكينة قال الرئيس دع عنك هذا الهذيان واخبرنا باسمك جلياً قال اني اتعجب منك ايها الرئيس كيف تنسب لي الهذيان على اني لم اتكلم الا بعين الواقع انما سؤالك عن اسمي فلا اقدر ان اعرفه لان كلاً من الناس يدعوني باسم غير اني اعرف اسم ابي ويمكنني اذا شئتم ان اقوله لكم ولما سمع دي فيلفور هذا الكلام وقع في قلبه موقع الجوارح وكادت تحرق احشاؤه ويطير عقله حتى كاد لا يعي ولا يعرف ما يقول فقال قل عن اسم ابيك قال

ان ابي هو دي فيلفور وكيل الملك الحاضر الان في هذا المقام يسمع ويرى فزجره الرئيس وقال احك الجد ياغلام ودع عنك هذه الاوهام فكيف تنتسب بوقاحتك الى وكيل الملك وكان جمهور المتفرجين يتحدثون بهذه القضية ويتعجبون من وقاحة بنديتو وكان بين تلك الجماهير امرأة دنكلار وقد حضرت لتسمع محاكمة بنديتو فلما سمعت كلامه كاد يغشى عليها فاسندت راسها الى الحائط وهي محللة العزائم ضعيفة القوائم وقد تاكد عندها ان هذا هو ولدها من دي فيلفور وخافت من الفضيحة والعار ثم قال بنديتو ارجوكم ان تسمحوا لي يا اسيادي ان اتكلم وتصغوا لي وتتاكدوا ان كل ما احكيه هو عين الواقع والصدق وقد سالتموني عن اسمي فاخبرتكم اني لا اعرفه بالتمام وعلى ذلك براهين وادلة انا اخبرتكم باسم ابي لتتحققوا نسبي وسألتم عن عمري فاخبرتكم وانا مستعد لاثبت كل ما اخبرتكم به فتبين الجميع من كلامه وجهاً للصدق لانهم نظروا الى موسيو دي فيلفور فوجدوه كالاموات في حالة غير طبيعية وهو مع كل هذا لم يجب بكلمة ولا اعترض الغلام. ثم قال بنديتو اهل تطلبون الي تقدمة البراهين على ما قلته. قال الرئيس كيف لم تقرر هذا في بداءة استنطاقك امام المستنطق والبوليس بل قررت خلاف ما تدعيه الان قال لو قررت ذلك في البداءة لما تيسر لي ان اجتمع في مثل هذا المحل النفيس واثبت حسبي ونسبي ليعرف الجميع من هو ابي ويتيقنوا فيما بعد اني من عائلة شريفة على اني وان كنت قررت اولاً غير الحق فالان اقول الحق وهو اني ولدت في اوتيل في بيت غرة ٤٨ بغرفة مفروشة بقماش من الحرير الاحمر النفيس وذلك في الليلة الثامنة والعشرين من شهر ايلول سنة ١٨١٧ واني دون ارتياب ابن وكيل الملك موسيو دي فيلفور ولازيدكم في التوضيح اقول حينما خرجت من العدم الى الوجود حملني ابي بلفافة من الحرير ونزل بي الجنينة ليدفنني هناك كي لا يظهر امري فشخص جميع الموجودين في دي فالكانتي لانهم يسمعون امراً عجيباً وكان جميعهم يميلون

الى تصديق كلامه واما الرئيس فكان من اصدقاء دي فيلفور ولذلك كان قد تكدر من انتساب هذا اللص اليه فقال له كيف يمكنك ان تعرف ذلك وانت في حالة الطفولية قال اخبرني بذلك الرجل الذي رباني لانه كان يعرفه وكان له عليه ثار فترصده زماناً الى ان وقع به تلك الليلة وما ذلك الا لطول عمري ولما حفر ابي الحفرة وعزم ان يدفني فيها انقض عليه ذلك الرجل وفاجأه بضربة خنجر القاه الى الارض طريحاً ثم قاده الى الحفرة وفي ظنه انه مات ورد عليه بعضاً من التراب ثم شفق عليّ فاخذني ودفعني الى الراهبات فبقيت هناك زماناً وبعد ذلك حضر اليَّ الرجل واخذني الى شقيقته فاعتنت بي وربتني وكانت حنونة عليّ واخذتني الى بلاد كورسيكا واني اقول لكم ايها السامعون اني لو بقيت في بيت ذاك الرجل لكنت سعيداً حتى الان ولكن بما اني ابن زانية وابي من الرجال الاشقياء جحدت جميل من رباني وخرجت شريراً محتالاً حتى كنت اطلب الشر اينما كان . قال الرئيس وكيف لم تذكر اسم والدتك قال ماذا يعني والدتي فلا ذنب لها على اني لم اقصد ان اعرفها اذ لا يجب ان انتسب اليها فلما سمعت زوجة دنكلار هذا الكلام صاحت ووقعت الى الارض مغشياً عليها فادركها الناس ورشوا على وجهها الماء وهم متعجبون من حالتها ولما وعيت اخرجوها من المجلس وهي في حالة العدم ثم قال الرئيس لبنديتو لا ريب انك تكذب في كل ما تقول واننا لا نصدق ما لم تأتنا باقوى براهينك فتبسم بنديتو مظهراً التعجب من كلام الرئيس وقال له هل لم يكفك ما تراه في وجه والدي من الاصفرار وما يظهر عليه من الاضطراب ولم يتأكد لك من سكوته انه مصادق على قولي معترف به قال الرئيس بنظره الى دي فيلفور فوجده في حالة يرثى لها وقد اصفر وجهه وغارت عيناه وسال عرقه وضاع عقله واذ ذاك التفت اليه بنديتو وقال له يا ابتاه يطلبون مني شهوداً فهل يحتاج الامر الى شهود فلم يعد اذ ذاك في وسع دي فيلفور الانكار فنطق بالحق غصباً عن ارادته وقال اعلموا ايها

القوم ان هذا الغلام صادق القول وكل ما قاله فهو حق لانه ابني لا محالة
فاعترضه الرئيس وقال له تأنَّ يا موسيو دي فيلفور وانظر في العواقب على
معذور لان اموراً نظير هذه تضيع العقل وتذهب به ولو كان مكانك اعقل
رجال الدنيا لخسر عقله في مثل هذه التهمة قال كلّا فان ما قاله هذا الولد هو
الواقع قد سبق فعله بسماح من الاقدار وها انا ذاهب الى بيتي اقيم فيه الى ان
يدعوني الشرع الى الاقتصاص ثم قام من المجلس وخرج قاصداً بيته وحينئذ
قال الرئيس اني ارى الان ان الوقت قد فرغ فلا سبيل الى استماع المحاكمة
فلنؤجلها الى يوم اخر فانصرف الجميع يتحدثون بافعال بنديتو ويذمون دي فيلفور
على ارتكابه فعل الزنا والقتل

واما دي فيلفور فانه ترك المجلس وسار وهو لا يعرف طريقه المستقيم
وجعل يلوم نفسه ويوبخها وقال الويل لي انا الشقي كيف نظر الى قبائح الغير
وقبائحي لا تحصى وقد طلبت قصاص زوجتي على ارتكاب العظائم ولم انتبه
الى آثامي وقبائحي وندم على ما فعله مع زوجته وخاف من انه يدخل البيت
فلا يرى زوجته وتكون قد شربت السم فماتت فاسرع كي يدركها قبل
وقوعها في العدم ليطلب منها السماح ويرحل بها عن تلك البلاد ليعيش منفرداً
في احدى القرى بعيداً عن الاحباب والاصحاب ولما وصل الى محله دخل
غرفتها فوجدها على اخر رمق تقاسي نزاع الموت فقال لها ماذا فعلت قالت
فعلت ما امرتني ان افعله ثم وجد امامها زجاجة السم فتاكد انها شربت منها
فزاد لذلك كربه واضطرابه لا سيما عند ما وجد ان ابنه ادورد مائتاً بجانب
والدته ونظر بقربه ورقة فاخذها واذا مكتوب عليها حيث ان عملي من الاول
الى الاخر انعطافاً على ولدي وحباً بسعادته وحيث لا يمكنني مفارقته امتّه
معي ليدفن بجانبي كل هذا ودي فيلفور في هياج وانزعاج وقد اختل عقله
ولا ريب ان كل من وقع في مثل هذه الامور والمصائب لا يبقى على حاله
ولا بد من خسران حياته او خسران عقله ولذلك جعل يصرخ ويصيح على

غير وعي فانه فقد شرفه واولاده ثم ركض الى والده نوارتيه وهو على صياحه وبكائه فوجد عنده الخوري بوسيوني فارتعش وجزع لانه تذكر بواسطته ما كان حكاه الكونت دي مونتو كريستو ليلة الوليمة وكيف اخبر الحاضرين بتلك القضية التي كانت بينه وبين زوجة دنكلار . ولذلك قال له لما انت ايها الخوري هنا فاني لا اراك الا في وقت المصائب وكان الخوري فاهماً كل ما حل به الا انه كان يجهل ما حل بولده وزوجته فقال قد جئت لاصلي لابنتك لانها كانت ذات اطوار مستقيمة ليست نظيركم واني اخبرك اني مسرور بمصيبتك وقد اخذت بثاري منك وتم لي الانتقام على حسب المرام فاشكر الله الذي قدرني على اهلاك اخصامي فجفل دي فيلفور من كلامه وقال له كيف ايها الخوري تقول هذا المقال قال لست انا الخوري ثم رفع قلنسوته ونزع ثوبه الاسود فتامل وقال ها انت الكونت دي مونتو كريستو فقال لست انا الكونت بل تامل فيَّ جيداً علك تعرفني قال اني اتذكر اني سمعت صوتك هذا قبل الان انما لا اتذكر اين رأيتك وفي اي مكان . فقال سمعت صوتي من نحو ٢٣ سنة في مرسيليا يوم خطبتك على زوجتك الاولى ام فالنتين . قال لا ريب انك عدو الد وقد تحققت الان انك لست الخوري ولا الكونت فقال تذكر قبيح اعمالك ورداءة جبلتك فافحص ضميرك واكد اني ما اتيت باريس الا لانتقم منك فكل ما اصابك هو بتدبيري وتدريبي ولي به اليد الطولى . قال ليس لي عقل يذكرني بما مرَّ عليَّ من حوادث الزمان فاخبرني من انت وماذا فعلت من القبائح قال انا الذي رميتني في قلعة شاتوديف حاكماً عليَّ بالسجن المؤبد وقتلت والدي واحرمتني من التنعم بالحرية وضيعت مني زمن الشبوبية فصاح دي فيلفور من انت من انت فقل لي فاني حتى الآن لم اعرفك قال انا الذي حبستني في قلعة شاتوديف دون حكم ولا محاكمة وفي زعمك اني من احزاب بونابرت والله سبحانه وتعالى خلصني حيث رميت نفسي الى البحر وانعم عليَّ بنعمة حتى رفعني الى

رتبة الكونتيين فصرخ دي فيلفور وزاد صياحه وقال نعم انت انت انث عرفتك الان نعم انت ادمون دانتاس اني بنفسي ظلمتك لاحفظ راحتي وراحة ابي فلك الحق ان تفعل اكثر مما فعلت وان لم يكفك كل ما فعلت فيا اتبعني وانظر ما وقع بي ثم اخذه من يده ومضيا حتى ادخله المخدع وقال له انظر هذين الجسمين المائتين فهل لم يكفك هذا الانتقام وهل تكفي هذه المجازاة فلما رأى الكونت زوجته وولده قد ماتا ندم على فعله وتأسف على هذه المصائب فانها اكثر مما كان يؤمل ولعن الساعة التي وطد نفسه بها على الانتقام لان التقادير كانت تساعده حتى انه كان يتوفق في كل امر يريد ان يجريه فتركه دي فيلفور ونزل الجنينة وهو من الحزن في مكان رفيع ولم يدرك الجنينة الا وقد ضاع عقله وخسر جوهر فهمه فاخذ معولاً وجعل يحفر في ارض البستان وهو ينادي هنا وضعت الولد فتبعه الكونت الى هناك فوجده في حالة الجنون فقال له تمهل يا دي فيلفور فان كان اولادك قد ماتوا تخذني عوضاً عنهم وارجع الى عقلك فلم يكف عن الحفر بالارض بل كان يقول لا بد من ان اجد ابني هنا رغماً عنك ايها الكونت ولو التزمت ان احفر الى الابد وكان يحفر بجد واجتهاد فيرمي التراب طوراً على نفسه وتارة يذريه حتى صار في حالة يرثى لها لا سيما وقد تهشم وجهه من ضرب المعول فاجتمع عليه الناس فلم يصغ الى احد فحكم الجميع بجنونه فكان منهم من يضحك عليه ومنهم من يرثو لحاله وما ذاك الا فعل الخبير العليم فانه قضى عليه بالجنون بعد فقد الزوجة والبنين

الفصل الثاني عشر

في قيام فالنتين وزواجها بمكسيمليان واخذ الثار من دنكلار وفيه ايضاً نهاية الرواية

ولما تحقق الكونت جنون دي فيلفور تركه وسار متأسفاً على حاله تارة يندم على فعله وطوراً يقول في نفسه ان فاعل الشر شراً يلاقي فلولا انه البادي بالشر لما ساعدتني العناية عليه . ولما وصل الكونت الى محله وجد مكسيمليان هناك وهو يتكلم مع شقيقته جوليا عما اصاب دي فيلفور من العار والخسران وبعد ان حياهما الكونت قال لمكسيمليان هل هيأت نفسك للسفر قال اني على اهبة السير انتظر اوامرك فقال هلمّ بنا فان المركبة تنتظرنا عند الباب ولا بد لي ان اكون برومية بعد خمسة ايام دون شك ولا ارتياب . ثم ان الكونت ودع جوليا ومن كان موجوداً هناك بعد ان اوصاهم بالمحافظة على القصر الى حين حضوره او يبعث لهم بتحارير بما ينبغي ان يفعلوه . وقبل ان يركب الكونت بمركبته قال لخادمه علي بالعربية هل اوصلت الرسالة الى موسيو نوارتيه فاشار اليه نعم وانه اشار ايضاً بعينيه ففهم الكونت ان موسيو نوارتيه يقبل ان يسافر من باريس لانه حرر له في ذلك المعنى وان يقيم عنده . ثم سارت المركبة حتى خرجت من باريس وهناك التفت الكونت الى جهة المدينة وقال لها استودعتك الله ايتها المدينة العظيمة فانت لاريب احسن الناس اليّ لانك ساعدتني على بلوغ المقاصد وسهلت لي ان افرق اعدائي الذين كانوا مجتمعين بك بعد ان اذقت كلّاً منهم عذاباً اليماً وها انا سائر عنك ولا اظن اعود فاراك فيما بعد . ثم سارت المركبة بكل سرعة حتى انتهت الى موسيليا فنزلا من العربة وجالا قليلاً في المدينة وقد تذكر كل من الكونت ومكسيمليان ما كان من احوالهما القديمة في تلك المدينة وعند ما مرّا بشاطئ البحر وجدا مركباً على قصد السفر الى الجزائر فاخذ الكونت النظارة واخذ

يتحقق بالمسافرين فوجد امرأة ملثمة فعرف انها مرسيداس خطيبته وشاهد ابنها بقربها وفي نيته السفر الى الجزائر كما تقدم حيث دخل السلك العسكري وباع نفسه حباً بعيشة والدته واذ ذاك التفت الى مكسيمليان وقال له هل في زعمك ان تذهب الى مكان قال مرادي ان اذهب الى المقبرة لازور قبر ابي فقال له اذهب فاقض ما انت قاض وارجع حالاً فاني انتظرك في هذا المكان فقال مكسيمليان اذا شئت يا سيدي الكونت فاذهب معي لزيارة صديقك والدي . ففطن الكونت وسار معه وما بعد الا القليل حتى وقف في مكان هناك وقال اتذكر ياسيدي الكونت انك ودعت ابي في هذا المكان عند ما اتى ليحقق ما اخبر به من رجوع مركبه فرعون فدعني اقبلك كما قبلني والدي فانه لما تأكد الخبر كاد يطير من الفرح ولذلك قبلني . كل هذا وفكر الكونت الى جهة المركب وعيناه موجهتان الى داخله فوجد اناساً تنزل منه الى الشاطئ فسار اليهم فرأى مرسيداس قد نزلت من المركب وهي في حالة هم وغم على ما اصابها وعلى فراق ولدها البير . فتبعها ليرى الى اين هي ذاهبة فوجدها قد سارت الى الكاتالان ودخلت بيت ابيه القديم الذي كان قد اشتراه بعد خروجه من السجن فدخل عليها فوجدها في بكاء ونواح فجعل يسليها وعرض عليها ان يهبها دراهم لاجل مصروفها فابت وقالت انني لا احب ان اخذ دراهم منك خوفاً على خاطر ولدي . قال لا باس من ذلك فولدك هو ولدي واني احبه واتمنى نجاحه ولا بد لي من السعي في ترقيه ولا زال يلاطفها حتى هدأ روعها واستكنت واذ ذاك اخذ يذكرها بما كان من ايامها القديمة فقاما وطافا في الكاتالان ومرّا بالخمارة التي كانا قد صادفا فيها كادروس ودنكلار وفرنان وحرروا العرضحال الى دي فيلفور وكيل الملك ثم طلب اليها الكونت ان تذهب معه الى قلعة شاتوديف ليفرجها عليها فابت وقالت له اني لا اقدر ان انظر ذاك المكان الذي كان سبباً لبعادنا وتفريقنا . وبعد ان اقام معها مدة دفع لها تحريراً وقال لها ارجوك ان تبقي هذا التحرير

بيدك الى ان ارسل لك تذكرة ممضاة باسمي اخبرك بها ماذا ينبغي انتصنعي به فاخذته منه وابقته معها ولم تفتحه . وبعد ان ودعها الكونت وذهب عنها ارسل لها التذكرة التي وعدها انه يرسلها لها وفيها يامرها بفتح التحرير ففتحته فوجدت فيه تحويلاً لها على البنك بخمسة وعشرين الف فرنك وذكر لها ايضاً ان تقبل هذا المبلغ اكراماً لخاطره وان تعتبره من قبيل الود والمحبة . ثم نزل الكونت في قارب وقصد قلعة شاتوديف ليرى ماذا صار فيها ولما وصل اليها وجدها قد تغيرت معالمها وشادت بها الابنية وصارت من المحلات الرسمية واقامت فيها ادارة الرسومات وقد نقلت منها المحابيس. الا انها لما كانت قديمة البنيان كانت تقصدها الغرباء للفرجة ولذلك جعل الكونت يتفرج عليها وينظر فيما جد عليها من الابنية وما كان فيها قديماً وهو يتذكر تلك الايام وهي ليست بقليلة التي صرفها معذباً فيها . وبعد ان فرغ الكونت من الفرجة سأل اهل يوجد رجل قديم العهد بين ساكني ذاك المكان او خدمه فقيل له انه يوجد رجل كان سجاناً عند ما كانت القلعة محلاً للمسجونين فدنا منه وسلم عليه وسأله ان يفرجه على السجون التي كانت قديماً للمجرمين فاخذه وسار به وسار معهم ايضاً جماعة من ساكني القلعة اي من خدمة الرسومات فنزل في تلك الاماكن المظلمة ولا زالوا حتى انتهوا الى السجن الذي كان فيه ادمون فدخله ادمون وهو في اضطراب ولم يقدر ان يضبط نفسه عن الحزن والكآبة عند ما نظر الحائط المثقوب الذي ثقبه استاذه الخوري فاريا وحينئذٍ جلس الكونت ليضبط نفسه وقال اهل من يقدر ان يحدثني بحادث هذه القلعة . فقال له الرجل السجان اني اقدر ان احدثك بحديث وقع في السجن اخبرني به السجان انطونيو . فاضطرب الكونت في داخله ورجف قلبه من الهلع لان انطونيو هو السجان الذي كان موكلاً على المسجونين في زمان سجن ادمون وقد قاسى منه العذاب الاليم حتى انه كان لا يزال يشعر بتلك الافعال الخبيثة التي كان يفعلها معه ثم قال الرجل انه كان محبوساً في هذا المكان رجل

شرير جداً لم ير اشر منه بطول زمانه وكان محبوساً بجواره خوري ضعيف الحال لين العريكة الا انه كان من المجانين وكان يتكلم انه يقدر ان يقوم بمصروف جيش لان عنده ملايين من الليرات فتنهد الكونت عند سماعه هذا الكلام وتذكر الخوري وصدقه وكيف كانوا ينسبون اليه الجنون مع انه من اعقل الناس واصدقهم واعلمهم . ثم قال الرجل وما كان من هذين الرجلين الا انهما ثقبا الحائط الحاجز بينهما وصارا يأتيان بالسر الى بعضهما . ودام الرجل في حديثه حتى انتهى الى رمي ادمون بالبحر كما تقدم بيانه في محله كل هذا والكونت يظهر الغرابة والتعجب من هذا العمل وقال للرجل وهل عرفتم انه مات او وجد بعد ذلك في قيد الحياة . قال ليته لا يزال حياً انما ذلك من المحال لانه وقع على الصخور فلا بد من موته على انه وان بقي حياً فلا بد ان يكون مات غريقاً لان السجانين وضعوا حديداً ثقيلاً في رجله وهذا الذي يرجح موته الا ان الحومة لم تفتش عليه فيما بعد لانه لم يحبس بحكم من محكمة الجزاء وحبسه كان ظلماً وقد تحدث بحديثه كثيرون والجميع كانوا يتمنون نجاته لانه نسب اليه انه من احزاب بونابرت الشهير صاحب الافضال الجزيلة والبسالة المشهورة وكان البعض يقول انه كان له اب مسكين وخطيبة كان مزمع على الاقتران بها بعد ان سجن بيوم . قال الكونت اهل يمكن ان يعرف احد اسم هذا الرجل . قال كلا فلا احد يعرف اسمه بالتمام قال اتقدر ان تعرف كم سنة اقام هذا المحبوس في القلعة . قال لا اعلم وعلى ما يظهر انه اقام عشرين سنة تقريباً . فاذ ذاك شكر الكونت الرجل واخرج له من جيبه مقداراً من الليرات اعطاه اياها فانبهر الرجل وقال اظنك غلطان يا سيدي فانك اعطيتني ذهباً . قال نعم فهذه مكافاة لك على اتيانك معي الى هذا المكان وحكاياتك هذه لي سرتني جداً . فزاد تعجب الرجل وقال يا سيدي ان خدمتي لك هذه الدقائق القليلة لا توازي هذا الانعام الجسيم انما التمس اليك ان تقبل مني هدية هي تتعلق بنفس المسجونين اللذين اخبرتك

عنها وهو انه بعد ان هرب ذاك المسجون ومات الخوري لم يسجن احد في هذه الغرفة ولما تعينت انا حارساً حضرت الى هنا فوجدت بعض قطع حديد وحبال وغير ذلك فبعتها جميعها انما ابقيت عندي كتاباً من القماش وعلى ما اظن انه للخوري فاريا قال الكونت ان هذا اقبله فذهب الرجل ليأتيه به واقام الكونت ينتظره ولما انفرد جثا على ركبتيه وصلى الى الله سبحانه وتعالى على انعامه له وكيف اخرجه من ذلك المكان المظلم وخوله تلك النعم بوقت قريب جداً . ثم تذكر الخوري فاريا الذي كان الواسطة الكبرى لتعليمه وتهذيبه وفي النهاية لغناه العظيم المفرط . ثم جلس الكونت متفكراً وقد عظم عليه الحال وقال في نفسه قد مضى كل ما كان مقدراً عليَّ من حين الصبا ولم يعد عليَّ الا ان اعرف هل ما فعلته مع اولئك الاوباش يوافق شريعة الله ام لا فكان تارة يقول انه موافق وطوراً يبكته ضميره ويوبخه على اعماله وفي تلك الساعة اتاه الرجل بالكتاب ففتحه فوقعت عينياه على اول كلام فيه

« ستسحق بقدمك انياب التنين وتدوس برجليك الاسود يقول الرب »

فلما نظر ذلك خر ساجداً على وجهه وقال في داخله قد فهمت اني لم اعمل شيئاً الا وقد ساعدني الله عليه فرحمك الله ايها الخوري المملوء من التقى والطهارة كنت تصلني بافاداتك وانت حي وها انذا لم تقطع عني افاداتك وانت ميت فان كان ابي لم تساعده الظروف ليقوم بتعليمي وتهذيبي فقد اوصلني الله الى هذا المكان فجعله مدرسة لنجاحي وبعث لي استاذاً خبيراً بكل فنون الاداب فكان يفكر بكل هذه الامور وهو يشعر باحسان الخوري والتفات العناية الالهية . وكان ذاك الكتاب الذي اخذه من الرجل مكتوباً بخط الخوري فاريا فاخذه ليبقيه عنده تذكاراً ثميناً . وقبل ان خرج من القلعة افتكر في ماذا يجب ان يكافي ذاك الرجل على اعطائه اياه ذلك الكتاب فاخذ كيساً صغيراً وضع فيه عشرة اوراق بنك وقال له خذ هذا ولكن لا تفتحه الا بعد ان ابعد عنك فامتثل الرجل امره وشكر فضله

ثم نزل الكونت في القارب وصعد الشاطئ وسار الى المقبرة ليرى ابن موريل فوجده جالساً على قبر ابيه يبكيه ويندبه فدنا منه ونهضه وقال له لا يجب ان تبكي اباك · بل يجب ان تتعزى لانه مات مجبوراً بين اهله واولاده وعرف له قبر يزار بخلاف ابي الذي مات حزيناً كئيباً محرقاً على ولده جائعاً فقيراً ودفن في مكان لا يعرفه احد ثم بعد ذلك رجع مع مكسيمليان الى البحر وهناك اتى الرجل السجان الذي اعطاه الكيس فقال له يا سيدي انك غلطان فان في الكيس اوراق بنك بمبلغ من الفرنكات قال اني اعرف ذلك وقد دفعتها لك ثمن الكتاب الذي اخذته منك · ثم قال الكونت لابن موريل اني قد عزمت على السفر الى رومية فاذهب انت الى جزيرة دي مونتو كريستو واقم فيها الى ان تتيك مركب تدعى فاريس فقل لرئيسها عن اسمك فيأتي بك الي ثم ودعه ونزل البحر وذهب قاصداً رومية

فلندع الكونت الان ولنرجع الى دنكلار فانه بعد ان كتب الرسالة الى زوجته كما تقدم في مكانه واخذ سند الكونت سافر الى رومية ليقبضه من محل الخواجات تومسون ثم يذهب الى النمسا ويقيم فيها · فلما وصل الى رومية نزل على احدى اللوكندات وهي اللوكندة التي كان يقيم فيها الكونت كلما اتى رومية · ولما دخلها وجد جماً غفيراً من الفقراء والغرباء عند بابها وداخلها حيث كانت العادة في رومية ان يجتمع مثل هؤلاء عند ابواب الكنائس والاديرة واللوكندات ولما دخل دنكلار طلب الاكل فاكل ثم سأل عن محل الخواجات تومسون فقيل له انه داخل المدينة وانه يفتح لقبول زائريه قبل الظهر وبعده ساعات معينة وكان اذ ذاك رجل من اولئك الفقراء يسمع كلام دنكلار فصبر عليه الى ان فرغ من اكله ونزع ملابسه ولبس غيرها وخرج من اللوكندة ودعا بمركبة ليركبها ويسير عليها الى محل الخواجات تومسون · وما سار ذاك الفقير في اثره حتى انتهت المركبة الى باب المحل المقصود وفي الحال اتاه خادم المحل وسأله عن اسمه فقال له اسمي دنكلار فقال

اصبر لاطلب لك الاذن فغاب قليلاً ثم رجع اليه ودعاه ليدخل فدخل ولاحت
من الخادم التفاتة فرأى الفقير يتأثره فقال ما تعمل هنا يا بيبنو هل تعرف ان
مع هذا الرجل دراهم تستحق السلب حتى تتأثره قال انـنا في انتظاره فهذا
موسيو دنكلار الذي عرفنا يا رئيسنا به الكونت دي مونتو كريستو وان
له على المحل تحويلاً بستة ملايين فرنك قال اني اعرف ذلك قال اننا نخاف
من ضياع الوقت بالباطل قبل وقوعه في شركنا ولذلك لا بد من استعمال الحيل
والخداع لصيده قال كن مرتاحاً فلا بد من اسره واخذه وانفاذ غاياتنا ومقاصد
الكونت فيه لا سيما وان سائق المركبة هو من رجالنا وعنده تعليمات كافية
وبينما هما في مثل هذا الكلام اذ خرج دنكلار وبيده تحويل من المحـل
المذكور بالمبلغ كله على بنك فينا ليقبضه في الغد فدار به السائق حتى اوصله
الى اللوكندة وقبل ان يذهب قال له دنكلار احضر الى هنا في الغد الساعة
٢ بعد الظهر لتذهب بي الى بنك فينا اجابه سمعاً وطاعـة . فبات دنكلار
تلك الليلة في اللوكندة وفي الغد حضر سائق المركبة في الوقت المعين فركبها
دنكلار وحينئذ ضرب السائق الخيـل فخرجت تسير مسير الريح او البرق
ولا زال كذلك ودنكلار لا يعلم نفسه في اي طريق هو وقد طال عليه المطال
حتى غابت الشمس فارتبك في امره وصاح في السائق الى اين انت سائر بي
ولما لم نصل الى بنك فينا . فاجابه باللغة الايطالية اني لا اعرف ما تقول وكان
دنكلار لا يعرف الايطالية فزاد ارتباكه وعظم عليه الحـال واحتار في
امره لا سيما وقد شاهد انه قد دخل الليل وانتشر الظلام فنظر على ما بقي من
نور النهار الضعيف المفارق من نافذة المركبة فوجد نفسه خارج المدينـة بين
الاجام فصاح في الرجل . فاجابه بغضب قد وصلنا الى المحل المقصود فانزل
بلا غلبة ولا تبد ولا كلمة والا تموت فتعجب دنكلار من جسارته واراد
ان يصيح به فوجد المركبة قد وقفت عند باب مغارة فنظر الى داخلها فرأى
الفقير الذي كان يراه في باب اللوكندة جالساً بين يدي فارس خطير فوقع في

خوف عظيم واراد ان يرمي نفسه من المركبة ويفر بين تلك الادغال لانه ظن ان حكومة فرنسا ارسلت تلغرافاً الى حكومة ايطاليا بطلبه فوضعت عليه العيون الارصاد وظن ايضاً ان ذلك الفقير والفارس هما من البوليس الا انه قبل ان يستوي واقفاً في المركبة احتاطت به خمسة انفار وتقدم احدهم وفتح الباب وقال له تفضل ايها الموسيو . قال الى اين تريدون ان تذهبوا بي . قال له احدهم اصمت يا ملعون فصمت دنكلار وهو معجب مما وقع فيه ولم يعد يعرف في اي مكان هو ولاي شيء اتى به الى ذاك المكان وحينئذ اتى الفقير اليه وامسكه من لحيته وانزله الى الارض فتحقق دنكلار انهم لصوص وانهم قادوه بالحيلة الى هناك فزادت مصيبته وتاكد فناءه . ثم ذهبوا به من تلك المغارة الى باب واقع بين حجرين كبيرين فدخلوا منه وتسلقوا الصخور الى مغارة ثانية حتى كان دنكلار لا يعرف اين يضع رجله وقد تهشمت رجلاه وسال منهما الدم وكل ما وقف يضربونه حتى وصلوا الى باب مغارة داخلية فاعترضهم رجل هناك وقال لهم من انتم قالوا نحن من جملة اصحاب لويجي فامبيا واعطوه العلامة المعروفة فتركهم حتى انتهوا الى داخل المغارة فوجدوا الرئيس جالساً وبين يديه الشموع موقدة ومن حواليه جماعة من اصحابه . فقال لهم هل احضرتم الشخص الذي امرتكم باحضاره فاجابه ببينو واضعاً المشعل بوجه دنكلار نعم ياسيدي هذا هو فقال حيث الان يظهر انه تعبان فخذه الى السرير لينام فساروا به ووضعوه في غرفة صغيرة لها باب صغير فدخلها ووجد فراشاً من القش موضوعاً فيها فتعجب من عمل اولئك اللصوص وجلس على ذاك الفراش وجعل يفتكر في ماذا يؤول اليه امره فكان تارة يرى الموت نصب عينيه وطوراً يتصور العذاب والجوع الى غير ذلك الا انه طرق ذهنه اخيراً ما كان سمعه من البير ابن فرنان عند ما وقع بين ايدي اللصوص كيف انهم طلبوا منه فدية ولم يؤذه احد منهم واذ ذاك ارتاح باله ونام مفتكراً انه يفدي نفسه بالمال مهما طلبوا منه ونام تلك الليلة

متيقناً بالخلاص ولم يستيقظ في الغد الا وقت الضحى فجلس من النوم ينتظر حضور من يأتي اليه ليدعوه الى الرئيس ليقاوله على مقدار الفدية فاقام مدة دون ان يأتيه احد فدنا من الباب فوجد الخفير واقفاً عليه وهو منبش الشعر كأنه من الوحوش فقال لا ريب انه من الاميركان الذين يأكلون لحوم البشر وقد خاف على نفسه منه غير انه اطمأنّ لما وجده يأكل خبزا وجبناً . فناداه اني جعت يا هذا الرجل فارجوك ان تأتيني بما آكله فلم يلتفت اليه ولا رد عليه بل نفر فيه وشتمه ودام في اكله . فرجع دنكلار الى الفراش ونام عليه الى ان مضى اربع ساعات وتغير الخفير واتى آخر فنظر اليه فوجده لطيف الذات عليه سمة الرقة واللين . فدنا منه وحياه فاجابه وكان الحارس يأكل لحماً مقلياً وفاكهة فتاقت نفس دنكلار الى الاكل وكاد يهجم عليه لولا خوفه منه . فقال له دنكلار هل يوجد هنا اكل لذيذ فاني جائع قال نعم كل ما تطلبه يا سيدي فآتيك به انما بالثمن قال هذا هين فاني ادفع لكم الثمن وان كان من الواجب عليكم طعم المأسورين قال ليس العادة هنا ان نطعم احدا ولو هلك جوعاً ما لم يدفع ثمن ما يأكله هكذا تنبيهات رئيسنا فلا يجب ان نخالفها قال ليس الان وقت تطويل الكلام فانقذني فاني اكاد اهلك جوعاً لان لي نحو ٢٤ ساعة لم اذق طعاماً . قال مر يا سيدي بما تشتهي نفسك قال آتني بفرخة مقلية او سمكة او طير وبعضاً من الخبز قال سمعاً وطاعة وفي الحال نادى احد رفقائه فامره ان يأتي بما طلب فاتاه بفرخة مقلية بالسمن موضوعة في صحن من الفضة على صينية ثمينة المقدار فما صدق ان نظر الاكل امامه حتى جلس على ركبتيه ومد يده وفي نيته ان يفسخ الفرخة فاعترضه الحارس وقال له ارجوك يا سيدي ان تدفع الثمن قبل ان تبتدئ بالاكل فان العادة عندنا هكذا قال لا بأس وعلى ما اظن ان طعامكم هنا ارفع قيمة من طعام اللوكندات فخذ هذه الليرة ثم اخذ ليرة من جيبه واعطاها الى الحارس واراد ان يأكل فقال له مهلاً ياسيدي انك لم تدفع لي باقي الثمن بل دفعت لي هذه

الليرة من اصل الحساب فان كان لا يوجد معك الباقي فحرر لي سنداً فلا ريب انك رجل موتمن فتعجب دنكلار وقال هل من اجل ثمن فرخة نفتح لها بالدفاتر ابواباً ونقيد لها من والى ونكتب سندات وكمبيالات قال هذه العادة في لوكندتنا فاذا كان الحساب كله معك فادفعه نقداً يكون اوفق. قال كم ثمن الفرخة قال الف ليرة دفعة واحدة فيكون الباقي ٩٩٩ ليرة فحملق فيه دنكلار واصفر وجهه ثم قال له دع عنك المزح فانا لا اطيق احتماله الان لاني جيعان. واراد ان يقطع الفرخة فقال له الحارس اني لا امزح بل اخبرك الصحيح فاما ان تدفع لي واما ان ارجع الاكل الى محله فقال كيف لا تمزح وتقول ان ثمن الفرخة الف ليرة قال هكذا نبيعها فان شئت فاشترها والا فردها فان مثلك مثل بقية الناس الا تعرف كم نقاسي من التعب في تربية الفراخ في مثل هذه البرية. فقال ان كلامك هذا لا يدخل العقول فخذ الليرة الثانية ودع عنك المزاح فاخذ الحارس الليرة وقال يا سيدي يبقى عليك من الثمن ٩٩٨ ليرة فكان يتكلم دون ان يتبسم او يظهر اشارة تدل على المزح ولذلك تاكد دنكلار اخيراً انه يتكلم بجد فحنق منه وقال له خذ فرختك لا بارك الله فيكم وفيها. فاخذها الرجل واقام دنكلار في زاوية المكان نحو نصف ساعة حتى خارت قواه وضعف عزمه ولم يعد يقدر على المكابرة فدنا من الحارس وقال له ماذا تريدون مني الان قال قل انت ماذا تريد فانا لك اطوع من العبيد. قال ان كنتم كما تقول فاتني بالاكل قال هل جعت ياسيدي قال الا تعلم بجوعي قال فماذا تريد ان تاكل الان قال آتني بقليل من الخبز اليابس حيث اللحم عندكم ثمين بهذا المقدار وفي الحال اتاه برغيف صغير قال وهذا الرغيف كم ثمنه قال الالف ليرة المعينة وصل منك ليرتان فيكون الباقي ٩٩٨ ليرة على التمام. فصاح دنكلار من ملء رأسه وقد كاد يجن هل ثمن رغيف واحد الف ليرة قال هكذا اصطلاحنا ان اكل ضيفنا رغيفاً او ارغفة او غير ذلك فلا بد له من دفع الالف ليرة فقال الاحسن ان اموت جوعاً

لتروا ماذا يفيدكم ذلك فيما بعد قال لا سمح الله فنحن لا نقصد لك اذى واذا مت فمن يدك ولا يضر عليك شيء فان شئت ان تحيي نفسك فادفع الثمن بالتمام قال من ابن آتيكم بالثمن وهل يمكن ان احمل عشرين الف فرنك في جيبي قال ان معك تحاويل بستة ملايين فرنك وهذا المبلغ يكفيك لستين دجاجة مقلية . ففهم اذ ذاك دنكلار انهم يعلمون بامره فصبر برهة دون ان يفوه بكلمة ثم قال للحارس هل اذا اعطيتكم الالف ليرة تاتوني بالطعام وتطلقون لي الحرية قال اعندك شك بذلك فاكتب لنا تحويلاً على محل الخواجات تومسون فنقبضه من هناك . فكتب دنكلار تحويلاً بالباقي فاتوه بالفرخة فقطعها فوجدها دقيقة لا تساوي الثمن فاكل قسماً منها وابقى قسماً اكله في الغد ولذلك زاد به العطش من الاكل فاخبر الحارس انه يريد ان يشرب فقال له يا سيدي ان الخمر اثمن جداً من الاكل قال اني لم اطلب خمراً بل اريد شربة الماء قال اما تعلم ان الماء هنا اثمن من الخمر ايضاً فقال دنكلار رجعنا الى المحاولة قال واي محاولة فاذا شئت ان تشتري زجاجة من الخمر فاننا نعطيك قال كم تساوي الزجاجة قال ٢٦ الف فرنك قال لا ريب في انكم تقصدون سلب ما معي شيئاً فشيئاً قال ربما كان ذلك فكر رئيسنا قال ومن هو رئيسكم . قال هو الذي اخذناك اليه بالامس قال اني ارغب مواجهته فهل تسمح لي ان اذهب اليه او يحضر هو الى هنا قال اظن انه ياتي هو الى هنا . ثم بعث من دعاه فحضر وقال لدنكلار ماذا تريد يا ايها الموسيو قال اريد ان اسألك ماذا تريد مني لاطلاق سبيلي قال نريد منك الستة ملايين فرنك . فلما سمع دنكلار طلبه كاد ان يغمى عليه وهان عليه فقد نفسه وحفظ ماله وبعد ان امعن برهة افتكر ان ياخذ الرئيس بالمداهنة والمخادعة فقال له ان كرامة اخلاقكم تحملكم يا سيدي على الرفق بي فاني لا املك كل هذا المبلغ واذا كان ليس في قلبك شيء من الرحمة فخذ روحي وارحني من هذا العناء . قال حاشاي من ان امد يدي اليك بسوء لاننا ممنوعون عن

ذلك . فقال ومن يمنعكم عن القتل قال يمنعنا من لا يسعنا مخالفته وهو الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال ان كان الرب الخالق يمنعكم عن القتل فهل يرضى بهذه الاعمال قال نعم هو المنتقم الجبار ولولا انك مرتكب ذنباً كبيراً ما اوصلك الى محل العذاب والانتقام قال حاصل الامر هل يكفيك مني مليون فرنك قال كلا قال اني ادفع لك مليونين قال لا اقبل الا بكامل المبلغ الذي بيدك فلا خلاص لك الا به قال الاوفق ان اموت ولا ادفع كل المقدار لاني اذا دفعته اصبح فقيراً واعيش عيشة مرة قال الرئيس تبصر في امرك وانظر في العواقب فانك اذا لم تدفع المبلغ الان يلزمك ان تدفع مليوناً من الفرنكات كل يوم ثمن طعام وخمر . قال اذا كنتم ممنوعون عن قتلي كيف تتركوني اموت جوعاً قال حاشانا ان ندعك تموت من الجوع حينئذ فهم دنكلار ان جل غايتهم اخذ الدراهم منه . فقال اني لا ادفع فدية ولا ادفع بارة ثمن طعام ولا اخرج من يدي فلساً ما لم امت جوعاً او تقتلوني فقال له الرئيس افعل ما تريد فلا حرج عليك ثم تركه وذهب وبقي دنكلار يتقلب على فراش القش وهو يقول في نفسه سبحان الله كثيرون من الناس يقعون في ايدي اللصوص فيتخلصون اما بالحيلة او بالمال نظير البير دي مرسرف . وكثيراً ما عزم على قتل نفسه بيده الا انه لم يطاوعه قلبه ولم يتجاسر على ذلك ثم خطر له ان يتفكر في ان يتخذ طريق الفرار وبعد التبصر لم يجد وسيلة لذلك وقد استد في وجهه كل مذهب وبقي على ذلك اليوم الثاني وهو يتأمل بالخلاص الى ان خار من الجوع فدفع مليون فرنك فاكل وشرب والحاصل صار كل يومين ياكل مرة ويدفع المليون حتى لم يبق معه سوى خمسة الاف فرنك . فتكاثرت عليه الهموم والغموم وايقن بالفقر والعوز واذ ذاك انكسر خاطره وصغرت نفسه فالتفت الى الله وصار يتضرع اليه ويبكي وقد قيل في المثل الانسان لا ينادي ربه الا وهو تحت الحمل . وبقي دنكلار في تضرعات وبكاء وصلاة مقدار ثلاثة ايام دون انقطاع وبعد ذلك اشتد عليه الجوع

فنظر الى ما هو باق عنده من العظام فلم يرها صالحة لشيء . فصار يطلب الاكل
فلا يأتيه احد به ولا عاد احد يلتفت اليه فايقن اذ ذاك بالموت وسلم نفسه
لعناية التقادير وبقي على هذه الحال الى اليوم الخامس فلم يعد يمكنه الاصطبار
فسحب نفسه الى الحارس وقال له آتني بالرئيس يا هذا فاني اقاسي من الجوع
اصعب نزاع فنادى له الرئيس فحضر وكان الوقت ليلاً فقال له ماذا تريد
قال ارجوك يا سيدي ان تاخذ كل ما هو باقٍ معي من الدراهم وتدعني اعيش
في هذه المغارة الى ان يسمح الله بانقضاء اجلي قال هل تشعر الان بالم العذاب
والجوع قال اني اشعر بذلك ولا اظن ان احداً لاقى مثل ما لاقيت قال قد
لاقى كثيرون اعظم مما لاقيت . فقال له رجل من جانب الرئيس اهل تبت
الان عن شرورك وذقت لوعة السجن والجوع فجفل دنكلار عند سماعه هذا
الصوت وقصد ان يتحقق وجه صاحبه فلم يقدر فقال له ماذا عملت يا سيدي
من القبائح حتى اتوب قال اتنكر ما فعلته في حياتك يا جاهل قال اني اتذكر
اني فعلت كثيراً من القبائح والآن اتوب الى الله فهو تواب رحيم . فقال المتكلم
حيث شعرت الان بقبائحك وندمت عليها فاني اسامحك واغفر لك ذنوبك ثم
رفع البرنس وامر بادخال النور فلما وقع نظر دنكلار عليه عرفه فقال له يا
سيدي الكونت فقال ليس انا الكونت كما تزعم بل انت تعرفني واعرفك في
في الاصل قبل ان اصير كونتاً قال من انت فلم اعرفك الا بالكونت قال
انا الذي لاقيت منك اكبر المصائب حيث حسدتني علي وظيفتي وخنت عهود
المودة والصحبة وسلمتني الى اعدائي وذلك حينما كنت رئيساً في المركب
فرعون وبعملك سجنت ١٤ سنة ومات والدي جوعاً وحزناً وخسرت
خطيبتي التي اجهدت نفسك لتزويجها بفرنان ومع كل ذلك فاني انقذك من
الهلاك لاكون قد عاملتك بطايب اصلي وحاصل الامر اذا كنت لم تعرفني
تماماً فانا ادمون دانتاس رفيقك في المركب فرعون . فلما سمع دنكلار هذا
الكلام لم يبد جواباً ولا تكلم بكلمة بل رمى بنفسه على قدميه وهو يقبلهما

فرفعه الكونت وقال له اشكر الله حيث لم اعاملك كما عاملت فرنان ودي فيلفور لان الاول بعد فقدان ولده وزوجته قتل نفسه والاخر بعد ضياع شرفه وموت اولاده وزوجته خسر عقله واما انت وان تكن جرثومة عذابي منك انا قد عفوت عن نفسك فيكفيني ما اوقعته بك حيث ذهب كل مالك وفارقتك بنتك الوحيدة هرباً من ان تتزوج باللص الذي خسرت كثيراً لاوهمك انه شريف وقد حكم عليه الان بالموت بعد ان عرف انه ابن دي فيلفور بالزنا من زوجتك . (ثم شرح له ماتوقع لدي فيلفور وبنديتو) واما الخمسة ملايين فرنك التي سرقتها من مال الايتام والفقراء وهربت مفتكرا ان تنجو بها فقد ردت اليهم . فالان كل واشرب ولا تخف ضيراً وابق معك الخمسة الاف فرنك فهي تكفيك . ثم التفت الكونت الى الرئيس وقال له اطلق هذا المسكين فقد كفاه ما لاقاه فتعجب دنكلار لما راى كل الحاضرين يخافون الكونت ويهابونه وتعجب من فعل الزمان كيف اوصل هذا النوتي الى هذه الدرجة العظمى ولما كان الفجر ربطوا عيني دنكلار وقادوه بعيداً عن محلهم واطلقوه فسار ماشياً حتى انتهى الى عين ماء جار فاجفل لما راى خياله فيه وقد ابيض شعر راسه فتأسف على حالته وسار الى سبيله حزيناً كئيباً مفارقاً فقيراً ومع كل ذلك فانه كان يشعر بفضل ادمون ويتندم على مبادئته بالشر دون سبب موجب ولم يعلم بعد ذلك ما كان من حال دنكلار

لا بد ان يكون قد انتظر القارئ الوصول الى معرفة ما وقع لمكسيمليان ابن موريل وفالنتين ابنة دي فيلفور التي كانت ماتت وما كان من هذا القبيل فنقول انه في ذات يوم كان البحر رائقاً هادياً والهواء لطيفاً ناعماً والجو صافياً زاهياً اذ شوهد من جزيرة مونتو كريستو مركباً آتياً اليها وهو يشق البحر وعلى مقدمه الشاب الكريم الطباع ابن موريل صاحب الكونت وفي جانبه قبطان المركب يتحادثان . وقبل ان تقرب المركب من الجزيرة سمع

صوت اطلاق بندقية في الحال امر القبطان مكسيمليان ان يطلق بارودته وقال له هذه جزيرة مونتو كريستو وان الوعد بيني وبين الكونت اني اذا سمعت من الجزيرة صوت البارود وكنت قد اتيت بك اجيبه بالمثل . فاطلق اذ ذاك مكسيمليان بارودته مجاوباً الكونت . وفي نحو عشر دقائق وصلت المركب الى الشاطئ فنزل جميعهم الى البر وهناك سأل مكسيمليان اين يوجد صديق الكونت فقال له القبطان سر معي في هذه الطريق فتصل اليه فسار قليلاً وبينما هو سائر شعر برجل قد وضع يديه على كتفيه وقال له اهلاً بصديقي وصاحبي وابن سيدي موريل فانت من الان وصاعداً ابني لانك اطعتني فيما سألتك وركنت اليَّ ركون الولد لابيه فقبل مكسيمليان يديه وقال له انت ابي لان ما عملته معي من معرفتي بك حتى الان وما عملته مع ابي لم يعمله احن الاباء واشفقهم انا ارجوك يا سيدي ان تجيبني الى ما سألتك اهل يمكني ان اعيش بعد مضي الثلاثين يوماً حيث الوقت المؤجل قد دنا فاشكر الله الذي اوصلني اليك لاموت بين يديك . فتبسم الكونت من كلامه وقال له هلم اقم عندي هذه الثلاث ساعات الباقية من هذا النهار وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء . فقال له ارجوك يا سيدي الكونت ان تسمح لي ان اقول لك ان مواعيدك في هذا الامر فارغة وعديمة الجدوى وانك حباً بي ترغب مطاوعتي فدعني اودعك الان والتمس منك ان ترسل جسمي فتدفنه بالقرب من حبيبتي قال هل عزمت الان ان تميت نفسك . قال بكل تاكيد قال اذا كان لا بد من ذلك فاني ادعك تموت موتاً سهلاً لانك لو ضربت نفسك بالسلاح لربما تعذبت قبل ان تموت فانا ادفع لك معجوناً فمتى اكلته تموت دون ان تشعر بالم او وجع هذا اذا كانت لا تنجع فيك النصيحة ولا تصغى الى كلامي وتدع عنك الاوهام وحب فالنتين لاني متكدر من عملك جداً متأسف مما انت فيه فاذا قبلت مني فاني اهبك مائة مليون فرنك تعيش بها متنعماً وتختار لك اجمل نساء العالم . قال كل ذلك لا يساوي عندي كدر مرة افتكر بها ان فالنتين

كانت حبيبتي وكانت تعدني بتسليم نفسها وانها ماتت ظلماً وقد تاكدت يا سيدي الكونت اذاك قصدت ان تماطلني ثلاثين يوماً وفي ظنك اني اسلو او يخف حزني فمعاذ الله بذلك فانه كلما طال زمان فراقها زاد شوقي اليها وثا حزنها في كبدي فارجوك اخيراً ان تدفع لي هذا المعجون المميت اذا كنت تحبني

ولما انتهيا الى المغارة جلس مكسيمليان في احدى الغرف فاتاه الكونت بصندوق صغير واخرج منه علبة من الذهب مزركشة بالجواهر الثمينة . ثم اخذ من تلك العلبة ملعقة من المعجون صغيرة ودفعها الى ابن موريل وقال له في هذا المعجون الموت فافعل ما انت فاعل فاني بذلت الجهد فيك فلم تقتنع ولا قبلت النصيحة . فاخذ مكسيمليان الملعقة من الكونت واراد ان يضعها في فمه فنظر الى الكونت فوجده قد اخذ قليلاً من ذاك المعجون واراد ان يفعله كفعله فمسكه من يده وقال له لما ذلك ياسيدي . قال له لا بد لي ان اموت معك ولا يهون عليّ وانت ابن موريل ان تموت وحدك وابقى بعيداً عنك وعن ابيك . قال لا تفعل يا سيدي وانت غني يمكنك ان تعيش باموالك بعيداً من الناس ولست مرتبطاً بحب احد ولا تدعوك الضرورة الى ذلك فوجود مثلك في هذه الحياة نافع لكثير من الناس فاما انا فلا بد لي من الموت فانه ينفعني وعند وصولي الى فالنتين لا بد ان اخبرها بما فعلت معي من الجميل

ثم اكل مكسيمليان المعجون وما استقر في جوفه حتى تغيرت هيئته وصارت تتراءى له خيالات واشباح ونظر الى الكونت فوجده يكبر ويصغر وتخيل له ايضاً ان الحائط قد انشق وخرج منه شخص موشح بثياب الجمال ثم شعر بحلول سبات طويل فقال هاانذا قد دنا ما هو قريب مني ثم اراد ان يرفع يديه فلم يقدر فوقع على ظهره الى الحائط . وكان هذا المعجون من الحشيشة المعروفة بحشيشة الفقراء فجعل يتكلم وينادي فالنتين والكونت يضحك عليه . ثم دعا الكونت فالنتين فحضرت فامرها ان تجاوبه فجاوبته بكل رقة ورمت بنفسها عليه الا انها وجدته لا يعي . فقال لها الكونت اهل علمت عظم حبه فلا

ريب انه صديق امين كابيه محافظ على الصداقة وهاني اقول لك يا فالنتين الان انكما من الان فصاعداً انتما سعيدان فتعيشان مع بعضكما بكل راحة وطمانينة والحمدلله الذي قدرني على مساعدتكما وساعدني الى ان اجمعكما فانظري كيف قبل الموت ليلحق بك . فقالت ان الله يجازيك عنا خيراً واني لا افتر عن الشكر لك ولصديقتي عائدة التي اعتنت بي كل هذه المدة . فاتت عائدة ومدحت له محبة فالنتين ثم خرج الكونت بعد ان قال لفالنتين اني اتمنى لكما التوفيق من رب السماء وتركها عند مكسيمليان فاقامت عنده تقبله وتناديه الى نحو الساعة السادسة من الليل حيث كان الكونت اخبرها انه في تلك الساعة ينتبه ولما انتبه وجد نفسه لم يمت فصاح اين وعدك ايها الكونت فها انا باقٍ حياً ولم امت ثم مد يده الى المائدة واخذ سكيناً واراد ان يضرب نفسه بها فمسكته فالنتين وقالت له تامل يا حبيبي ها انا فالنتين قد عدت اليك وقد ارجعني الله اليك بواسطة الكونت انا فالنتين يا مكسيمليان فلما سمع صوتها تامل فيها فتاكدها فصاح ووقع الى الارض فرفعته الى صدرها وهي تقبله الى ان هدأ روعه ويا لها من ساعة كانت لهما بعد ذلك البعد وانقطاع الرجاء . فرحم الله مجنون ليلى حيث يقول

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما   يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وبعد ان اقاما مدة من الزمان اخذته فالنتين وخرجت تتنزه على شواطئ الجزيرة وهناك اخبرته بما فعل معها الكونت من حين دخوله عليها وهي مريضة الى حين اخراجها من القبر وارسالها مع عائدة الى تلك المغارة فتعجب ابن موريل من اعمال الكونت وقدرته وبينما كانا يتمشيان وجدا نوتياً جالساً على شاطئ البحر فدنيا منه فقال لهما ان الكونت قد اعطاني هذا التحرير لكما فاخذه مكسيمليان وقرأه واذا به ما معناه : هو ذا المركب وقبطانه يعقوب ينتظركما ليذهب بكما الى نابولي حيث ان نوارتيه جد فالنتين ينتظركما هناك ليبارك لكما . واني اهبكما كل ما هو موجود بالمغارة من اثاث

وقماش وغيره واهبكما ايضاً املاكي بباريس وقصوري مع ما فيها من الامتعة والجواهر فاوصيكما بالتقوى وخوف الله لتعيشا بالراحة وها انا ذاهب الى نابولي فاذا شئتما اتبعاني والسلام . فانبهر مكسيمليان من هبة الكونت ثم قال للقبطان ارجوك ان تاخذني الى نابولي فنقلا ما في المغارة وسافرا الى نابولي وهناك اجتمعا بالكونت وشكراه على جميله وكان اتى الى هناك بموسيو نوارتيه وهناك شرع في عمل العرس وتزوج مكسيمليان بفالنتين وتزوج الكونت بعائدة وولد له منها ولد سماه الفيكونت دي مونتو كريستو واقام بقية عمره مرتاح البال يعمل الخير والاحسان فسبحان من يغير الاحوال وياتي بالعجب العجاب

دنيا فلا ترعى العهود لانها انثى وفي الانثى الوفى لم يعهد

— تمت —

بعض مطبوعات مكتبتنا

اصول التربية والتعليم
اصول الطبخ وعمل المشروبات والحلويات
تاريخ يوسيفوس الشهير بابن كريون اليهودي
ترجمان المكاتبة
الترجمان الاسبانيولي باللفظ العربي
" الانكليزي " "
" البرازيلي " "
" الطلياني " "
" الفرنسوي " "
تعبير الرؤيا لابن سيرين في تفسير الاحلام وتأويلاتها
تعليم قراءة الخطوط العربية
كتاب الجغرافية ثلاثة اجزاء
جواهر الادب خمسة اجزاء
الدر الثمين في صحة الاعزاب والمتزوجين
الدروس الانكليزية
ديوان بهاء الدين زهير
ديوان الفارض بالشكل
الرسائل التجارية في اللغتين العربية والافرنسية

الرسائل العصرية

كليلة ودمنة

مجمع البحرين

مفتاح الاحلام والفراسة

نفح الازهار

رواية الاعمى

« المركيز المحتال

« السر القاتل

« الفندق الهائل

قصة عنتر

« الزير

ديوان الزير

قصة حمزه كاملة

سارقة الشرف

شمس المعنى ثلاثة اجزاء




AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00507860

